

کتابخانه اصفیاء سید کاظمی حیدرآباد دکن

۲۲۱۵۸

تاریخ و جغرافیہ

تاریخ الہندوستان فی بلاد العرب

تاریخ

۲۰۰۶

۹۵۶

نمبر کتاب در فن مذکور

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤ هـ

تاريخ اليهود في بلاد العرب

في الجاهلية وصداية الإسلام



تأليف الدكتور

اسرائيل ولفنسون

(ابو دؤيب)

استاذ اللغات السامية بدارالعلوم



« حقوق الطبع محفوظة »

مطبعة الإعتدال بشارع حسن الأكبر بمصر

مقدمة

لحضرة الاستاذ الكبير والنقادة السرمبر الدكتور طه حسين

الدكتور اسرائيل ولغسون عالم شاب يسرني أن أكون أنا مقدمه الى جمهور المستنيرين من الذين يكفون بالبحث عن الأدب والتاريخ . أقبل الى مصر وأن له لثقافة متينة منوعة ، قد اتقن من اللغات الأوروبية الحية أرقاها وأوسعها بالبحث العلمى التاريخى ولاسيما فيما يتصل بالمسائل الشرقية العربية ، وأتقن من اللغات السامية أغناها بالآثار القيمة فى الدين والأدب والعالم ، ولم تقف ثقافته عند اتقان هذه اللغات بل درس من آدابها حظاً وفوراً فكان له مزاج معتدل من هذا القديم السامى والجديد الأوروبى يعدّه أحسن اعداد لناول المسائل التاريخية والأدبية الرقيقة اذا تهيأت له مناهج البحث كما الفها علماء أوروبا فى هذا العصر الحديث . وماهى الا أن انتسب الى الجامعة المصرية القديمة واختلف الى أسانذتها يسمع دروسهم ويعمل مهم حتى تهيأ له من ذلك ما كان يجب . ولقد كان يختلف الى دروسى فى التاريخ القديم فكان يعجبني منه ميل ظاهر الى البحث وحرص شديد على الاجادة والاتقان ونشاط غريب الى القراءة والاطلاع . وكنت أرى فيه عناية خاصة بكل ما يتصل باليهود فى عصور السيطرة اليونانية والرومانية على العالم القديم . فرأيت أن أوجه بحثه هذه الوجهة وأشججه على المضى فيها .

ولمعت أنسى محاضرات تفريرية القاها في مثل هذه الموضوعات تركت في نفسي أحسن ما ترك أعمال التلميذ المجد في نفس استاذه من الأثر . ثم ظفر بشهادة اليسانس في الآداب من الجامعة القديمة وأخذ يستعد لشهادة الدكتوراه فلم يرقه من المباحث التي كانت تثار في الجامعة على كثرتها الا هذا المبحث الذي يتصل دائما باليهود وهو تاريخ اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام وأبان ظهوره

والموضوع في نفسه قيم جليل الخطر بعيد الأثر جدا في التاريخ الأدبي والسياسي والديني للامة العربية . فليس من شك في أن هذه المستعمرات اليهودية قد أثرت تأثيرا قويا في الحياة العقلية والأدبية للجاهليين من أهل الحجاز . وليس من شك في أن الخصومة كانت عنيفة أشد العنف بين الاسلام ويهودية هؤلاء اليهود وفي أنها قد استحال من المحاجة والمجادلة الى حرب بالسيف انتهت باجلاء اليهود عن البلاد العربية . ولم يكن تاريخ هؤلاء اليهود في بلاد العرب قبل الاسلام معروفا على وجهه ، انما هي طائفة من الأخبار والأحاديث يرويها القصاص في غير تحفظ ولا عناية بالدقة والتحقيق وتكثر فيها المبالغات من الناحية اليهودية والاسلامية لاغراض مختلفة معروفة . وكان المستشرقون قد عرضوا لهذا الموضوع من نواحي مختلفة فوقوا بعض التوفيق ولكن أخطأهم الأصابة في كثير من الأحيان لأن حظهم من الثقافة العربية السامية لم يكن يعدل حظهم من القدرة على استثمار مناهج البحث الحديث ، فاضطروا الى طائفة من الأغلاط لم يكن منها بد . على أن مباحثهم هذه البقيمة كانت وما زالت مجهولة في الشرق العربي لا يلم بها الا الذين

يتخذون هذا التصو من العلم غرضاً يسعون إليه ويثقفون عليه لجهودهم
فاذا كان عالمنا الشاب قد وفق الى الخير في هذا الكتاب الذي قدمه
الى الجامعة المصرية ونال به شهادة الدكتوراه والذي أقدمه أنا الآن الى
القراء سعيداً مغتبطاً فتوفيقه مضاعف ، ذلك لأنه وفق الى تحقيق
أشياء كثيرة لم تكن قد حققت من قبل ، ووفق الى عرض مباحث
المستشرقين حول هذا الموضوع في اللغة العربية ولم تكن قد عرضت
من قبل . ووفق بعبارة موجزة الى أن يبسط تاريخ اليهود في البلاد
العربية قبل الاسلام وأبان ظهوره بسطاً علمياً أدبياً لذيذاً متمماً في
كتاب كانت اللغة العربية في حاجة اليه فأظفرها بهذه الحاجة

واذا كان لي أن أتمنى للدكتور اسرائيل ولنفسون شيئاً فانما أتمنى
له مخلصاً أن يمضي في عنايته بهذه الناحية من حياة اليهود والصلة بينهم
وبين الأمة العربية بعد الاسلام كما عنى بها قبل الاسلام مهتدياً بهدى
العلم الصحيح الذي لا يعرف ممالأة ولا مشايعة ولا يرى للعالم الا
غرضاً واحداً مقدساً هو السعى الى الحق والجد في الوصول اليه .

تصير

ان الذى يدرس تاريخ العرب فى الجاهلية وصدور الاسلام ليلمس حاجة الامة العربية الى مؤلف خاص فى تاريخ اليهود الذين لا ينكر أحد ما كان لهم من الأثر فى الجزيرة العربية لذلك العهد، ويعجب كيف حرمت اللغة العربية من مثل هذا المؤلف الى الآن؟

وأقرب ما يخطر بالبال فى تعليل هذا التقصير هو أن المتأخرين من مؤرخى العرب لم يعلموا المأما كافياً بتاريخ الجاهلية ، ولولا ذلك لما أغفلوا تاريخ قسم كبير من سكان الجزيرة كان له من الحوادث السياسية والوقائع الحربية والآثار الاجتماعية ما يستوجب أفراده بطائفة من المؤلفات ، إذ كان الباحث فى تاريخ الجاهلية يتوقف نجاحه على معرفة تاريخ اليهود فى بلاد العرب عامة وفى الاقاليم الحجازية بوجه خاص

وقد يرجع السبب فى هذا التقصير الى جهل المؤرخين بالنتائج العظيمة التى تترتب على معرفة تاريخ اليهود ، ولو أنهم اهتموا به لوجدوا فى المراجع العربية القديمة مادة غزيرة تمكن الباحث المحقق من سد هذا النقص وتهيئته على التثبت من تاريخ العرب فى ذلك الحين

ان للبحث في تاريخ يهود الجزيرة العربية أهمية عظيمة في حل المشكلات التي يتخبط فيها كثير من الناس وإمالة اللثام عن لهجات العرب ودياناتهم وعاداتهم لما بين اليهود والعرب من رابطة الدم ولما بين اللغة العبرية واللغة العربية من التشابه والاقتراب

ومع أنه قد وجدت أمم سامية قبل بني اسرائيل بألاف من السنين فان الباحثين يرون في اللغة العبرية وأدائها مقياساً صالحاً للبحث في جميع اللغات السامية ، إذ كان بنو اسرائيل أقدم أمة سامية تركت ميراثاً روحانياً عظيماً في الادب والدين يعتبر أكبر مجموعة قديمة من أثر القريحة السامية ، لان الذي وصل اليها من آثار البابليين والاشوريين والآراميين ضئيل جداً بالمقياس الى ما وصل اليها من تراث بني اسرائيل . . .

على أن اللغة العبرية من أممات اللغات السامية ، فقد كانت شائعة قبل نشوء بني اسرائيل وظهورهم في العالم إذ كانت لغة أهل فلسطين الكنعانية ولغة كثير من القبائل في طور سيناء وشرق الاردن ، وكان من أهم تلك الامم بنو أدوم وعمون وموآب وقبائل عماليقية ومديانية واسماعيلية ثم ظهرت بطون بني اسرائيل بين هذه الاقوام في طور سيناء وأطراف الحجاز وانتشرت منها الى الاقاليم الاخرى^(١) وبقيت هذه اللغة صاحبة السلطان والنفوذ مدة طويلة الى أن ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية وهي الآرامية ، فأخذت اللهجات العبرية والكنعانية الاصلية

The relation between Arabs and Israelites prior to the rise (١)

تضمحل مع التغيرات السياسية الى أن أصبحت أغلب بطون فلسطين وسوريا والعراق وطور سيناء تتكلم باللهجات الآرامية ثم أخذت هذه اللهجات في القرون الاولى ب. م تتدهور تدريجياً في أطراف الجزيرة العربية، وأخذت تنكش وتضاعل أمام الامة العربية التي كانت في ذلك الحين تمتد وتنتشر بسرعة حتى اضطرت بعض القبائل الآرامية والعبرية الى أن تختلط بالعنصر العربي الاصلى وتدمج فيه شيئاً فشيئاً^(١)

وقد كنت فكرت في أن أخص أقوام طور سيناء ببحث منفرد أكتشف فيه بعض ما غمض من أحوالهم معتمداً على بعض الاخبار التي وصلت اليانا من مراجع عبرية ويونانية قديمة ، وعلى بعض الاكتشافات القليلة التي ظهرت حديثاً عن هذه الاقوام البائدة ولكني رأيت أن في هذا خروجاً عن الموضوع الذي نحن بصدده ، فأجلت هذا البحث الى فرصة أخرى . . .

على أن سكان طور سيناء وأطراف الجزيرة العربية من جهة الشمال الذين تعتبر بلادهم كقنطرة طبيعية بين بلاد العرب وبين فلسطين وموطن بني اسرائيل ، قد أثروا تأثيراً شديداً في العرب وبني اسرائيل معاً ، فليس في استطاعتنا والحالة هذه أن نوفي موضوعاتنا حقها من البيان والتفصيل إلا بعد النظر الطويل والبحث العميق في تاريخ تلك الامم وحاجتنا الى هذا الموضوع في بحثنا هذا كحاجة الباحث في تاريخ

(١) راجع مقالا عن الامة الآرامية ولهجاتها المنشور في السلسلة الاسبوعية بتاريخ ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٦

روما القديم الى الامام تارنخ بطون وقبائل لاتينية ويونانية تديبة
عاشت في بلاد ايطاليا قبل تشوء مدينة روما



لقد صرح لي غير واحد من الاصدقاء بانهم يوجسون خيفة من
ثوران عواطف بعض الاندية من المسلمين واليهود من جراء التعرض
لموضوع الخلاف الذي نشأ بين الرسول ويهود يثرب ، وأن ميلنا الى
احدى الفئتين قد يكون سبباً في اثاره سخط الطائفة الاخرى
لكننا نعتقد أن رسالتنا موجهة الى طائفة المفكرين الذين
لا ينشرون دعوة خاصة في كتاباتهم ، بل يقصدون دائماً الى البحث المجرد
عن العواطف القومية والدينية

وما من أحد ينظر بامعان وانصاف الى حوادث اليهود والانصار
في يثرب دون أن تمنى نفسه بشعور الاجلال للفئتين ، لأن النضال
العنيف الذي وقع بينهما قد برهن على أن هذا النزاع كان من الأور
المقدرة في حسابان كل من تتبع الحوادث التي وقعت في المدينة بعد أن
هاجر اليها الرسول ، فقد كانت الضرورة الطبيعية لنجاح مشروعات
المسلمين تقضى حتماً بوقوع العراك الشديد بين الطرفين
ومن أجل ذلك فقد تغيرت الحالة تغييراً جوهرياً بعد أن انتهت
الخصومة السياسية بين الرسول وبطون يثرب ، حتى شرع اليهود ينظرون
بميوون الاكبار والاحترام الى جيوش المسلمين الى كانت تعمر كالسيل
أقطار العالم ونواحيه ، وكانت هذه الجيوش قد قضت على سلطة الدولة
الرومية في أقاليمها القاصية والدانية ، تلك الدولة التي ملأت تاريخها

بجوادب الظلم والفسف وإهراق الدماء مدة طويلة من الزمان .
 وقد كان اليهود فى أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش
 المسلمين بالحفاوة والأكرام لانهم كانوا يؤثرونهم على غيرهم إذ يرون
 فيهم قوماً يؤمنون بالله موسى وإبراهيم
 ولقد ازدادت هذه الروابط متانة مع امتداد الزمن حتى دخل
 اليهود فى جيوش المسلمين ليتناضلوا معهم فى أقاليم الاندلس
 وينبغى ألا يغيب عن البال أن الخسارة القليلة التى لحقت يهود
 بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس الى الفائدة التى اكتسبها المنصر اليهودى من
 ظهور الاسلام ، فقد انقذ الفاتحون المسلمون آلافاً من اليهود كانوا
 منتشرين فى أقاليم الدولة الرومية ، وكانوا يقاسون ألوانا شتى من العذاب
 زد على هذا أن اتصال اليهود بالمسلمين فى الاقاليم الاسلامية كان
 سبباً فى نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها فى تاريخ الآداب
 العربية والعبرية زمننا طويلاً . . .

ويجمل بنا أن نلقت الانظار الى أننا نسبنا كل ما لم يكن من رأينا
 سواء كان كبيراً أو صغيراً الى صاحبه وذلك قد يتطلب فى أغلب الظروف
 جهداً غير قليل

أما الآراء التى لم نسبها لغيرنا فهى بطبيعة الحال جديدة وبعضها
 عرضة للنقد والشك و نعتقد أنه لو رجحت صحتها لكان ذلك لنا مكافأة
 عظيمة يرتاح لها الضمير ويطمئن اليها الخاطر

— ك —

ولا يسفى بعد هذا الا أن أرفع خالص الشكر للقائمين بأمر الجامعة
المصرية وأساتذتها الأجلاء

وبهذه المناسبة أقدم تمنياتي الطيبة وعاطر ثنائى لحضرة الاستاذ
العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار الذى أسدى الى الكثير من
النصح والارشاد

أما رجل اليوم أستاذى الدكتور طه حسين الذى تفضل وقبل
الاشراف على رسالتى وبذل الكثير من وقته الثمين فى قراءتها فالى نبوغه
النادر المثال فى النقد يرجع الفضل فى هدايتى الى بعض دقائق هذا البحث
الذى أرجو أن يظفر برضاء القراء الكرام والسلام

اسرأيل ولفسوده
(ابو نؤب)

٢٤ يونيه سنة ١٩٢٧

نقدم جزيل الشكر الى لجنة التأليف والترجمة والنشر التى كلفت
نفسها مؤنة الاتقان على طبع كتابنا هذا ، وليس ذلك بغريب من هيئة
اللجنة التى جعلت ديدنها العناية والاهتمام بنشر العلوم والمصنفات

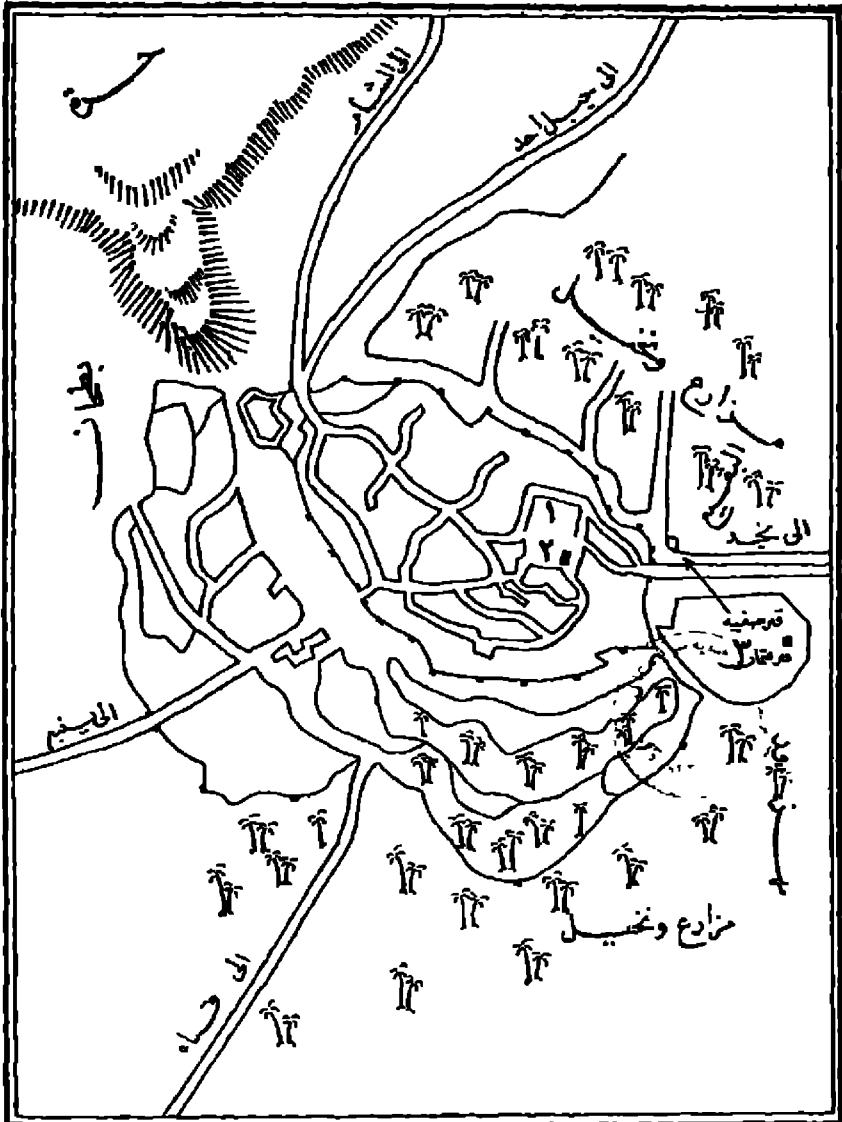
المؤلف

٢٥ يونيو سنة ١٩٢٧

المدينة المنورة (يثرب)

مقاس ١ : ١٢,٥٠٠

ملحوظات : (١) الجامع الكبير (٢) قبة النبي (٣) جبانات



الباب الأول

اليهود في بلاد الحجاز

تقسيم تاريخ بني اسرائيل في بلاد العرب الى طودين — مراجع البحث في الطور الاول — الموحدون للاله وعبدت الاصنام من بني اسرائيل في العهد القديم — أول هجرة اسرائيلية الى بلاد العرب — المس التاريخي — رأى بعض المستشرقين فيه — رأى المؤلف في هذه الهجرة — رأى قدماء مؤرخي العرب عن وجود قبائل اسرائيلية مأددة في الجزيرة العربية — صحف العهد القديم وحوادث بني اسرائيل في الجزيرة العربية قديماً — مهاجرة بطون يهودية من أوطانها الى الجزيرة في الطور الثاني — أسبابها — أشهر البطون اليهودية في بلاد العرب — تزولها في مواطن اليهود القدماء — انتشار الحركة الزراعية والتجارية والصناعية في الحجاز نشاط اليهود — الفرق بين الطورين في الاستعمار — سكوت المراجع لليهودية عن تاريخ بني اسرائيل في الجزيرة العربية — شكوك مؤرخي الافرنج في كثير مما ذكر مؤرخو العرب عن يهود الجزيرة — هل كان يهود الجزيرة من الوجهة الدينية مثل أبناء حلانهم ؟ — اعتناق بطون عربية للديانة اليهودية — بحث في أسماء القبائل اليهودية — رأى الباحثين — رأى المؤلف — حصون وآطام اليهود في بلاد العرب — أسماؤها العربية والعربية — المواد التي كان اليهود يتجرون فيها — شيوخ الرما عند اليهود والعرب — صناعة الصياغة عند يهود يثرب — سوق بني قينقاع — الدوائر الزراعية اليهودية في الحجاز — لمة اليهود في بلاد العرب — الرطامة اليهودية — الاحبار — القضاء عند يهود الحجاز — قلة اليهود — الصلاة — الصيام — تحلق اليهود ماخلاق العرب — منزله الشعر العربي عند اليهود — رأى الاستاذ الدكتور طه حسين في أثر اليهود الادبي في الجزيرة — رأى المؤلف في شعر اليهود اللزعة الشعرية عند اليهود والعرب — كيف احتفظ شعر اليهود — السموءل بن نادياه — آراء مؤرخي العرب فيه — الاب شيعو وديوان السموءل — تحليل شعر السموءل — أهم همامة السموءل — كم بن الاثرف — حياته وأشعاره — اشتراك النساء في الهضة الشعرية

رأيت أن أقسم تاريخ بني اسرائيل في بلاد العرب الى طودين أساسيين الطور الأول يشمل حوادث لبطن إسرائيلية مائدة في بلاد العرب والطور الثاني يتناول أخباراً لمجوع من اليهود كان لها شأن عظيم في تاريخ الجزيرة العربية

ويقف آخر الطور الأول عند نهاية القرن الخامس قبل الميلاد أما الطور الثاني فينتهي بإجلاء عمر بن الخطاب آخر الطوائف اليهودية من الجزيرة العربية وهذا التقسيم هو الشائع عند العلماء الذين كتبوا في تاريخ بني إسرائيل بوجه عام . ولستكم أولاً عن الطور الأول بقدره . أمكنتنا المصادر التاريخية التي استقينا منها معلوماتنا عن هذا الطور قانها مراجع قليلة تصطر الباحث الى بذل مجهود كبير حتى يستطيع أن يلقى شعاعاً من المور يخفف به من وطأة ظلامه الدامس

كان بنو إسرائيل في هذا الطور الأول يعبدون الله مع تقديسهم لبعض الأصنام على حين كانت طائفة منهم تعبد الله وحده مخلصين له الدين وهي طائفة الكهنة والأنبياء وبعض الطبقات من الاشراف والملوك والنقباء الذين آمنوا برسالة موسى واتبعوا شريعته (١)

وكان الموحدون للاله في بدء الأمر قليلين ولكنهم أخذوا يكثرون شيئاً فشيئاً على مرور الزمن وتوالي العصور حتى تأثرت العقلية اليهودية بالشريعة الموسوية ونضعت لها أفكار اليهود وامتلات بها قلوبهم وكان ذلك في بدء الطور الثاني بعد رجوع اليهود من السبي البابلي سنة ٥٣٨ ق . م .

ومن حيث أن المرجع الوحيد الذي يمكننا أن نستقي منه أخبار بني إسرائيل الى القرن الخامس ق . م انما هو كتاب العهد القديم فانه يجدر بنا أن نبحت فيه لنعرف منه على حوادث الطوائف الاسرائيلية التي سكنت بلاد العرب

نجدنا في « أخبار الايام » عن أول هجرة مشهورة في تاريخ بني إسرائيل الى بلاد العرب أن بطون بني شمعون سارت الى أرض طور سيناء مع ماتيتها لتبحث لها عن مرعى الى أن وصلت أرض قبائل عمان فاشتبكت معها في قتال عنيف

(١) راجع كتاب المؤرخ Klausner הכחודיה ישראלית - ١ ص ٨ وكتاب

العالم سحوني דברי ימי ישראל ١ ص ٣٠

انتبهي بنور بطون شمعون وتمزقهم لأقوام من الليطون المعانية شذر مندر (١)
ومع مالهذه الرواية من عظم القيمة في بحثنا فانتسا نرى فيها عموضاً وإيهاماً
إذ لا نستطيع أن نعلم منها متى نزلت بطون بني شمعون الى جزيرة العرب
غير أن العالم حوزى يحاول في مصنفه عن بني اسرائيل في مكة (٢) أن يثبت
أن الهجرة الشمعونية حدثت قبيل عصر الملك داود حوالي عام ١٠٠٠ ق م في
حين يعارضه المستشرق مرجوليوت في كتابه عن علاقة العرب بالبطون
الاسرائيلية قبل ظهور الاسلام (٣) ويقرر أنها لم تحصل الا في عصر الملك حزقياه
الذي حكم بلاد يهوذا من سنة ٧١٧-٦٩٠ ق م
وأما بعض المحدثين من العلماء والذين لا يريدون أن يخوضوا غمار المناقشة
مع هذين العالمين فلم يتعرضوا لما قالاه بنى أو إثبات ولكنهم يرون أنه لا يمكن
التعويل على هذه الرواية المنقولة من الكتاب المقدس لقلة النصوص التاريخية
القاطعة عن وجود بني شمعون حتى أن الذي يتلو صحف العهد القديم لا يجد شيئاً
عن قبيلة شمعون في تاريخ بني اسرائيل سوى رواية تدل على اشتراكها مع
بطون بني يهوذا في فتح فلسطين (٤) وسوى ما جاء عن نزوحها من الديار
الاسرائيلية

مثل هذه القول القليلة دفعت هؤلاء المحدثين من المستشرقين الى أن
يشكروا في أن تكون قبيلة شمعون هذه كان لها وجود في عالم الحقيقة (٥)
ولكننا نرى أن انكار وجود قبيلة شمعون أمر غير يسور وقد كان لها ١٢

(١) أخبار الايام صل ٤ آية ٣٨-٤٣

(٢) Dozy : Die Israeliten zu Mekka ٩٨ — ٤٠ ص

Margolioth : The relation between Arabs and Israelites (٣)

٥١ ص prior to the rise of Islam

(٤) قصاة فصل ١ آية ٣

(٥) Burney : Israel's settlement in Canaan ص ٣٧ — ٥٨

مدينة في جنوب فلسطين دخلت في حوزتها بعد استيلاء يوشع بن نون على
البلدان الكنعانية وأقامت فيها مدة طويلة (١)

على أن لدينا ملاحظة على الرواية المنقولة من كتاب أخبار الأيام عن هجرة
بنى شمعون طلباً للمرجى فقط وهي أننا نستبعد كل الاستبعاد أن تنزح جميع بطون
شمعون من فلسطين تاركة مدنها وثروتها مرة واحدة وفي وقت واحد الى بلاد
أخرى ليست أحصب من بلادهم بدرجة كبيرة بل ليست هناك فوارق طبيعية
بين البلاد وقد تكون البلاد التي تقول الرواية إتهم ساروا اليها طلباً للمرجى أتد
اجداً من بلادهم التي رحلوا عنها ثم لا يعودون الى موطنهم الذي منه نشأوا وفيه
عاشوا على كر الزمن ومرور الأيام

معقول أن تزحج سنو المحل والقسط الناس عن مواطنهم وتضطرم الى أن يرحلوا
عنها ليجدوا ما يفتنون به ولكنهم لا يرحلون عن بلادهم جملة واحدة ولا يقصدون
جهة معينة وهم مجتمعون بل يتفرقون هنا وهناك وتقصد كل فئة ناحية من النواحي
المحيطة والقريبة منها ليأخذوا ما يستطيعون الحصول عليه من أسباب العيش ثم
لا يلبثون أن يعودوا الى بلادهم وموطنهم ليستأنفوا فيه الحياة الهادئة الودعة
أما أن يخرجوا من بلادهم جملة واحدة ويقصدوا جهة معينة وهم جماعة ولا
يعودوا الى بلادهم مطلقاً فهذا ما لا يكاد يوجد في تاريخ بني اسرائيل

ولو أغضينا النظر عن كل هذه الاعتبارات وفرضنا صحة هذه الرواية
وصدقنا أن هذه الهجرة قد وقعت كما يصورها لنا النص المنقول من سفر أخبار
الايام فانتا نعتقد أن تكون قد حدثت في زمن قديم جداً في القرن الثاني عشر
ق . م . على أقل تقدير اذ لم يكن بنو اسرائيل قد عرفوا بعد تدوين الحوادث
التي تقع لهم في صحف، أي أنها حدثت في زمن غير بعيد من عهد الاحتلال
الاسرائيلي للبلاد

(١) كتاب يوشع بن نون فصل ١٩ آية ١-٩ وصحف الاخبار ج ١ فصل ٤ آية ٢٨

وكما أن حوادث الفتح لم تصل إلينا واضحة واقية كذلك وصلتنا أخبار شعوب
في روايات غامضة وذلك لأن بني إسرائيل بعد توغلبهم في فلسطين بقوا زمنا غير
قليل مختلفين بصفات ومميزات سكان الصحارى في أخلاقهم وعاداتهم وقاليدهم
ونفورهم من كل أنواع التغيير والتجديد

وقد مضت عليهم قرون عدة وهم في همجيتهم الاولى حتى دار الزمن دورته
وأخذت الاحوال الاجتماعية والادبية تتبدل وتحول الى أن ظهر عند الشعراء
والمفكرين ميل شديد الى تدوين أخبار العصور الماضية وذكر أيام القبائل
الاسرائيلية وبيان أوطانها التي نزحت عنها والظروف التي دعت الى تركها وكان
غرضهم من ذلك أن يحافظوا على أنسابهم وأن يشيدوا بما كان لهم من مجد وسؤدد
أما فيما يتعلق ببلاد وقبائل معان فإن المستشرقين قد اتفقوا على أنها قد
سكنت بين جهات يثرب ومكة ويعتمدون في ذلك على أقوال الجغرافى سترابو
الذى جاء باسماء دول الجزيرة العربية مرتبة على هذا المنوال :

قبائل معان وعاصمتها قرنا

قبائل سا وعاصمتها مارب

دولة نمنا وكانت في جهات باب المنعب

مملكة حضرموت وعاصمتها سبوة

ويتصح من وصف بلينيوس (Plinius) لاهل معان أنهم كانوا على جانب
عظيم من القوة والبطش وكثرة العدد ووفرة المال^(١) ويسرد لنا العالم جلازر
(Glaser) في كتابه الذى صنفه عن بلدان الجزيرة العربية حوادث كثيرة لبطون
معان وعلاقتها مع أمم فلسطين وأساس بحثه قائم على منقوشات قديمة عثر عليها في
جهات مختلفة من تلك الاصقاع^(٢)

(١) دوزى ص ٦٦ - ٦٨ مرجوليوت ص ٥١

Glaser : Skizzen und Geschichte Arabiens bis (٢)

وتذكر لنا صحيف العهد القديم من أخبار بني إسرائيل عدا هذه الهجرة أن بلاد طورسينا وشمال الجزيرة بوجه عام كانت ملجأ يقصد إليه كثير من بني إسرائيل الذين كانوا يفرون من وجه الملوك والحكام الظالمين^(١) ثم في عهد الملك بختنصر فإنه حين غزا أورشليم قصدت جموع من اليهود أرض الجزيرة^(٢) ولم تغفل المصادر العربية الإشارة إلى أن قبائل اسرائيلية كانت تسكن بلاد العرب منذ زمن قديم جداً فقد قال صاحب الاغانى « كان ساكو المدينة في أول الدهر قبل بني اسرائيل قوماً من الامم الماضية يقال لهم العاليق وكانوا قد تفرقوا في البلاد وكانوا أهل غزو وبغى شديد وكان ملك الحجاز منهم يقال له الارقم ينزل ما بين تيماء الى فدك وكانوا قد ملأوا المدينة ولم بها نخل كثير وزرع وكان موسى بن عمران قد بعث الجنود الى الجبارة من أهل القرى يفرونهم فبعث موسى الى العاليق جيشاً من بني اسرائيل وأمرهم أن يقتلهم جميعاً اذا ظهروا عليهم ولا يستبقوا منهم أحداً فقدم الجيش الحجار فأظهرهم الله على العاليق فقتلهم أجمعين إلا ابناً للارقم كان وضيئاً جميلاً فصنوا به على القتل وقتلوا نذهب به الى موسى فيرى فيه رأيه فرجعوا الى الشام فوجدوا موسى قد توفي فقالت لهم بنو اسرائيل ما صنعتم فقالوا أظهرنا الله عليهم فقتلناهم ولم يبق منهم أحد غير غلام كان شاباً جميلاً فنفسا به عن القتل وقتلنا نأى به موسى فيرى فيه رأيه فقالوا لهم هذه معصية قد أمرتم ألا تستبقوا منهم وأن لا تدخلوا عليها الشام أبداً فلما صنعوا ذلك قالوا ما كان خيراً لنا من منارل القوم الذين قتلناهم بالحجار نرجع اليها فنقيم بها فرجعوا على حمايتهم حتى قدموا المدينة فزولها وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود للمدينة^(٣)

(١) ملوك ١ - فصل ١٩

(٢) أرميا فصل ٤٠ آية ١١

(٣) الاغانى ج ١ - ص ٩٤ (ان مؤرخى العرب لم تكن لديهم كتب لتقدمهم فذلك

ويضيف ابن خلدون الى هذه الرواية أنه يشك في صحتها لأنها لم توجد عند اليهود ولأن اليهود لا يعرفون هذه القصة (١)

ثم يحدثنا ابن خلدون أن داود لما خلع بنو إسرائيل طاعته وخرجوا عليه فر مع سبط يهوذا الى خيبر وملك ابنه الشام وأقام بخيبر الى أن قتل ابنه وعاد الى وطنه فيظهر من هذا أن عمراة كان متصلا بئرب ومجاوزها الى خيبر (٢)

غير أننا نرى أنه لا يمكن التعويل على أقاصيص من هذا النوع سردتها المراجع العربية على أنها أساطير شائعة وروايات غير جديرة بالاعتقاد عليها وإذا لم يكن مؤرخو العرب قد استطاعوا أن يصلوا الى أخبار ثابتة موثوق بها عن بني النضير وقرية متى كان ظهورهم في بلاد العرب فكيف يستطيعون أن يصلوا الى أخبار حقيقية عن طوائف إسرائيلية قديمة بادت واندثرت من قبل أن يوجد بنو النضير وقرية ؟ ...

كذلك لا يمكننا أن نطمئن الى الاخبار القليلة التي نصت عليها بطريقة غير مواترة صحف العهد القديم عن وصول جموع إسرائيلية الى الجزيرة العربية ولا نستطيع أن تثبت هذه الأخبار اثباتاً حقيقياً

وإما الذي يمكننا أن نقوله على سبيل الظن اعتماداً على هذه الأخبار هو أن القدماء قد اعتقدوا أنه قد وجدت في جهات بئرب وخيبر بطون إسرائيلية قبل وصول جموع اليهود الى الأصقاع العربية في الدور الثاني

ويؤيد هذه النظرية ما نلجده في كتاب العهد القديم من النص على وجود علاقة

وهم إما يولون على ما رأوا في سفر المدد من حروب بني إسرائيل والمديين والاموريين وغيرهم ويتوسعون في ذلك الى أرض الحماز ويريدون على ما عهد الاسرائيليين بنير سلطان أتايم (رأى الاستاذ الشيخ النجار)

(١) تاريخ ابن خلدون جزء ٢ ص ٨٨

(٢) تاريخ ابن خلدون جزء ٢ ص ١٨٦ اما رواية ابن خلدون أن داود ذهب الى

خيبر فلا يوجد ما يثبتها وداود لم يجاور محام

متينة بين بلاد فلسطين وبلاد الجزيرة العربية

كانت فلسطين بمثابة القنطرة التي تربط بلاد العرب وسورية من جهة ومصر والعراق من جهة أخرى وكانت القوافل العربية تأتي من بلادها الى أسواق مدن بني اسرائيل وكنعان^(١) وكان تجار اليهود يرحلون الى سبأ في عهد سليمان وبعده^(٢) كذلك نعلم ان بعض ملوك بني اسرائيل انتصروا وانتصارات باهرة على قبائل عربية وعمالة غزوها وانهم واصلوا غزواتهم حتى وصلوا الى أرض الجزيرة^(٣) ونعلم أيضاً ان مدينة العقبة (ايلة) كانت في عصر من العصور مستعمرة يهودية^(٤) والخلاصة ان عناصر اسرائيلية يظن انها قد هاجرت من ديارها الى الاقاليم العربية في عصور مختلفة ولأسباب تتي غير انها هاجرت كما هاجرت قبائل عربية كثيرة ولم يبق من آثارها سوى اسمها

وقد حاول بعض المستشرقين ان يجدوا علاقة بين حوادث وقعت لقبائل عربية بائدة من جرم وغيرها وبين اخبار رويت عن بطون اسرائيلية قديمة كانت في الجزيرة العربية^(٥) ولولا قبح الاعتماد على الحدس والتخمين لتابعت من كتب في هذا الباب من المستشرقين ولكي أؤثر الاحتياط وافضل الاكتفاء بهذا المقدار لا نتقل الى الكلام عن طور اليهود الثاني في بلاد العرب

أحدثت جموع كثيرة من اليهود في القرن الاول والثاني بعد الميلاد تهاجر الى الأرجاء العربية عموماً والى الزبوع الحجازية بسوء خاص ولا شك انه كانت هناك أسباب دعت هذه الجموع الى ترك أوطانها والزوح معها الى البلاد العربية ويمكننا ان نلخص هذه الأسباب فيما يأتي :

(١) حزقياء فصل ٢٧ آية ٢١

(٢) ملوك جرم ١ فصل ٩ آية ٢٦

(٣) صموئيل ٢ جزء ١ فصل ١٥ وأخبار الايام جزء ٢ فصل ٢٦ آية ٧

(٤) ملوك جرم ١ فصل ٩ آية ٢٦ ملوك جزء ٢ فصل ٢٦ آية ٢

(٥) دوري ص ٩٤ — ١٩٥

(أ) زيادة عدد اليهود في فلسطين، زيادة مطردة، جعلت البلاد يفيض عن أن تسعهم وتنفس لهم في سبيل الحياة وقد بلغ خذهم في ذلك الحين أكثر من أربعة ملايين نسمة وهو عدد كبير لا تتسع له بلاد ضيقة كفلسطين فاضطروا بحكم هذه الزيادة المستمرة والنمو المطرد أن يهاجروا إلى ما حولهم من البلاد المجاورة لهم كعصر والعراق والجزيرة العربية (١).

(ب) حدث حوالي القرن الأول ق. م ان هاجمت الدولة الرومانية بلاد فلسطين وقوضت أركان الدولة اليهودية المستقلة فيها وأخضعها لسلطان النسر الروماني الذي قبض على زمام الحكم بيد من حديد ولكن النفور والاستياء في نفوس اليهود كان شديدا إلى حد أن القن والثورات العنيفة كانت تشتعل نيرانها من حين إلى آخر وكان الرومان يقمعون تلك الثورات بشدة وقسوة تزيد النفور وتضاعف الاستياء فاضطر من لم يكن يستطيع البقاء في البلاد مع هذه الأحوال القاسية ان يلجأ إلى أرض الجزيرة العربية التي كانت أحب إليهم من غيرها نظرا لانظمتها البدوية الحرة ونظرا لوجودها في أقاليم رملية بعيدة تعوق سير القوات الرومانية المنظمة وتمنع توغلها

(ج) بعد حرب اليهود والرومان (٧٠ ب. م) التي انتهت بخراب بلاد فلسطين ودمار هيكل بيت المقدس وتنت اليهود في اصقاع العالم قصفت جموع كثيرة أخرى من اليهود بلاد العرب المرابا التي ذكرناها كما بجدتنا بذلك المؤرخ اليهودي يوسف الذي شهد تلك الحروب وكان قائدا لبعض وحداتها

و تؤيد انصادر العربيه كل هذا فقد ذكر صاحب الاغانى انه لما ظهرت الروم على بنى اسرائيل جميعا بالتمام فوطنوهم وقتلوهم وبكحوا نساءهم خرج بنو الضير وبنو قريظة وبنو بهدل هار بين مهمم الى من بالحجار من بنى اسرائيل لما غلبتهم الروم على الشام فلما فصلوا عنها بأهليهم سث ملك الروم في طلبهم

ليردم فأعجزوه وكان ما بين الشام والحجاز مفاوز وصحارى لا نبات فيها ولا ماء فلما طلب الروم التمر انقطعت أعناقهم عطشا فأتوا وصحى الموضع ثم الروم فهو اسمه الى اليوم^(١)

وتتلخص آراء بقية مؤرخى العرب فى أن جموع اليهود فى الجزيرة العربية قد زانت وكثرت بعد اضطهادات الرومان لليهود وقد يجوز أن تكون هذه الروايات اتصلت بالعرب من يهود يثرب وخيبر

وإذا صح ما روينا سابقاً عن تاريخ اليهود فى الجزيرة العربية فى السور الاول كان مؤيداً للرأى الذى يقول إن المهاجرين فى اللور الثانى قد توجهوا فى بادىء أمرهم الى الجهات التى كانت مسكونة بطوائف إسرائيلية من زمن قديم

وقد كان لليهود الى عصور اللور الثانى بصع مستعمرات صغيرة فصارت بعد ذلك الحين كبيرة وكثيرة وظهرت مدن وقرى جديدة وآطام وحصون على رؤوس الجبال وانتشرت الحركة الزراعية فى الاراضى التى كانت منذ ألوف من السنين قاحلة ماحلة لان اليهود كانوا يشتغلون فى موطهم الاصلى بالزراعة قبل كل شىء وكانت فلسطين غنية بمحاصلات القمح والشعير والزيتون والتمر والنبغ وكانت تصدر كثيراً من تلك المحاصلات الى جهات مختلفة مند عصور قديمة

كذلك انتشرت الحركة الصناعية والتجارية وانشئت أسواق عديدة يهودية ومن هنا يمكننا أن نستنتج أن الاستعمار الجديد لم يقم على حد الظبا ولم يؤد الى طرد قبائل عربية أصلية من موطنها كما حدث فى اللور الاول الذى استأصل فيه الفانجون من بنى إسرائيل تآفة بطون معينة وغيرها وانما الذى حدث فى اللور الثانى أن ضيقاً مصطرين نزلوا على ابناء جلدتهم فاستسلمهم هؤلاء بالغاوة والرحيب اذ كانوا يعلمون أنهم فارون من محالب السر الرومانى وسهل الامتراج بين هؤلاء وهؤلاء بحكم القريرة الجنسية والعاطفة الدينيه وتعاون الجميع

على العمل في سبيل الحياة فتجمعوا وأثروا وكان لهم في بلاد العرب شأن عظيم
ويجب ألا يغيب عن البال أن جهات يثرب ووادي القرى كانت غير أهلة
بكثير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي الى وديانها في أوقات معينة من
السنة كتوافل راحلة مع إبلها لتأكل من أعشابها ثم تنزح عنها الى جهات أخرى
وبطبيعة الحال كان لليهود في دورهم الثاني بالجزيرة حوادث تاريخية ذات شأن
بحكم عوامل التغيير والاقبال وبحكم اختلاف الامزجة وتعارض الاهواء
وتضارب المصالح فقد كان عددهم كبيراً بحيث يمكن اعتبارهم أمة قائمة بذاتها
يصيبها من ضرورات الاجتماع ما يصيب غيرها ويحدث بينها وبين جيرانها العرب
ما يحدث بين أية أمة أخرى وبين من يجاورها من الامم ومع هذا فاننا نجد
المصادر الاسرائيلية خالية من ذكر شيء عن تاريخ اليهود في ذلك الدور وسأكتة
عن التحدث عنهم سكوتاً تاماً كأن لم يكن هناك يهود وكان لم تحدث لهم حوادث
وكان هذا السكوت موضع العجب عند الباحثين إذ هم يعلمون أن الامة الاسرائيلية
كانت كثيرة التدوين في كل عصورها مغرمة بجمع حوادثها وأخبارها في كل
البلاد التي نزلت بها جموع منها

وها هي مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق والفرس
ومصر واليونان والرومان نجد فيها كل ما نتطلع اليه من اخبار اليهود في تلك البلاد
في حين لانكاد نجد مؤلفات عبرية عن يهود العرب الا تبتاً ضئيلاً جداً
لا يتجاوز بضعة نصوص اندمجت في بعض الكتب اندها عارضياً غير مقصود
ولا شك أن هذا مما يضاعف عناء الباحث ويسد في وجهه سبل الكشف

عن نواحي الحياة عند يهود الجزيرة العربية

ولكننا نستطيع أن نستنتج من هده الناحية نفسها نتيجة ذات شأن وهي أن
سكوت المراجع الاسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربية يدل
دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الاقطاع عن بقية

أبناء جنبسوم في جهات العالم ولم تكن لهم بهم أية صلة وكان الجزير قبالي انفردت
قبائلها وأقطعت عن العالم التمدن انقطاعاً كلياً قضت على كل من يسكنها من
اليهود ان يكون مثل أبنائها وان يقطع كل علاقة بينه وبين يهود البلدان الأخرى
ومما لا شك فيه أن الصفات المدنية التي كانت لليهود قد زالت منهم بعد
استيطانهم بلاد العرب الصحراوية البعيدة عن كل حركة عمرانية وضعت فيهم
تلك الوراثة الروحانية التي حملوها معهم الى كل بلد نزحوا اليه وأخذوا ينزلون من
أوج المدينة والحضارة شيئاً فشيئاً حتى وقصوا في هوة المهجية وصاروا مثل غيرهم
من سكان تلك الجزيرة المنزولين عن جميع العالم والمكتفين بأبسط أنواع الحياة
وان أمة تغفل تدوين تاريخها وتهمل المحافظة على نتائج قرائمها لتورثها
لخلفها لا يلة حتماً الى أخط أنواع المهجية مهما كانت درجتها في الحضارة
والعمران^(١)

لم يظهر شيء من النبوغ والبقية في يهود بلاد العرب مطلقاً ولم تشهر من
بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقى الفكرى وان كان اليهود بوجه عام أرقى
وأقرب الى المدنية من بقية العرب هذا مما لا يشك فيه أحد من مؤرخى العرب
وعلماء الأفرنج ولكن يظهر أن البيئة الجديدة شلت قوى اليهود الروحانية
فتغلبت عليهم العقلية البدوية حتى صارت صاحبة السلطان على أفكارهم
ونفسياتهم

وكما نرجع الى المصادر العربية في أثناء بحثنا عن حياة العرب في الجاهلية
كذلك نستمد منها أخبار اليهود في تلك العصور
وإذا كلف تاريخ القائل العربية فيها قد وجد مشوهاً تشويهاً غير قليل

(١) على أن هذا لم يبق احتمال وجود كس في التاريخ والدين دوماً لليهود في بلاد الحطار
ولكنها ضاعت في عصر الحروب التي حدثت بين اليهود والمسلمين في المدينة

فكذلك أختار اليهود فيها تشبيل على منالناث كثيرة لا يمكن أن يعتمد عليها
المؤرخ المحقق

ولا ريب أن كل أمة تكتب تاريخها كما تحب ونهوى لا كما تريد الحقيقة
المجردة عن كل غرض فهي تجتهد في أن تصور الوقائع والحوادث التي تقع بينها
وبين أية أمة أخرى بالصورة التي تظهرها كأنها أمة قد اجتمعت فيها كل المزايا
والصفات المحمودة في حين تصور خصومها بشكل يدل على أنهم قد جمعوا كل
الصفات المدمومة

ومن أجل هذا نجد مؤرخي المسلمين قد شنوا الفارات القلمية بعد الخسومات
السياسية والدينية على قريش الوثنية والطوائف اليهودية لان الرائد الأسمى في
تدوين المسلمين لآخبار الخسومات كان قبل كل شيء. ذكر مجد القاهر وذل
المقهورين ولو وصلت إلينا أخبار الحوادث التي وقعت بين العرب واليهود في
الجزيرة العربية من مصادر اسرائيلية لكان من الممكن بواسطة المقارنة بينها
وبين المراجع التاريخية العربية أن نستخلص حقائق تاريخية ثابتة

وهناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث ب. م .
انهم كانوا يسكرون وجود يهود في الجزيرة العربية ويقولون ان الذين يعتبرون
أنفسهم من اليهود في جهات خبير ليسوا يهودا حقا اذ لم يحافظوا على الديانة
الالهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلعود خضوعا تاما (١)

وكان العالم شير يعتقد أن اليهودية في بلاد العرب كانت لها صبغة خاصة . كانت
يهودية في اساسها ولكنها غير خاضعة لكل ما يعرف بالقانون التلودي (٢)
وبجدتنا صاحب الاغانى عن الأماكن التي نزل بها اليهود في الدور الثاني فيقول:
لما قدم بنو النصر وقریظة وهدل المدينة نزلوا الغابة فوجدوها وبيئة فكرهوها

(١) Graetz ٣٠٠ ص ٧٥

(٢) ٣٠٣ ص ٥١

ويشوارا ثمدا أمره أن يلتصق بهم نزلا سواها فخرج حتى أتى العالينة وهي بطحان ومهزور واديان من حرة على تلاح أرض عذبة بها مياه عذبة تنبت حر الشجر فرجع اليهم فقال قد وجدت لكم بلدا طيبا نزها الى حرة يصب فيها واديان على تلاح عذبة ومدرة طيبة في متأخر الحرة فتحول القوم اليها من منزلهم قزل بنو النضير ومن معهم على مهزور وكانت لهم تلاحه وما تبقى من بعث وعموات فكان ممن يسكن المدينة حتى نزها الاوس والخزرج من قبائل بني اسرائيل بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو محم وبنو زعورا وبنو زيد وبنو النضير وبنو قريظة وبنو جهل وبنو عوف وبنو القصيص فكان يسكن يثرب جماعة من أبناء اليهود فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود وكل هناك معهم من غير بني اسرائيل بطون من العرب منهم بنو الحرمان حتى من اليمن وبنو مرثد حتى من بلي وبنو نيف حتى من بلي أيضا وبنو معاوية حتى من بني سليم ثم من بني الحارث بن بهثة وبنو الشظية حتى من غسان (١)

وبقيت هذه الطون العربية على أديان آباها القديمة ولم تعتق اليهودية فعدت من موالى اليهود

وكانت هناك قرى كثيرة في أرض خيبر الواقعة شمال يثرب أهلة بأكثرية مطلقة من اليهود ثم هناك وادي القرى المشهور بارضه الخصبه وحدائقه الزاهرة كان أيضا من المستعمرات اليهودية ووجد اليهود أيضا بكثرة في أرض تباه

ومن هذا يتضح ان جموع اليهود كانت منتشرة في شمال الحجاز ويظهر جليا من أقوال بعض مؤرخي العرب (٢) ان بطونا عربية كثيرة قد اختلطت بالنصر اليهودي في بلاد الحجاز وأثرت في أخلاقه وعاداته تأثيرا ظاهرا ولكنها لم تستطع أن تتغلب على عقلية الأصلية بل بقي هذا المنصر ممتازا

(١) جزء ١٩ ص ٩٥ الاغان

(٢) راجع ما نقلناه من كتاب الاغانى عن يوم بعث في الباب الثالث

بعقليته امتيازاً ظاهراً:

ويتنكر المؤرخ اليعقوبى وجود طوائف يهودية أصلية كثيرة في الحجاز بل يعتقد أن أغلبها من العنصر العربى وأقلها من العنصر اليهودى ويقول ان بنى النضير نحد من جذام الا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير فسموا به ونزل بنو قريظة بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه (١)

ولكن من جهة أخرى نجتهد طائفة من المؤرخين الافرنجى فى أن نجد لبعض أسماء القبائل اليهودية اشتقاقاً عبرياً (٢)

على أن الاستدلال ببحث لنوى كهذا على جنسية اليهودى فى بلاد العرب لا يمكن أن يعتمد به أو يعول عليه فن الحق ان أسماء أ كثر القبائل اليهودية عربية محضة كما يقول اليعقوبى ولكنها لا تدل على أنها عربية الجنس اذ يمكن أن تكون جموع اليهود التى هاجرت الى بلاد العرب قد اتخذت أسماء الأمكنة التى نزلت بها أسماء لها بل الواقع ان اليهود فى دورهم الثانى لم يكونوا يعرفون بانسابهم بل عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والأقاليم التى جاءوا منها فكان يقال مثلاً فلان الاورثلىسى والآخر الحبرونى وهكنا . . . نعم كان بنو اسرائيل فى دورهم الأول ينتمون الى قبائلهم فكان يقال مثلاً فلان من سبط يهوذا والآخر من قبيلة افرايم وكان اليهود فى وطنهم الاصلى قبل ان تحمل بهم تلك الرزايا التى شتتت شملهم ووقفتهم أيلدى سبا قد وصلوا الى درجة عظيمة من المدنية والحضارة وبلغوا مكاناً علياً فى الرقى الروحانى والاجتماعى حتى أتمحى من بينهم نظام القبائل وصاروا أمة واحدة مدمجة اندماجا كلياً حتى نسى الافراد فكرة التفاخر بالانتساب الى قبائلهم ونسبت القبائل عادة الاقبياض والاحتراس من أن تختلط دماؤها بدماء القبائل الأخرى بل أصبح المجموع للافراد والافراد للمجموع كما هو شأن جميع الأمم التى تنتقل من طور البداوة الى طور الحضارة

(١) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٤٩—٥١ طبع ليدن

(٢) ٣٦٤ ج ٣ ص ٧٦

ويُقد أشار التلمود الى مسألة الانساب الاسرائيلية حينئذ انها ضاغت
وذكر ان سبب ضياعها هو ان الملك هرودس اليهودي أحرق كتب الانساب
الاسرائيلية (١)

ومن هنا نعرف السبب في أن اليهود الذين نزحوا الى بلاد العرب لم يكونوا
باكثر من أنهم يهود فحسب وفي أنهم لم يكونوا يتمايزون فيما بينهم الا باسماء الأماكن
التي جاءوا منها

والطريقة المثلى لمعرفة جنسية اليهود في بلاد العرب إنما هي النظر في الاخلاق
والتقاليد وأنماج الافكار والاعمال

ومن هذا السبيل نستطيع أن نحكم بان يهود يثرب خصوصاً وشمال الحجاز
عموماً أقرب الى العنصر اليهودي منهم الى العنصر العربي نظراً لما وصفهم القرآن
السكريم

أقام اليهود الحصون والآطام على قمم الجبال ليتحصنوا بها في أوقات
الحروب حين يغزوم الاعراب الطامعون في أموالهم وحاصلاتهم الزراعية أوجين
تغزوم بطون يهودية أخرى لسبب من الأسباب

ويرجح أن فكرة إقامة الحصون والآطام على قمم الجبال في شمال الجزيرة
العربية إنما أتت بها اليهود من وطنهم الاصلى الذي كثرت في جباله الحصون المنيعة
ومن هذه الحصون التي أقامها اليهود في بلاد العرب حصن الأبلق للسموئل
وحصن القموي لبي أبي الحقيق وحصون السلام والوطيح وناعم وسعد بن
المعاذ الخ . . .

وقال السهودي ان قبائل اليهود تنيف على العشرين وعدة آطامهم وآطام
من نزل معهم من العرب تزيد على السبعين جاء النهي عن هدمها (٢)

(١) دسחים סב

(٢) خلاصة الرواء أخبار دار العسفي ص ٨٠

ومع ان أغلب أسماء البلدان والأماكن التي سكنها اليهود في الحجاز كانت عربية فقد وجد بعضها اتصال باللغة العبرية مثل وادي بطحان فان معناه بالعربية الاعتماد ووادي مهرور أو محزور معناه مجرى الماء وقال السهمودي سمران جبل بخير صلى النبي على رأسه والعامّة تسميه مسمران وضبطه بعضهم بالشين المعجمة (١) فاذا علمنا ان في فلسطين جبلا يسمى سمران أمكننا أن نستنتج أن سمران هذا انما هو لفظ عبري أطلقه اليهود على ذلك الجبل بعد ان نزولوا بجانبه

ويؤكد صحة هذا الاستنتاج ما قاله السهمودي من ان بعضهم ضبطه بالشين المعجمة . ثم بئر أريس فانها نسبة الى رجل يهودي اسمه أريس بلغة أهل الشام (٢) ولكننا نعتقد أن هذا الاسم في الأصل غير علم بل هو نكرة يطلق في اللغة العبرية والآرامية على الفلاح الحارث . وبئر روما اشتراها عثمان من يهودي (٣) ومعناها بالعبرية البئر العالية (٦٥٦ ٦٥٦)

وانما ذكرنا هذه الطائفة من الأسماء وبيننا علاقتها باللغة العبرية لنستدل منها على أن اليهود في بلاد العرب لم يقطعوا صلتهم بلغتهم الأصلية والعلماء المؤرخون يهتمون بمثل هذه المسائل ليستدلوا بها على مبلغ تأثير اللغة العبرية في اليهود وليتوصلوا الى معرفة موضوعات مختلفة من تاريخ العرب في الجاهلية وفي عصر ظهور الاسلام

أدخل اليهود الى بلاد العرب أنواعاً جديدة من الأشجار وطرقاً جديدة للحراثة والزراعة بالآلات حتى عدوا من أجل هذا أساتذة لعرب الحجاز (٤)

(١) ص ٢٨١ خلاصة الوفاء

(٢) خلاصة الوفاء ص ٢٢٦

(٣) ص ٢٣٢ خلاصة الوفاء

(٤) Wellhausen · Skizzen & Vorarbeiten Heft 4 ص ١٤

ومنهم من حفر الآبار في الأراضى العالية (١) ومن أجل هذا كانت أراضيبهم
أخصب بلاد العرب .

وكان اليهود يشتغلون بتربية الماشية (٢) والدجاج (٣) وكانوا في جيات مقنا
يشتغلون بصيد الأسماك وكانت نساؤهم تشتغل نسيج الأقمشة (٤)

وكانت التجارة بنوع خاص من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار
لبعضهم فيها شهرة عظيمة وصيت بعيد كابي رافع الخيبرى الذى أرسل بضاعته
بواسطة القوافل الى الشام واستورد منها الأقمشة المختلفة (٥)

ويمكن أن يقال ان تجارة البلح والشعير والقمح كانت خاصة بهم في شمال
الحجاز . ونظراً لما كان عندهم من مال وثروة فقد كان كثير من الأعراب يرهنون
عندهم بعض الأمتعة ليستدينوا منهم ما يحتاجون اليه (٦) كما يقال عن النبي محمد
انه رهن درعاً بالمدينة عند يهودى وأخذ منه شعيراً لاهله (٧)

وكان أخذ الربا شائعاً عندهم حتى أن القرآن وجه اليهم بسببه أتد تفرغ
وأعنف تأنيب « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدمهم
عن سبيل الله كثيراً وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل
وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » (٨)

ولكن العامل بالربا في تلك المصوّر لم يكن خاصاً بهم بل كان العرب جميعاً
يتعاملون به ولا يرون فيه شيئاً معيباً مطلقاً بل كانوا يعتبرونه نوعاً من البيع وكان

(١) Wustenfild : Geschishte der Stadt Medinah ص ٢١

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٨٥

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٨٢

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٦٠

(٥) تاريخ الخميس للديار بكرى جزء ٢ ص ١٢

(٦) البحارى جزء ٢ ص ١١٦

(٧) البحارى جزء ٢ ص ١٦ و ٤٥

(٨) سورة النساء ١٥٨

للمعامل بالربا في مدينة الطائف شهرة فاققة عند جميع مدن الحجاز^(١) وكذلك كان نصارى نجران يتعاملون بالربا^(٢)

ومن الصناعات التي كان اليهود في بلاد العرب يزاولونها صناعة الصياغة التي اشتهر بها بنو قينقاع اذ لم يكن لهم صناعة سواها وكان لهم في يثرب حتى خاص يعرف بجي بنى قينقاع

وقد جاء في الاغانى أن النابغة الذبياني أقبل الى المدينة يريد سوق بني قينقاع فلما أشرف على السوق سمع الضجة وكانت سوقا عظيمة فخاصت به ناقته فأنشأ يقول: كادت تهال من الأصوات راحلتى . . . ما رأيت كاليوم قط لولا أنهنهنهتها بالسوط لاجتذبت ، قد ملت الحبس في الآطام واتتمعت^(٣)

وكانوا يزاولون صناعة السيوف والدروع وسائر الآلات الحديدية التي كانت معروفة في بلاد الجزيرة في ذلك الزمن^(٤)

ولا غرو أن يكونوا كذلك فان صناعة الدروع المسرودة اشتهر بها داود (وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد) سورة سبأ

أما الزراعة فكانت مهنة بقية البطون التي كانت تعيش في القرى وكانت مجموعة الدوائر الزراعية لتلك البطون هي التي تكونت منها مدينة يثرب كما يتضح ذلك من وصف السهمودي للمدينة^(٥)

وكذلك كانت الحال في خيبر وفي وادي القرى وتباه التي اشتملت على أرياف كثيرة

(١) فتوح البلدان ص ٥٦

(٢) فتوح البلدان ص ٦٤—٦٦

(٣) هذه الشطرات مأخوذة من الاغانى جزء ٢١ ص ٦٢ وهي هاك حوار بين النابغة والربيع ابن ابي الحقيق وقد اكتبها بيده الاشارة مراعاة للسباق

(٤) كتاب العمارى لواقدي ص ٢٧٢

(٥) خلاصة الوفاء للسهمودي ص ٨٠

وفوق ذلك فقد كان لليهود تنف نفون القتال والنصال وقد اشتركوا مع العرب في بعض حروبهم المشهورة

ويتضح لنا من جواب بني قينقاع الذي بعثوا به الى الرسول بعد يوم بدر انهم كانوا ذوى قوة وبطش إذ يقولون فيه : يا محمد لا يعرفك انك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم الفرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن الناس (١) كذلك نجد عبد الله بن أبي يفتخر بشجاعة مواليه بني قينقاع ... (٢)



أما لغة اليهود في بلاد العرب فكانت بطبيعة الحال اللغة العربية ولكنها لم تكن عربية خالصة بل كانت مشوبة بالرطانة العبرية لأنهم لم يتركوا استعمال اللغة العبرية تركاً تاماً بل كانوا يستعملونها في صلواتهم ودراساتهم فكان من الضروري أن يدخل في عربيتهم بعض الكلمات العبرية

وقد ذكر صاحب فنوح البلدان أن يهود يثرب كانوا أساتذة العرب في تعلم الكتابة العربية (٣)

ويقسم القرآن يهود الحجاز الى قسمين : أحبار وجملة أميين « ومنهم أميون لا يعلمون الكتابة الا أمانى وإن هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً » (٤) وكلمة جبر هذه عبرية الأصل إذ معناها الرفيق (٦٦٣) وقد كانت تطلق في العصور الاولى ق. م على كل عصور من أعضاء الشيعة اليهودية الدينية الفروشم (١٦٦٥) ثم لما

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٤

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٥

(٣) البلاذرى ص ٤٧٣

(٤) سورة البقرة ٧٢

تغلبت تعاليم هذه الغثة أصحح كل متعلم من اليهود يلقب بلقب عبر^(١) ولذلك كان الأخبار موضع الاحترام العظيم كما يتضح لنا من قصة لابن هشام « قال عبد الله بن سلام فأدخلني رسول الله في بعض بيوته ودخل عليه بعض اليهود وكلوه ثم قال لهم : أى رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا^(٢)»

وكان من أعمال الأخبار أن يتولوا القضاء ويفصلوا للناس فيما شجر بينهم كما كانوا أصحاب الأمر والنهي في كل الشؤون النبوية كما يقول القرآن الكريم « لولا إنباهم الربانيون والأخبار عن قولهم الاتم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون^(٣)» وكان اليهود يستأنفون الصلاة ثلاث مرات في كل يوم وكانت قبلة اليهود أثناء الصلاة متجهة الى بيت المقدس كما كانت قبلة رسول الاسلام الى رمس هجرته للمدينة اذ يحدثنا ابن هشام أن الرسول كان يمدو بمكة وقبلته الى الشام فكان اذا صلى صلى بين الركنين البراني والاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام^(٤)

وقد يؤكد حديث البخارى هذا القول إذ يقول إن رسول الله كان أول ما قدم المدينة يصلى قبل بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكانت اليهود قد أعجبهم اذا كان يصلى قبل بيت المقدس^(٥) ويحدثنا ابن هشام أن يهود يثرب كانوا يدعون الناس للصلاة بالنفخ في البوق^(٦)

(١) ההסוורה ישראלית جزء ٢ ص ٩٩

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٩

(٣) سورة المائدة ٦٨

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢٧١ و ص ٣١٤

(٥) البخارى جزء ١ ص ١٨

(٦) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠١ البخارى جزء ١ ص ١٠٦

وكان اليهود يصومون في العاشوراء فلما قدم النبي محمد المدينة ورأهم يصومونه قال ما هذا ؟ قالوا هذا يوم صالح هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوم فصامه موسى قال فأنا أحق بموسى منكم فصامه فأمر بصيامه وكانت اليهود تعده عيداً (١)



وإذا وُفقنا الى أن نميز بين يهود الحجاز والعرب من وجهة الدين والعقيدة فانه من المتعذر أن نوفق الى التمييز بين العنصرين من وجهة الاخلاق والمعادات والنظم والتقاليد الاجتماعية لان اليهود الذين سكنوا في بلاد العرب لم يلبثوا أن تخلقوا بأخلاق العرب وتمسكوا بعاداتهم واتبعوا سبيلهم في النظم والتقاليد الاجتماعية حتى أصبحوا كأن لم يكونوا من جنس آخر غير الجنس العربي

ولا أعلم في تاريخ اليهود القديم أقلية تأثر فيه اليهود بأخلاق وعادات وتقاليد أبنائه الى هذا الحد سوى اقليم الجزيرة العربية

كان اليهود في تفاخرهم وتشاخرهم على حد ما كان العرب تماماً في جميع ذلك وكذلك كانوا مثلهم في التمدح بالشجاعة وعلو الهمة واكرام الضيف والنفور من الجبن والبخل وكانوا يوقدون البيران في الليل ليرتدوا السائرين وليدعوم الى الضيافة والاكرام (٢) كما كان يفعل العرب إعلاء لترفهم وصيانة لمجدهم .

ذكر ابن هشام ان حى بن أخطب أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بي قريظة وكان قد أودع رسول الله على قومه وعاقده على ذلك فلما سمع كعب بحى ابن اخطب اغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حى افتح لى اكلك فال ما أنا بماعل قال والله ان أغلقت الحصن دونى الا تخوفت

(١) البحارى ج١ ص ٤٩٨

(٢) الواقدى ص ١٧٠

حشيشتك أن آكل منها فأحفظ الرجل ففتح له (١)

وكما ان قرص الشعر كان طبيعة من طبائع العرب وسجية من سجايهم وطريقة من أجل طرق التعبير والتفكير لديهم حتى كان المفكر العربي يسترسل في القول الموزون استرسالا يسحر العقول ويأخذ بالألباب كذلك اندفع اليهود في قرص الشعر باللغة العربية اندفاعا قويا فجعلوا ينظمون الأبيات البديعة والقصائد المتينة في الكرم والوفاء والشجاعة وفي وصف البلدان والحیوان وفي وصف جمال المرأة والتشبيب بها وبالاجمال كل ما كان يحرك نفس العربي ويدعوه الى قرص الشعر من تهديد ووعيد ومدح وثناء وذم وهجاء ووصف ونقر كان يحرك نفوس الشعراء من اليهود في الجاهلية ويدعومهم الى أن يخوضوا فيه بالقول الفصل والشعر المتين

بيدان ما وصل اليها من شعر يهود الجاهلية قليل جدا لا يبدو بصع قصائد وأبيات مبثورة في أمهات كتب الادب العربي

وهكذا أقدمتنا الحوادث الكثيرة أكثر تلك الثروة الأدبية من أولئك اليهود الجاهليين ولم تترك لنا منه حتى ما يمكن الباحث الناقد أن يكون له رأيا واضحا عن عقليتهم وتميز شخصياتهم بعضها من بعض

يقول استاذي الدكتور طه حسين : أما أثر اليهود الادبي فيسير الفهم لاننا نعلم كيف تؤثر هذه الحركات في العقول ولا سيما عند العرب وتزيد على أثرهم العقلي انهم كانوا بدائهم للأفكار ومخار تهم اياهم شوما على الادب العربي وسببا في ضياع الكثير منه واختراع الكثير . . . ويصل الدكتور بعد بحث طويل الى ثلاث نتائج خطيرة من أثر اليهود

(١) ان لليهود في الأدب العربي أثرا كبيرا جنى على ظهوره ما كان بين

العرب وبين اليهود

(٢) أن اليهود قالوا كثيرا من الشعر في الدين وهجاء العرب وقد أضاءه مؤلفو العرب

أن اليهود امتحلوا شعرا لاثبات سابقهم في الجاهلية على لسان شعرائهم وشعراء العرب . . . (١)

والذي حملني على أن أثبت بعض نظريات استاذي الدكتور طه حسين بصدد شعراء يهود الجاهلية هو:

(١) انى قد جمعت كل ما ينسب الى شعراء اليهود في الجاهلية ولم أجد فيه فرقا ظاهرا يميزه عن بقية الشعر الجاهلي في حين ان هناك فرقا شامعا لا يخفى بين اليهود والعرب من وجهة الدين والعقلية واتجاه الأفكار (٢)

(٢) لا شك في أن اللغة العبرية تركت في أشعارهم آثارا ظاهرة خصوصا فيما يتعلق بالشعر الدينى (Liturgie) فقد كانت النزعة الدينية قوية في نفوس يهود الحجاز فليس ممكنا أن لا يوجد هناك شعر دينى يمجد التوحيد وآل موسى وأنبياء بنى اسرائيل ويحط من قيمة الأصنام وعبادتها لان مثل هذا السوع قد ظهر في الادب اليهودى في كل عصوره القديمة

(٣) ان الذى يعنى نظره في قصائد السموءل يتصح له حليا انها قد طرأ عليها كثير من التقلبات والتغييرات حتى لينعذر على الباحث أن يميز القديم منها والحديث أو يفرق بين الصحيح والمنتحل

هذا الى أن الايات القليلة التى وصلت اليها من شعر اليهود لا تكفى لتخليد أسماء شعرائها مما يجعلنا نجزم بأنه قد كان هناك شعراء مجيدون ولكن ضاع شعرهم ولم يبق لهم منه الا أسماءهم كأنها صدى ما كان لهم من شهرة وبعد صوت

١٠ (٤) إذا كان العرب أنفسهم لم يستطيعوا أن يحافظوا على شعرا آبائهم وأجدادهم مع أنهم ظلوا كما كانوا عليه لم يصيبهم شيء سوى تغيير العقيدة فبقيت لهم لغتهم وتقاليدهم فكيف كان من الممكن أن تحتفظ بشرها أمة غلبت على أمرها حتى قى منها من فنى وهاجر منها من قُدر له أن يعيش ولكن في غير البلاد التي نشأ فيها واطمأن إليها وضاعت وراثتهم الروحية ولم يبق لهم ذكر في البلاد العربية

ليس من السهل انكار وجود شعراء من اليهود في الجاهلية فقد اشترك اليهود مع العرب في جميع المرافق الحيوية في الجزيرة العربية من اقتصادية وسياسية فبعد كل البعد ألا يشركوا معهم في النهضة الفكرية والشعرية

ووجود علاقة دموية متينة بين اليهود والعرب يثبت اشترك العنصرين في النزعة الشعرية وانها كانت مطبوعة في النفس اليهودية وكامنة فيها قبل أن يسكن اليهود في الجزيرة العربية فلما انتقلوا اليها واختلطوا بالعرب وتخلقوا بأخلاقهم نمت هذه النزعة الفطرية وأزهرت ثم أثمرت ثمرها الشهي فخرض اليهود الشعر العربي ارتجالاً وتكلفاً

وعندى أن السبب في قلة ما وصل الينا من شعر اليهود في الجاهلية ومن أسماء شعرائهم إنما يرجع الى ضعف اتصال اليهود على اعتناق الاسلام والذي حافظ على القليل الذي وصل الينا هم اليهود الذين اعتنقوا الاسلام ومن تناسل منهم تحليداً لما كان لأجدادهم من مجد أنبل وشرف عظيم وقد يجور أنه لو لم يسلم بعض الأفراد من ذرية السموءل لما وصل الينا من شعراء كثير ولا قليل ولا سمعنا حتى ولا باسمه

ويظهر أن الشعراء اليهود الذين وصل ذكرهم الينا كانوا يعيشون في القرن السادس ب م . فأدرك بعضهم العصر الاسلامي

ولم نعرف منهم من هو أعظم شهرة وأبعد صيتاً من السموءل بن عادياء الذي يُشعر اسمه بأن أصله عبري رغم ما وجد عند بعض الأدباء الأقدمين من الميل الى إثبات أن هناك صلة بينه وبين بعض الأسماء العربية وقد وجدوا لهذا الاسم في العربية معاني مختلفة فهو اسم لطائر يكنى أبا براء وهو أيضاً الظل وذباب الخلل السريع (١)

ولا نعرف من ترجمة حياته سوى التزور اليسير
وقال صاحب الأغاني انه من يثرب (٢) وكان صاحب تباه التي عرفت بتباه اليهودية وعليها حصنه الابلق الفرد يشرف على تباه بين الجحاز والشام على راية من تراب فيه آثار أبنية من لبن لا تدل على ما يحكى عنها من عظمة وحصانة وهي خراب (٣)

وأما الأب الذي طبع ديوان السموءل حسب رواية أبي عبد الله فطويه فله زعم غريب في السموءل ذلك انه يزعم أن السموءل كان نصرانياً ويستند في زعمه على ما يأتي .

(١) ان السموءل كان ينسب الى غسان وغان كانت نصرانية
(٢) انه في بعض أبيات تنسب للسموءل ذكر السيد المسيح والحواريين
أما هذه الأبيات التي استدل بها الاب شيخو فهي ما جاء في ديوان الحامسة
لابي تمام في آخر اللامية المشهورة للسموءل

فان بي الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم ونجول
وكان بو الديان كما وضح الاب شيخو من نصارى نجران (٤)

(١) قاله في التاج ص ٧ - ٣٨٢ راجع ديوان السموءل طبع الاب شيخو ص ٤

(٢) حراء ص ٨٢

(٣) معجم البلدان لياقوت عمرة ٦٥٣

(٤) راجع مقدمه الاب شيخو لديوان السموءل

لكن التبيري يقول في شرحه هذا البيت أنه لعبد الله الحارثي لا للسمول (١) ... وقبل أن أتعرض لمزاعم الأب شيخو أريد أن أمدح فيه غيرته الدينية اذ هي التي كانت الدافع الأكبر له على طبعه ديوان السمول وجمعه كل ما قاله العرب في عصورهم المختلفة عن السمول وهي التي دفنته الى أن يبذل مجهوداً عظيماً في سبيل اظهار ديوان السمول، وقرؤناً بالشرح المفصل والملاحظات السديدة

ولم تقف نزعتيه الدينية عند هذا الحد بل حملته على أن يبذل مجهوداً شديداً آخر في سبيل جمع أشتار أغلب شعراء الجاهلية في مؤلف واحد وتنظيمها تنظيماً بديعاً وشرح ما فيها من كلمات غريبة كما جاء بارتدادات الافرنج في هذا الموضوع وقد أطلق على هذا السفر النفيس اسم شعراء النصرانية بالرغم من ان الحقيقة التاريخية لا تسمح له بهذه التسمية

ولكنه وقد أبي على السمول أن يكون يهودياً بالرغم من أنه لم يشك أحد في يهودية السمول فليس عجباً منه أن يدعى أن جميع الشعراء الذين جمع شعرهم في سفره ليسوا الا مسيحيين

أما من جهة سبه فلسنا ننكره ولا ننفية لأن علماء العرب قد اختلفوا في سب هذا الشاعر اختلافاً كثيراً فيما الأغاني يقول في موضع انه السمول بن عادياء (٢) إذا به في موضع آخر يقول: ان غريصاً اليهودي هو السمول بن عادياء (٣) وبينما الميداني في أمثاله يقول انه السمول بن حيان عادياء (٤) اذا بتاج العروس يقول انه السمول بن أوي بن عادياء (٥) واذا بصاحب ماهد النصيص

(١) ديوان الحنلة لابي تمام طبع الرامى ص ٣١

(٢) الاغانى جزء ١٩ ص ١٢

(٣) الاغانى جزء ٣ ص ١٢

(٤) امثال الميداني جزء ٢ ص ٢٧٦ طبع مصر

(٥) تاج العروس طبع مصر جزء ٧ ص ٢٨٢

يقول انه ولد الكاهن هارون بن عمران (١) وبيما يقولون أن قبيلته غسان اذا
بغيرهم يقول ان أمه فقط التي كانت من غسان
ونحن ازاء هذا الاختلاف والاضطراب في نسب السموءل لا نستطيع أن
نطمئن الى رأى

لكن سواء صح أن السموءل كان من غسان أو لم يصح فليس يدل ذلك على
أنه كان نصرانياً بل ليس يدعوا للشك في صحة ما أجمع عليه المؤرخون من انه كان
يهودياً ومن ذا الذي يستطيع أن يأتي ببرهان قاطع على أن كل بطون غسان
كانت قد تنصرت بل المرجح أن البطون الغسانية التي لم تذهب الى حدود الشام
بقيت على وثنيها وان هناك بطناً من بطون غسان كونت حياً من أحياء مدينة
يثرب (٢)

ومها يكن من شيء فليس يصح للعالم المحقق أن يستدل بدين بعض بطون
قبيلة واحدة على دين كل بطونها فليس من شك في انه كانت هناك قبائل تدين
بطونها بديانات مختلفة

ومن العجيب أن الأب المحترم لا ينكر أن شعبة بن غريض أخوا السموءل
صاحب حصن تيماء اليهودية كان يهودياً فكيف ينكر يهودية الأخ الآخر
والذي قلته عن بطون غسان يقال أيضاً عن آل بني ديان لكنني أضيف
ليه أن الاسم « ديان » على العموم كان من الأسماء المشهورة عند اليهود فكانت
كل الأسرة التي تحتكر لعسها مراكر القضاء الشرعي عند اليهود تعرف باسم آل
ديان (٣٦) فمن المحتمل أن السموءل الذي كان يتسمى على قول بعض المؤرخين
الى الكهان كان والده أو بعض أجداده حاكماً شرعياً فأطلق على الأسرة
اسم ديان

(١) معاهد التصحيح طبع مصر جزء ١ ص ١٣١

(٢) الاطابى جزء ١٩ ص ٩٥

يلاحظ الأب الغاضل على ترجمة نغطويه للسمول ويقول : وفي ديواننا هذا يدعوه الراوى يهودياً وليس قوله «متمماً»^(١) وقد تبينت انه «مقنع» . . .
أما الأبيات التي جاء بها ذكر السيد المسيح والحواريين فواضح أن من السهل على أى شاعر نصراني أن ينحلها السمول في القصيدة التائية المنسوبة اليه وهذه بعض أبيات القصيدة نقل منها ما يتعلق بموضوعنا

ينفع الطيب القليل من الرزق
ق ولا ينفع الكثير الخليل^(٢)
فاجعل الرزق في الخلال من الكـ
ب وبرا سريرتي ما حيث

من الرزق الخلال

وأنتى الانباء عن ملك داو
د فقّرت عيني به ورضيت
وسليمان والحوارى يحيى
ومتى يوسف كانى وليت
وبقايا الاسباط أسباط يعقو
ب دراس النوراة والتابوت
واقفلاق الامواج طورين عن
سى وبعد الملك الطالوت
ومصاب الاقريس حين عصا الا
ه واذا صاب حينه الجالوت

خمسة أبيات ملفقة

(١) ديوان السمول ص ٥

(٢) في نوادر ابن زيد الاصحارى طبع بيروت (ص ١٠٤) ان الخليل سأل الاصمعي ص الحديث في هذا البيت فقال يريد الحديث وهي لغة خبير ويروى لغة قريظة فقال له الخليل:

ليس يظن القوي فضلا من الرزق
ق ولا يحرم الضعيف الشخيخ
يل لكل من رزقه ما قضى الا
ه وان حزا أنفه المستميت^(٣)

الرجوع الى موضوع الرزق

ويظهر ان الأب الناضل لم يقنع بزعمه فأضاف اليه قوله « ولعل فصل الخطاب في هذا ما يقال من أن السموم كان من احدى تلك الشيع الجامعة بين عادات اليهود وعقائد النصرانية التي اعبرت الاردن وقت حصار الروم لاوروشليم فسكنت في بلاد العرب^(١) »

ويظهر من كلامه هذا انه غير عالم بتاريخ اليهود في صدر النصرانية فال مما لا جدال فيه انه وجدت طائفة يهودية نصرانية في مادي أمرها في الحين الذي كانت فيه النصرانية دعوة يهودية بحتة وكان النصارى شيعة من شيع اليهود وقد فنيت هذه الفئة بعد ان أخذت النصرانية تنتشر بين اليونان والسريان ولم يبق للطائفة اليهودية النصرانية (secte judéo-chrétienne) ذكر في القرن الثالث م.م. وليس لنا مراجع تاريخية تثبت وجود طائفة يهودية نصرانية مفردة في الجزيرة العربية وعلى العموم فان ديوان السموم لنقطويه مجموعة من الشعر المليح والقبيح والسمين والغث أنتجته قرائح مختلفة فن شاعر متين الى آخره سحيف ومن شاعر مطبوع الى آخره متكلف وأغلبها مزور ممدسوس على السموم
أما القصيدة اللامية التي أولها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

لو كان ذلك لنتهم لقال الكثير وانما كان يبقى ان تقول انهم يخلدون الناء تاء في بعض الحروف ..

(١) ديوان السموم لنقطويه طبع الاب شيخو ص ١٣

(٢) ديوان السموم لنقطويه طبع الاب شيخو ص .

والتي يقول عنها صاحب كتاب الطراز أنها تشتمل على مكارم الاخلاق من سباحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر وتكليف واحتمال للمكاره... (١) هذه اللامية التي خللت اسم السموم ذهبت فيها آراء الادياب مذاهب شتى حتى ان الاغانى يقف ازاها موقف الحائر المضطرب فيقرر طورا انها لشريح بن السموم (٢) ويقول مرة أخرى انها للسموم نفسه وينسبها في موضع ثالث لشاعر غير معروف اسمه دكين المذرى (١) (٣)

ولا تنك ان اختلاف اقوال الاغانى ناشيء من تعدد الروايات التي كانت أمامه وكذلك اختلف الرواة في نقل القصيدة اختلافا كبيرا فمنهم من يقدم بعض أبياتها على بعض ومنهم من يعكس عمل الآخر ومنهم من يزيد فيها ومن ينقص (٤) فهذه الاختلافات في نسب مؤلف القصيدة وهذه التصرفات المتباينة في ترتيب أبياتها تنتج حتما الريبة في نفس الباحث في صحة نسبتها للسموم والذي يقرأ القصيدة الفريدة المنسوبة للسموم في كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (٥) الذي يعتبر ثقة في جمعه شعر الجاهلية نظراً لقدومه وسلامة ذوقه ودقة تقده يأخذ العجب حين لا يجد للسموم إلا أبياتاً قليلة مع عدم نفيه ابن سلام على وجود أبيات أخرى للسموم وقد جاء ابن سلام بقصيدة لشعبة بن غريص (٦) بينما نسب ابن نباتة في شرحه لرسالة ابن زيدون (٧) نفس هذه القصيدة للسموم وهي القصيدة التي مطلعها

(١) راجع ديوان السموم ص ٢٥

(٢) الاغانى جزء ٦ ص ٦٧

(٣) الاغانى جزء ٨ ص ١٥٥

(٤) ديوان السموم ص ٢٥ — ٢٧

(٥) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي طبع مصر شعراء اليهود ص ١٠٩ — ١١٤

(٦) طبقات الشعراء ص ١١١

(٧) شرح ابن نباتة لرسالة ابن زيدون طبع مصر ص ٥٤

يا ليت شعري حين أنعب هالكاً ماذا تُرثيني به أنواحى ...
والسمول أبيات لا يشك في صحتها القدماء

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت
وأوحى عاديا يوماً بأن لا تهدم يا سموه ما بنيت
بني لى عاديا حصناً حصيناً وبئراً ككاشئت استقيمت (١)

والذى قيل في شعر السمول يمكن أن يعتبر مقياساً صالحاً للبحث في شعر
بقية يهود الجاهلية إذ لا يمكننا بوجه من الوجوه أن نقول قولاً فصلاً بأنها وصلت
إلينا عن يهود الجاهلية

والشخصية البارزة بعد السمول هي شخصية كعب بن الأشرف وكان من
أصحاب النفوذ والبطش بالسيف واللسان لا على اليهود فحسب بل على قريش
أيضاً وقد كان عربياً أكثر منه يهودياً إذ كان أبوه من عرب طى وأمه من بنو
النضير وقد توفى أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى أخواله فنشأ فيهم وساد وكبر أمره
وكان شاعراً فارساً وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت
بين الأوس والخزرج وكان شاعراً فحلاً وخطيباً فصيحاً وكان يهجو النبي ويهجو
أصحابه فبعث النبي نفرأ من أصحابه فقتلوه في داره (٢)

وأما الأبيات التي ينسبها ابن سلام الجمحي لكعب بن الأشرف والتي
تشتمل على وصف دقيق لدار وصفها وصفاً صادقاً. وجزأً فإنها تشهد لشاعرها بأنها
كان مبدعاً في أسلوبه معجياً بالمناظر الطبيعية وهذه هي الأبيات

رُبَّ خَالٍ لِي لَوْ أَبْصَرْتَهُ سَبَطَ الْمِشْيَةَ أَبَاءَ أَيْفِ
لَيْنِ الْجَانِبِ فِي أَقْرَبِهِ وَعَلَى الْأَعْدَاءِ سَمَّ كَالزَّعْفِ
وَلَنَا بئْرٌ رَوَاهُ جَمَّةٌ مِنْ يَرِيدِهَا بَانَاءُ يَغْتَرَفُ

(١) الاغانى جزء ١٩ ص ٩٩

(٢) الاغانى جزء ١٩ ص ١٠٦

ونجیل فی قلاع بجة - تمزج التمر كأمثال الاكف
وحرير في مجال خلة آخر الليل أهازيج يندف (١)

وقد نسب اليه ابن هشام قصيدة في رثاء قتلى يوم بدر من سراة وعظما
مكة

طحنت رحي بدر لمهلك أهله ولمثل بدر تسمم الأدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم لا تبعدوا إن الملوك تصرع (٢)

ومع أنها تلائم الحالة السياسية التي كان عليها كعب بن الاشرف وبقية
قريش بعد يوم بدر ويحتمل أن قائلها كان كعب بن الاشرف فلنا الحق أيضاً
أن نشك في صحتها إذ لا يمكن على الاطلاق الاعتماد على كل ما سرد في كتاب
السيرة فكثيراً ما نعرفه على قصائد طويلة ينسبها ابن هشام لبطون حمير في
حين تدل لغتها على أن قائلها من قريش فكيف يمكننا أن نثق بنسبته هذه
القصيدة الى كعب بن الاشرف . . على أن الامتاذ الشيخ عبد الوهاب النجار
يقول إن وعود شعر منسوب الى حميريين أو قحطانيين بلغة مضر لا يقتضى أن
يكون موده في السيرة قد نحل غير قائله وحمله عليه كذباً وإن كان المنسوب
اليه جاهلياً

ذلك أن اللغة المضرية قد اقتحمت على لغات أهل اليمن مواطنها وتغلقت
في أحشائها وآية ذلك أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد وفدت عليه وفود
قبائل اليمن القاصية والدانية ولم يكونوا يحتاجون في مخاطبتهم لرسول الله وحوارهم
له ولا صحابه الى ترجمان يعبر عما يجول بخواطر الفريقين من المعاني التي يريد كل
فريق أن يلقيها الى الآخر . وهذا على عليه السلام ومعاذ رضى الله عنه أرسلها
رسول الله الى اليمن ولم يحتاجوا الى مترجم يترجم لكل منهما كلام من أرسلوا

(١) طقات الشعراء ص ١١٠

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٨

اليوم : وهذا كما قلت دليل على أن المضربة قد سادت لغات العرب قبل الاسلام وصارت من القوم بحيث لا يستكثر مستكثر أن يقول بها الحميري أو القحطاني شعره الذي يريد أن يذميه بين العرب . . . اه

ثم إن هناك أما آخر يلفت عنايتنا وهو سارة القريظية التي ينسب اليها شعر في رثاء قومها بعد أن قتل أبو جبيظة أشراف اليهود حيث تقول

بنفسى أمة لم تكن شيئاً بندى حُرُض تُعْفِيها الرياح
كهول من قريظة أتلفتها سيوف الخرجية والرماح
رزتنا والرزية ذات قمل ير لأهلها الماء القراح
ولو أرتوا بأمرهم لجالت هنالك دونهم جأوى رداح^(١)

ولو صححت هذه الرواية لكان من الممكن أن نستدل بها على أن المرأة اليهودية كانت تشترك اشتراكاً فعلياً في جلب الرزق لأسرتها من ناحية وفي نمو القوى العقلية من ناحية أخرى

وليس ذلك بغريب على الفتاة الاسرائيلية بوجه عام في جميع أدوار تاريخ أمتها إذ قد ظهر من الجنس اللطيف اليهودى النايفات والشاعرات والبطلات والملكات

(١) الاعان جزء ١٩ ص ٩٦

الباب الثاني

ظهور اليهودية في بلاد اليمن

اسباب انتشار اليهودية في بلاد اليمن — اضطراب أقوال المؤرخين في هذا الباب —
العوامل الدينية والسياسية لظهور اليهودية في بلاد اليمن — مطامع الدول الرومانية الشرقية
في بلاد اليمن — لماذا انتشرت اليهودية في بلاد اليمن؟ — وقت ظهور اليهودية في اليمن —
آراء المستشرقين — رأى المؤلف — أقوال مؤرخي العرب في ملوك حمير اليهود — أسباب
اعتناقهم اليهودية — رأى ابن هشام والطبرى — أول ملوك حمير اليهود — يوسف ذو
نواس — حياته كما ذكرها ابن هشام — اصطهاده أهل نجران — أسباب ذلك الاضطهاد —
ذكر القرآن الكريم لقتلى نجران — استنجد أهل عمران بالروم — اطارة الحبشة على
اليمن — تحقيق الحبشة مطامع الدولة الرومانية الشرقية في بلاد العرب — عام الغيل — تأخير
هزيمة الدولة الحميرية في نفوس اليهود

بعد أن بينا الأسباب التي أدت الى انتشار الديانة اليهودية في شمال بلاد
الحجاز نريد أن نوضح العوامل الاخرى التي دعت الى ظهور الدين اليهودي في
بلاد اليمن

لم تعتمد الديانة اليهودية في بلاد اليمن على العصبية اليهودية كما كان شأنها في
البلاد الحجازية لان الاغلبية المطلقة التي كونت أنصار هذا الدين الجديد في
اليمن كانت من سكان البلاد الاصليين

وقد اضطرت أقوال المؤرخين في أسباب ظهور الديانة اليهودية في ربوع
بني حمير فطائفة منهم ترى أن ظهورها كان نتيجة لنضال عنيف وقع بين اليهودية
والنصرانية تمكنت فيه الاولى من أن تتغلب على الاخرى في بادى الامر ومن

هذه الطائفة العلماء (Graetz Welhausen Halevy)
وطائفة أخرى تعترف بأن للعامل الديني أثراً ظاهراً ولكنها ترجح أن
الباعث الاصلى انما هو سياسى قبل كل شىء ومن هذه الطائفة العالمان
(Glaser Winkler) وهذا الباعث الاصلى الذى تراه الطائفة الاخيرة هو أن
ملوك الدولة الرومانية الشرقية بعد ان فرغوا من أمر الأقاليم المجاورة للجزيرة
العربية تأهبوا لضم أطرافها الى أملاكهم فسلكوا لتنفيذ هذا الغرض طريقة
سياسية محكمة حيث أرسلوا وفوداً من الرهبان الى تلك البلاد وأروم أن يشوا
التعاليم المسيحية بين أهل الحضرة والبادية من جهة وبمهدوا الافكار والغفوس لقبول
السلط السياسى الرومانى من جهة أخرى فلما تنبه ملوك حمير لهذه الخيل وأدركوا
ما يتعرض له كيانهم السياسى من الخطر الشديد بسببها نشطوا لاجباطها وفكروا
فى أفضى الاسلحة التى تمكنهم من القضاء عليها فهدام فكرهم الى أن يعتقدوا
الديانة اليهودية ليقاوموا ديننا توحيدياً بدين توحيدى آخر
وقد أصاب ملوك حمير فى هذه الفكرة كل الاصابة لان اعتناقهم لليهودية
قضى على كل الحجج التى كان ملوك الدولة الرومانية الشرقية يعتمدون عليها فى
الترويج لدعوتهم السياسية وانقطعت الوسائل التى كانوا يتوسلون بها للتأثير فى
عقول أفراد الشعب وجماعاته
على أن هناك عاملين آخرين لظهور الديانة اليهودية فى بلاد اليمن لم يصرح
بها المؤرخون :
الاول : أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية أن تسلط
عليهم دولة ذات سلطان كبير ونفوذ واسع ولم يكن لليهودية فى ذلك العصر دولة
سياسية فى حين أن النصرانية كانت تعتمد على الدولة الرومانية الشرقية الطامعة
فى فتح بلادهم
ومن هنا نفهم السر فى مقاومة الرهبان واضطهاد أهل نجران والنفور من

الجبشيين لانهم جميعاً كانوا آلة في أيدي السادة من ملوك قسطنطينية
الثاني : — وله أثر كبير في انتشار اليهودية في بلاد اليمن — وهو أن تعاليم
الديانة اليهودية ومبادئها أقرب الى عقلية العرب من الديانة المسيحية التي كانت
تستمد يومئذ بعض تعاليمها من الفلسفة اليونانية

ومع أنه كان هناك في شمال الجزيرة قبائل عربية اعتنقت الديانة المسيحية
فإنى اعتقد ان النصرانية كما كان اليونان وغيرهم يفهمونها لم تغلب في وقت ما
على النفوس العربية بدليل ان البطون العربية المسيحية دخلت في الدين الاسلامي
بعد انصافها بجيوش الخلفاء الراشدين بلا كبير مقاومة في حين كان اليهود في شمال
الجزيرة وجنوبها يداخون عن الديانة اليهودية دفاعاً شرفياً . فبقائون جيوش
الحبشة في اليمن قتالا شديدا رغم ما كانت عليه هذه الجيوش من قوة البأس
وكثرة العدد اللتين بواسطتهما فقط استطاعت أن تظهر على اليهود وان تفرقهم
وتمزقهم

كذلك لم يلب اليهود دعوة رسول الاسلام ولا ينقص من قيمة هذه الحقيقة
ان أفراداً من اليهود دخلوا في ملة النبي محمد وولايته
ويؤيد هذه الحقيقة ما جاء في البخارى حيث قل : لو آمن بي عشرة من
اليهود لآمن بي اليهود (١)

وتاريخ ظهور اليهودية في بلاد حمير موضع جدل عنيف بين علماء الأفرنج
حتى الآن

فيقرر المستشرق (Prococke) وهو من علماء القرن الثامن عشر ان دولة
حمير اليهودية ظهرت في القرن الاول ق . م

ولكن العلماء يعارضون في هذا الرأي ويقولون انه لو صح هذا الحدس لكان

يوسف المؤرخ اليهودي قد تكلم عن هذه الدولة اليهودية كما ذكر ظهور دولة آرامية متهددة على أطراف نهر الفرات النائية عن فلسطين وهي دولة حديب (١) ويقرر العالم (Silvester de Sacy) في كتابه (٢) ان ظهور اليهودية في اليمن لم يسبق القرن الثاني ب . م . ولكن المؤرخ اليهودي شيفر ينكر صحة هذا الرأي ويقول لو وجدت هناك دولة يهودية في القرن الثاني بعد الميلاد لكان التلود يلاً صحائف غير قليلة يذكر أخبارها وسرد الأساطير عنها فسكوت التلود عن هذه الظاهرة التاريخية أعظم دليل على عدم وجودها في قرون تأليفه (٣) (ختام التلود في القرن الرابع بعد الميلاد)

ثم ظهرت في المجلة الاسيوية الفرنسية (٤) مقالة قيمة ناقض فيها العالم برون (Perron) جميع نظريات من ذكرنا ويقول ان دولة حمير اليهودية لم تظهر إلا في القرن الخامس بعد الميلاد ويستدل بما ذكره الطبري في هذا الشأن ويقول ان أحيحة الذي قاتل تبان أسعد أبي كرب ملك حمير وصاحب الدعوة اليهودية طلق زوجته سلمة فذهبت الى مكة حيث تزوجت من هاشم أبي عبد المطلب جد النبي محمد وهذا يدل على ان مقابلة تبان أسعد لاهالي يثرب انما كانت حوالي نهاية القرن الخامس ب . م .

ثم ما ذكره الطبري من أنه كان لتبان أسعد بنون ثلاثة حسن وعمرو وذُرعة، وذُرعة، وذُرعة هذا على حسب رواية ابن هشام هو ذو نواس آخر ملوك حمير

(١) שמחוני ج ٢ ص ١٩٢

(٢) Memoires sur divers evenement de l'histoire des Arabes avant Mahomet.

(٣) Ciaetz ج ٣ ص ٤٠٥

(٤) Journal asiatique 1838 Novembre p 358 (Sur l'introduction

de judaisme au Yemen.)

وإذن لا يمكن. يوجه من الوجه أن تكون هذه الدولة قد عاشت قبل القرن الخامس ب. م .

لا شك أن حجة بيرون (Peiron) أتم وأصح من نظريات غيره ممن ذكرناهم بيد أن هذه الحجة لا تنتج الجزم القاطع لأنها مبنية على أقوال ليست محل ثقة تامة لأن هناك شكاً في بعض الحوادث التاريخية التي ذكرناها

أما أنا فأرجح أن ظهور اليهودية في بلاد اليمن قد حدث قبل تَبَّان أسعد اذ من الصعب أن تقتنع بأن قبلاً واحداً يستطيع أن يرغم أقبال حمير على اعتناق دين جديد دون أن يحدث ذلك فتناً داخلية وان عدم وجود معارضة لليهود اليهودى ليدل على أنه كان هناك اناس من ذوى النفوذ السياسى سمحوا للديانة اليهودية التوحيدية أن تتسرب الى اليمن وتركوها تنتشر شيئاً فشيئاً أو ساعدوا على انتشارها بين الشعب من قبل أن يعلن تَبَّان أسعد انها صارت دين البلاد على ان المعقول أن يكون اليهود قد وجدوا في تلك الارزاء منذ أزمان بعيدة اذ لا يمكن أن يكون اليهود انتشروا في بلاد الحجاز في حين لا يكون منهم أحد في بلاد اليمن لا سيما وعدد كبير من اليهود تجار دأبهم التنقل والارتحال لتبادل البضائع في مختلف البلدان فلا بد أن تكون هناك جموع يهودية قد وصلت الى نفور اليمن وحضرموت ثم توغلت الى الداخل شيئاً فشيئاً

ويقول الاسناذ الشيخ عبد الوهاب النجار إن علاقة اليهود باليمن قديمة جدا يرجع تاريخها الى أيام ملك سليمان بن داود فقد جاء في سفر الملوك الاول في الاصحاح العاشر آية (١) ما نصه (وسمعت ملكة سبأ يجبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل . فأتت الى أورشليم بموكب عظيم وكلته بكامل ما في قلبها الى آخر ذلك الاصحاح — والاصحاح التاسع من أخبار الايام الثانى من آية (١) الى آية (١٢) مثل عبارة أخبار الملوك الاول تكاد تكون احداها منقولة من الاخرى وكالها في وصف سليمان وحكمته واندهاس ملكة سبأ منه وتقديمها اليه الهدايا

والتحف التي أتت بها من بلادها وثناؤها على سليمان وإله سليمان ثم عودتها إلى بلادها — وقد وردت قصة سليمان مع ملكة سبأ في سورة النمل وهي السورة السابعة والعشرون من القرآن من أول الآية العشرين إلى آخر الآية الرابعة والأربعين وبما جاء فيها حكاية قول الملكة لقومها عن كتاب سليمان « قالت يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كريم إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا اتلوا على وأتوني مسلمين . قالت يا أيها الملأ أتوفى في أرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تتهدون . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وإني مرسلت إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون » ومنها (فلما جاءت قبيل أهلكدا عرتك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبل وكنا مسلمين) ومنها (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب أنى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

وأخبرني السيد محمد بن عقيل من سادات المسكلة انه قرأ في تاريخ الجندي من نحو خمسين سنة أن اليهود حين غلب الحبشان على اليمن رحلوا إلى حضرموت وكان مقامهم بتلك النواحي إلى خروج الحبشان من اليمن — أ . . . وقد أثبت العالم جلارد (Glaser) وجود اليهود في اليمن وحضرموت منذ عصور كثيرة قبل ظهور الاسلام واذن فيؤلا اليهود هم الذين أنبتوا البساتين في النفوس وتمهدوه حتى ترعرع ثم تأصلت جذوره وظهر الميل عند قبيل أوعدة أقيال لاعتناق اليهودية كما اعتنقت بطون عريضة الديانة المسيحية بسبب نفوذ الرهبان وانتشار الدعوة إليها تدريجياً وقد كانت هناك جموع من العرب المتهودة وهي بطون كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كعدة سكنوا جميعاً بجوار مكة (١)

(١) Wuslenfeld ص ٢٠٩ عن ابن قتيبة ج ٢ ص ٤٠٨ Graetz

وقد يكون في حكم الممكن انه بعد ان قتل تبان أسعد راجعاً من يثرب جمع الاقبال اليهودية وكون فيها دولة حميرية يهودية لصد هجوم الدولة الحبشية وسد السبيل في وجه مطامعها ولمنع انتشار النصرانية التي كان ملوك الروم يتوسلون بها الى تنفيذ مطامعهم الاستعمارية

أما مؤرخو العرب فيأتون بقصة طويلة تشير الى سبب جدير بالاعتبار لظهور الدولة اليهودية في اليمن

يقول الطبري كان تبان أسعد حين أقبل من المشرق جعل طريقه على المدينة وقد كان حين مرتبها في بدأته خلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة قدمها وهو جمع على تخريبها واستئصال شأقة أهلها وقطع نخلها غير أن مسكان المدينة كانوا يقاتلونه بالتهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك منهم فبينما هو على ذلك من حربه لهم اذ جاءه حبران من أحبار اليهود من بني قريظة عالمان راسخان حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فإنت ان أبيت الا ما تريد حبل ينك وبينهم ولم تأمن عليك عاجل العقوبة لان يثرب مهاجرة ي يخرج من هذه البلدة من قريش في آخر الزمان فتسأى عند ذلك الذي سمع من قولها عما كان يريد بالمدينة ورأى أن لها علماً وأعجبه ما سمع منها فانصرف عن المدينة وخرج بها الى اليمن واتبعها على دينها . . . (١)

وكذلك يروى هذه القصة صاحب السيرة النبوية وغيره من بقية مؤرخي العرب دون أن يزيدوا شيئاً

بعد ذلك يقول الطبري : لما توجه تبان أسعد الى اليمن مع جنوده حالت حمير بينه وبين دخوله الى بلاده وقالوا لا تدخلها وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فما كنا الى النار فوافق الملك وكانت باليمن

(١) نقل بنصرف من كتاب الامم والملوك للطبري جزء ٢ ص ٢٥

نار تحمك بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ولما قالوا ذلك لتبان
قل أنصتتم نخرج قومهم بأوثانهم وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما متدلّيهما
حتى قصدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه نخرجت إليهم فلما أقبلت نحوهم
حادوا عنها وهابوا فذوّبهم من حضرم من الناس وأمرهم بالصبر فصبروا حتى
غشيتهم وأكلت الأوثان وخرج الخبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى جباههما لم
تضرهما فأصفت حمير عند ذلك وعند ذلك كان أصل اليهودية باليمن . . . (١)
ولكني أميل إلى انكار صحة هذه القصة بغض الطرف عن أنها خرافة لأن
الأمم لا تبدل أديانها كما تبدل الأفراد نياها بل أن التغييرات السياسية والدينية
إنما تحصل إما بتغيير بطلي، وإتقلاّب عقلي متدرج في برهة طويلة مستمرة وإما
بالثورة العنيفة تهدم القديم مرة واحدة وتبنى الجديد مرة واحدة أيضاً
والذي نعلمه عن حسن بن تبان أسعد أبي كرب هو أنه سار بأهل اليمن يريد
أن يظأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق
كهرت حمير المسير معه وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فكلّموا أخاه له يقال له عمرو
وكان معه في جيشه فقال له اقتل أخاك حسن وتملكك علينا وترجع بنا إلى بلادنا
فأجابهم فاجتمعوا على ذلك إلا ذارعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه
فقال ذارعين

ألا من يشتري سهراً بنوم سعيد من يبيت قري عين
فأما حمير غدرت وخانت فعدرة الآله لدى رعين

ثم كتبها في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب
عندك قبل ثم قتل عمرو أخاه حسن ورجع من معه إلى اليمن فلما نزل عمرو بن
تبان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما أجهده ذلك سأل الأطباء والحزاء

من السكان والعراقين عما به فقال له قاتل منهم انه والله ما قتل رجل قط أخاه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السم فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسن من اشراف اليمن حتى خلس الى ذى رعين فقال له ذورعين ان لى عندك براءة فقال وما هي قال الكتاب الذى دفعت اليك فأخرجه فاذا فيه البيتان قتركه وهلك عمرو . . . فرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له آخنيعة ينوف فقتل خيارهم وعبث بيوت أهل المملكة الى أن تغلب عليه دُرْعُه ذونواس ابن تبان أسعد أخى حسن وكان صياحين قتل حسن ثم شب غلاماً جميلاً ذا هيئة وعقل (١)

ويمكننا أن نستنتج من هذه الحوادث أن الوهن والضعف تغلبا على الدولة بعد موت تبان أسعد أبى كرب وأن موجبات الكراهية والتحاسد والتنافس قد فشت بين أفراد الأسرة المالكة فانفسح المجال أمام رواد القتل وعجبي الاضطراب فلبوا دورهم باتقان ونجاح

ولا نعلم مبلغ تأثير هذه القتل والاضطرابات على دين الدولة ولا اذا كانت ثورة لخنيعة ينوف متحفة الى الأسرة الحاكمة فقط أو كانت الفكرة منحفة أيضاً الى هدم كيان اليهودية في اليمن فان جميع المصادر العربية لم تنس أقل اشارة الى شىء من هذا

ولسكننا مع ذلك نميل الى ترجيح أن يكون الشوار قد رموا بثورتهم أيضاً الى هدم اليهودية إذ لا بد من آله يستعملونها للتأثير في نفوس الشعب وتمييع عواطفه وخير وسيلة لذلك إنما هي أن يظهروا بمظهر المدافعين عن عقيدة الآباء والاجداد ودين البلاد الاصلى لا سيما وقد كان كثيرون من الاقبالي لم يستبدلوا بعد الديانة الوثنية بشيها

ومن المحتمل أن التأثيرين كانوا يستمدون قواهم وأوالمهم من الخراج ويرجع هذا الاحتمال ما جاء في بعض المراجع اليونانية من أن ثورة وثنية تارت ضد ذى نواس كما سنوضح ذلك فيما بعد

وقد جاء في المصادر اليونانية كثير من الأخبار عن ذى نواس هذا كما جاء منها الكثير أيضاً في المراجع العربية

يعتقد العالم Perceval أن ذى نواس حكم بلاده من سنة ٤٩٠ — ٥٢٥ ب. م في حين يقول شيفر إن ذى نواس ارتقى العرش سنة ٥٢٠ — ٥٣٠ ب. م (١) وينضح لمن يبحث في ترجمة حياته أنه لم يكن أول ملك يهودى بدليل أن تربته كانت يهودية محضة وأنه كان في عقليته وميوله يهودياً متعصباً لدينه مما يحمل على الاعتقاد بأنه قد لقن أساس الديانة الاسرائيلية من نعومة أظفاره بدل علماء البحث والتنقيب جهوداً كثيرة في سبيل العثور على شيء من آثار الدولة الحيرية المتهودة ولكنهم لم يفتروا على شيء منها مطلقاً وهذا يدل على أحد أمرين

(١) أن هذه الدولة لم تجدد من الوقت ما يكفي لانشاء الأعمال العظيمة والآثار الخالدة التي ترشد الخلف وتدل الاجيال المقبلة على ما كان لها من قوة بأس وعظم سلطان

(٢) أن الصفط الحبشى الذى قضى على دولة حمير المتهودة محاكل ما كان له علاقة باليهود وقضى على جميع آثار دولتهم لأن النزاع الذى كان بين الحبشة ودولة حمير المتهودة لم يكن نزاعاً سياسياً فقط بل كان نزاعاً سياسياً ودينياً في آن واحد ونحن نعلم أن الحروب الدينية أشد هولاً من السياسية وفيها يبذل المنتصرون كل مرتخص وعال في سبيل استئصال ساقية الدين المغلوب ومحو آثاره ويحدثنا ابن هشام عن حياة ذى نواس بقوله : وتسمى ذى نواس يوسف فأقام

في ملكة زنتا. وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم وهم أهل فضل واستقامة فسار اليهم ذو نواس بمجنوده ودعاهم الى اليهودية فخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فخذ لهم الاخذود فحرق من حرق بالنار وقتل بالسيف من قتل ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا (١)

والذي يعلم أن نجران لم تكن سوى بلدة صغيرة يدهش لهذه المبالغة في عدد القتلى إذ لم يكن عدد سكانها يزيد عن بضع مئات وفضلا عن ذلك فإن ذانواس لم يقتل كل أهالي نجران بدليل أن لهم ذكراً في أخبار صدر الاسلام (٢) وإذن فليس من شك في أن عدد القتلى من نصارى نجران لم يدرك عشرين ألفاً بوجه من الوجوه فهي مبالغة ظاهرة سببها أن اضطهاد ذى نواس للنصارى كان عنيفاً جداً حتى أنه ترك آثارا هاجت النفوس العربية في البادية والمخاضرة

وقد خلد القرآن الكريم ذكرى قتلى نجران بأيات من ذهب : قتل أصحاب الأخذود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يضلون بالمؤمنين شهود وما نَقَمُوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . . . (٣)

أما المصادر اليونانية فنقول إن معاملة ذى نواس لنصارى نجران لم تكن إلا رد فعل لاضطهاد الدولة الرومانية لليهود حيث كانت تذيبهم الأمرين بواسطة عمالها في كل بلادها باسم الدين (٤)

بعد تلك الاضطهادات التي أصابت نصارى نجران حدث . أن أفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم ففضى على وجهه حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده وأخبره

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٣٤

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٦٥

(٣) سورة البروج ٤ — ٨

(٤) Graetz جزء ٢ ص ٨٨

يما بلغ منهم فقال له بعديت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثأره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً يقال له ارباط ومعه في جنده ابرهة الاشرم فركب ارباط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو نعلبان وسار اليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقي الجمعان انهزم ذو نواس وأصحابه ... ولم يستطيعوا الثبات أمام جيش النجاشي فطلبه ذو نواس نحو البحر وضرب فرسه فخاض به ضحضاحه حتى أفضى به الى غمره . . . (١)

على أن المؤرخ اليوناني يوحنا من مدينة افروس يقص خبراً لم تقصه المراجع العربية وهو أن دومينوس الحيرى قبض على تجار من نصارى الروم وقتلهم واستمر يُعامل تجار الروم بالقسوة والعنف ويضطهدهم اضطهاداً شديداً كلما مر منهم أحد ببلاد اليمن حتى انقطع جميع التجار المسيحيين من دخول بلاد اليمن فأصبحت الأسواق التجارية اليمنية بالكساد وضعفت فيها الحركة ضعفاً شديداً لأن هذه الأسواق كانت تستمد حياتها الاقتصادية مما تصدره الى الخارج من الحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية ومما يرد اليها من حاصلات البلاد الأخرى وكانت تغور بلاد اليمن هي الوسطة بين الهند وبين جميع الاصقاع الشرقية والغربية فكانت أسواقها لذلك شديدة الحركة كثيرة المعروضات ولتلقى تجار كل هذه الجهات

لم يكن من الممكن أن ينظر اليمنيون الى شل حركة أسواقهم بين الرضى لذلك تقدم ايدوج قيل من أقبال اليمن الوثنيين الى ذى نواس وقال له ان أعمالك القاسية ستؤدى الى نقل الحركة التجارية من نغورنا الى نغور أعدائنا فأجابه ذو نواس بقوله إن اخواني اليهود في بلاد الروم يذوقون ألواناً شتى من الأحوال

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٩ — ٣٧ نقل بتصرف

والتعذيب فأنا أريد أن أكف أيدي الروم عن اقتراف الالم بالابرار بماملتي
لتجارهم هذه المعاملة السيئة . . .

ولم يرتض ايدوج هذا الجواب ولم يوافق على هذه السياسة التي يرى أنها
ستؤدى الى خراب البلاد ففكر في أن يتخلص من ذى نواس فاتفق مع باقى
أقبال اليمن الوثنيين وجمع بواسطتهم جمعاً كثيرة قاتل بها ذا نواس حتى تغلب
عليه وقتله ثم اعتنق ايدوج الديانة النصرانية . . . (١)

هذه هي رواية المؤرخ اليونانى يوحنا وهي تخالف ما نقلنا عن المصادر العربية
من أن جيوش الحبشة هي التي قضت على دولة ذى نواس

ونحن نرجح ما روته المراجع العربية لأن انكار غزو الحبشة لليمن غير ممكن
مطلقاً نظراً لأنه قد يؤدى الى انكار حوادث هامة أخرى حدثت في بلاد اليمن
والحجاز بعد ذلك بزمن قليل

على أن لدينا شهادة لقائد من قواد الجيش الرومانى الشرقى الذى كان يحارب
في العراق ضد الجيش الفارسى أثناء وقوع حوادث اليمن هذه وهو يقصها بأسلوب
لا يتعارض مع ما جاء في كتاب السيرة لابن هشام ويعرف هذا القائد باسم
(Prokop) بروكوب وهذه هي شهادته : . . . وقد استعد ملك الحبشة
(Hilistiaus) الذى كان يعالى في دينه لمحاربة ذى نواس لأنه كان يأخذ الأموال
من تجار النصرارى بغيا ثم جاء بجيش عظيم الى باب المدب وسن الغارة على سواحل
بلاد حمير فسار ذو نواس اليه ولكنه انهزم هزيمة منكرة وهلك (٢)

ولست أميل الى الرأى القائل بان رواية المؤرخ يوحنا من مدينة افروس
مختلفة بل أقدرض أنها حدثت أثناء الاضطرابات الداخلية التي حدثت بعد قتل

(١) Graetz (١) جزء ٣ من ٤٠٨ — ٤٠٩

(٢) Graetz (٢) جزء ٣ من ٤٠٩

حسن بن تبان أعمد أبي كرب إذ قد يُحتمل أن لخصيعة ينوف الوثني أو غيره
طمع في عرش دولة حمير وخارب ملكا من ملوكها وقتله وحكم البلاد بمده برهة الى
أن نأر أحد أفراد الأسرة التي كانت مالكة للملكة المقتول وأعاد النظام الى نصابه
وأخنت المياه تجري في مجراها

وهذا الفرض لو رجحت صحته يؤيد بقية ما أشرنا اليه من اضطراب جبل
الأمين بعد ان قتل حسن بن تبان أعمد

ومهما يكن من شيء فقد كللت مساعي الحبشة وجهودها ضد الدولة الحميرية
المتهودة بالسجاح وتم لها القضاء على هذه الدولة قضاء نهائيا

وقد اشترك يوسطين انتبرا كاعليا في فتح اليمن لانه أرسل أسطول مصر
البحري مشحونا بالمؤن والأسلحة الى الثغور اليمنية ويرجع بعض مؤرخي الافرنج
أن جيوش يوسطين كانت معتزمة أن تحتل اليمن بعد أن فتحتها الحبشة ويمكن
قوات الفرس أقلقت راحتها على حدود سورية فنقضتها من ذلك^(١)

بعد ان خصّمت الحبشة شوكة الدولة الحميرية اليهودية في بلاد اليمن انجهدت
نحو الوثنية تريد هدمها وكان من مجهوداتها في هذا السبيل بناء أبرهة لكنيسة
القليس المشهورة في صنعاء ليصرف اليها حج العرب^(٢)

غير أن النساء وهم رؤساء الديانة الوثنية قاوموا فكرته ووقفوا سدا في سبيل
تحقيق غرضه فصمم أبرهة على تنفيذ فكرته بالقوة وخرج بجيش كبير الى مكة
يريد هدم الكعبة وابطال عقائدها غير انه لم يوفق أيضاً لان جيشه انكسر
انكسارا شديداً فعاد منهرا الى اليمن كما يحدثنا ابن هشام بأخبار هذه الحملة المعروفة
بعام الفيل^(٣)

(١) Graetz جزء ٣ ص ٨٨

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٤٣

(٣) ابن هشام جزء ١ ص ٤٧ — ٤٤

وقد أشار القرآن الى هذه الواقعة في سورة الفيل حيث يقول « ألم تركيف
فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل
ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كصفاً مأكولاً » .

وقد كان لانكسار اللولة الحميرية أمام الحبشة رنة أسمى شديدة في قلوب
اليهود فظهرت مع الزمن أقاصيص كثيرة وأساطير خرافية عن ابطال حمير، فمن
ذلك ما قيل ان أصل هؤلاء من بقايا أسباط بني اسرائيل البائدة وان هذه
الجيوش لم تغلب على أمرها بل رجعت على أعقابها الى داخل البلاد الرملية
وانها كونت في تلك الارحاء دولة عظيمة يظهر بطشها في اليوم الذي يتاح لها
فيه النضال ويؤذن لها بنحوض المارك

وقد كانت هذه الاقاصيص سبباً في أن شرع جماعة من اليهود في القرون
الوسطى يرسلون الى بلاد العرب ليجتسروا عن تلك الجيوش التي توارت عن
الميون

الباب الثالث

بطون يثرب وهو اسمها وعلقاتها باليهود

بطون يثرب وحوادنها وعلقاتها باليهود — تأخير انكسار الدولة الحميرية في حياة اليهود
بلاد العرب — محرش الدولة الرومانية الشرقية باليهود في بلاد العرب — هجرة بطون
الايوس والجزرج الى جهات يثرب — اضطراب أقوال مؤرخي العرب في زمن هذه الهجرة
— نص ابن هشام — رأى صاحب الاغانى — رأى الاستاد الحضري بك — سيل الحرم
وزمن حدوته — آراء المستشرقين فيه — نتيجة ابحاث العالم جلارز في هذا الموضوع —
سوء حال الاوس والجزرج — أوائل هجرتهم — وصف السهمودي لليهود وبطون
الازد اثناء سيادة الوفاق والصفاء بينهم — انقلاب الصفاء الى عداة بين اليهود وبنى الازد
وأسياب — قصة السهمودي عن الملك المعطون — رأى المؤلف فيها — رأى صاحب
الاعانى في سب ظهور العداوة بين اليهود والعرب — من هو أبو جبيلة ؟ — لماذا تزح
ابوجبيلة لمحاربة يهود يثرب ؟ — هل كانت هناك مخالفة بين بطون الازد وملوك فسان ؟ —
الارتباب في صحة قصة ابي جبيلة واصططاده ليهود يثرب — ملوك فسان والدولة الرومانية
الشرقية — الكفاح للنعيم بين اليهودية والصراية في الجزيرة — يوم بمان — قصة
حوادث يوم بمان — حياة العرب في الماهلية — نتائج يوم بمان

يقول العلماء ان النكبة الشديدة التي رزلت باليهود في بلاد حدير قد أنتجت
نتائج سيئة لم يكن في الامكان أن تحدث لولا هذه النوائب
وأهم هذه النتائج تخمس العناصر النصرانية التي كانت تعتمد على وازرة
الدولة الرومانية ضد الديانة اليهودية وتحركها لهدم كياناتها والقضاء على أصولها
ومبادئها في جميع أنحاء الجزيرة العربية وتهدم طمع القبائل العربية في أموال اليهود
ومستعمراتهم ورغبتهم في الحصول عليها والاستئثار بها

وقد كانت القبائل العربية قبل ذلك أى فى العصر الذى تمت فيه اليهودية فى بلاد اليمن وانتشرت بين سكانها لا تجرؤ مطلقا سواء منها الحضرى والبدوى على أن تمس اليهود بأذى فى شمال الحجاز أو نصيبهم بأذى ضرر بل بالعكس تسرب نفوذ اليهودية فى ذلك الشطر من الزمن بين الاعراب حتى صاروا يدخلون فيها زرافات ووحدا مما حمل بعض المستشرقين من أنصار Wustefeld على الاعتقاد بأنه قد ظهرت فى يثرب دولة يهودية امتد سلطانها السياسى حتى شمل شمال الحجاز بأجمعه

ولكن الواقع ان هذا رأى مبالغ فيه اذ ليس عندنا مصادر موثوق بها تؤيد وجود دولة يهودية فى شمال الحجاز اللهم الا اذا استثنينا قصة خرافية عن الفيطون ملك يثرب^(١) وليس لها فى الواقع ظل من الحقيقة كما سيأتى بيانه

ونريد قبل ان نوفى حوادث اليهود مع العرب فى شمال الحجاز حقا من التفصيل والبيان أن نوجه الانظار الى البطون العربية المجاورة لهم وهى التى نلم بأخبارها بعض الامام . يقول ابن هشام عن هجرة الاوس والخزرج الى جهات يثرب : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن انه رأى جرّذا يحفر فى سد مارب الذى كان يجلس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أراضيهم فلم انه لا بقاء للسد على ذلك واعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده اذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم اليه فيكلمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلاد لطم وجهى فيه أصغر ولدى وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتمسوا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وقالت الارد لا تتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين یرتادون البلدان محاربتهم عك فكانت حربهم سجالات ثم ارتحلوا عنهم ففرقوا فى البلدان

قَتُولِ آلِ جَفْنَةَ الشَّامِ وَنَزَلَتْ الْاَوْسُ وَالْخَزْرَجُ يَثْرِبُ وَنَزَلَتْ خَزَاعَةُ مَرَأَةً . . . (١)

ويُتَّضَحُّ لَنَا مِنْ قِصَّةِ ابْنِ هِشَامٍ أَنَّ تَزْوِجَ الْاَوْسِ وَالْخَزْرَجِ إِلَى جِهَاتِ يَثْرِبِ حَدِثٌ قَبْلَ سَيْلِ الْعَرَمِ لَكِنْ صَاحِبُ الْأَعْيَانِ يُعْتَقِدُ أَنَّ خُرُوجَ الْاَزْدِ مِنَ الْبَيْتِ حَدِثٌ بَعْدَ سَيْلِ الْعَرَمِ وَيَقُولُ: لَمَّا أُرْسِلَ اللَّهُ سَيْلَ الْعَرَمِ عَلَى أَهْلِ مَارِبٍ وَهَمَّ الْأَزْدُ قَامَ رَائِدُهُمْ فَقَالَ مَنْ كَانَ ذَا جَمَلٍ مِنْ مَنَ وَوُطْبٍ مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ وَسَنٍ فَلْيَنْقَلِبْ عَنِ بَقَرَاتِ الْعَقَمِ فَهَذَا الْيَوْمُ يَوْمُهُمْ وَلْيَلْحَقْ بِالثَنِيِّ مِنْ شَنْ فَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوهُ أَزْدَ شَنْوَدَةَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَمَنْ كَانَ ذَا فَاقَةَ وَقَفَرَ وَصَبَرَ عَلَى أَزْمَاتِ الدَّهْرِ فَلْيَلْحَقْ بِبَطْنِ مَرِّ فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهُ خَزَاعَةَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرِيدُ الْحَرَّ وَالْحَمِيرَ وَالْأَمْرَ وَالنَّأْمِيرَ وَالِدِيَّاجَ وَالْحَرِيرَ فَلْيَلْحَقْ بِبِصْرَى وَالْحَضِيرِ وَهِيَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهُ غَسَانَ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ ذَا هَمٍّ بَعِيدٍ وَجَلٍّ شَدِيدٍ وَهَزَادٍ جَدِيدٍ فَلْيَلْحَقْ بِقَصْرِ عَمَانَ فَكَانَ الَّذِينَ نَزَلُوهُ أَزْدَ عَمَانَ ثُمَّ قَالَ وَمَنْ كَانَ يَرِيدُ الرَّاسِخَاتِ فِي الْوَحْلِ وَاللُّطْعَمَاتِ فِي الْمَجْلِ فَلْيَلْحَقْ بِيَثْرِبِ ذَاتِ النَّحْلِ فَكَانَ الَّذِينَ سَكَنُوهَا الْاَوْسُ وَالْخَزْرَجُ . . . (٢)

وَأَمَّا الْأَسْتَاذُ الْفَاضِلُ الْخَضْرِيُّ بِكَ فَيَرْجِعُ الرَّأْيَ الْآخِرَ لِسَبَبَيْنِ

(١) لِأَنَّ مَفَارِقَةَ الْبِلَادِ عِنْدَ النَّفْسِ عَدْلٌ مَفَارِقَةُ الرُّوحِ وَكِلَاهُمَا أَمْرٌ مَكْرُوهٌ شَنِيعٌ فَيَبْعُدُ جَدًّا أَنْ يَاقِدَ عَلَيْهِ شَخْصٌ هُوَ وَأَوْلَادُهُ وَعَشِيرَتُهُ لِمَجْرَدِ خَيْرٍ لَا يَقْطَعُ أَمَلًا خُصُوصًا أَنَّهُ سَأَرَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ يُخْبِرْهُ

(٢) وَرَدَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي سُورَةِ سَبَأٍ عَلَى هَذَا النَّحْوِ «لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كَلَاوَا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْتَرَوْا لَهُ بِلَدًا طَيِّبَةً وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَا هَمْزَهُمْ جَنْتَيْنِ ذَوَاتِي أَكَلِ خَيْطٍ وَأَنْثَى مِنْ سَدْرِ قَلِيلٍ» فَهَذَا وَاضِحٌ فِي أَنَّ سَيْلَ الْعَرَمِ أَصَابَهُمْ

(١) ابن هشام حرمه ١ ص ١٢

(٢) الاعيان جزء ١٩ ص ٩٥

وبدل من شكل أرضهم وهم يقيمون بها . . . (١)
• والتسليم بأحدى النظريتين المفروضتين في سبب خروج نبي الازد من اليمن لا يجدينا نفعا في المعضلة الجوهرية وهي تعيين زمن حدوث سيل العرم فالمرجع العربية لا تأتينا بشيء قليل أو كثير عن زمن وقوع هذه الحادثة الطبيعية المهمة في بلاد اليمن وكان الرأي السائد عند المستشرقين أن سيل العرم حدث في عصر قديم في القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد وكانت هناك طائفة من علماء الافرنج تعتقد أن كل الروايات التي جاءت عن سيل العرم إنما هي خرافات وأباطيل واستمرت هذه الطائفة مقتنعة برأيها هذا حتى ظهرت بحوث العالم المحقق Glaser في سنة ١٨٩٦ حيث قرر ارتكائاً على منقوشات جلبها من أرض اليمن أن السيل قد حدث فعلاً ولكن لم يحدث في مدة واحدة بل تكررت نوابه مرات عديدة أما سببه فلا يرجع الى الطبيعة من حدوث أمطار غزيرة في مرات متوالية فحسب بل كان نتيجة إهمال شديد لهذا السد العظيم نشأ عن فنن داخلية بين الاقيال من جهة وإغارات متوالية من الخارج من جهة أخرى ولما تطاولت الازمان على السد مع هذا الإهمال الشديد تصدعت جوانبه شيئاً فشيئاً ووهت أركانه قليلاً قليلاً

فلما حدث سيل العرم الأول في سنة ٤٤٧ ب . م الذي استمر الى سنة ٤٥٠ تبه القوم الى الخطر المحقق بالسد فاهتموا بأمره وأصلحوا من شأنه ولكن لم تعد له منعه القديمة فلم يحتل السيول المتواردة رمتاً طويلاً وانكسر ثانياً سنة ٥٣٢ ب . م (٢)

بعد هذه التحقيقات الجلية زال الشك من النفوس في صحة روايات سيل

(١) تاريخ الامم الاسلامية جزء ١ ص ١٨

(٢) راجع كتاب Zwei Inschriften ueber den Dammbbruch von Mareb

M. d. v. G.

العرم واتضح كل ريب في حدوده ومال بعض المستشرقين الى الجزم بأن نزوح
البطون الأزدية حدث بعد سيل العرم^(١)

ولكن من المتعذر على الباحث الذى يحمل في يده مصباح عقله أن يقتنع
بأن جميع البطون الأزدية هاجرت الى شمال الجزيرة بسبب واحد هو سيل العرم
بل دائماً يرى أنه من المحتمل أن تكون هناك أسباب أخرى اجتمعت مع سيل
العرم أو انفردت دونه واضطرت بعض هذه البطون الى ترك وطنها والهجرة الى
الأرجاء النائية عنه

على أنه يجيل الى أن المؤرخين أسرفوا في التكبير من شأن سد مأرب
وهو لما رافى النتائج التي ترتبت على انكساره وبالغة كبيرة اذ كان هذا السد فيما
نعله من أبحاث ياقوت في معجم البلدان قديماً ومن مجهودات قريحة جلازر
Glaser حديثاً يسقى روية من الأرض لم تكن مسكناً لكل بطون الازد

ويرجح رأينا هذا ما نجده في جميع الروايات التي تضمنت حوادثه وأخباره
من الغموض والابهام والتقص الظاهر في البيان والتفصيل مع انه حدث حوالى
قرن واحد قبل الاسلام وقد تراكت بشأنه القصص والأساطير حتى صارت
عرضة لان يشك العلماء في صحتها جميعاً ولم يرجعوا عن شكهم الا بعد ان ظهرت
أبحاث العالم جلازر Glaser

واذا كان هذا شأن حادثة وقعت قبل الاسلام بقرن واحد فماذا يكون شأن
الحوادث التي وقعت قبل سد مأرب بنحو خمسة قرون أو أكثر؟ ..
وهل يمكننا أن نعول على أخبارها التي ذكرت في السيرة وفي الطبرى وفي
الواقدي ونستنتج منها نتائج ننظم بها أبحاثنا في تاريخ الجاهلية؟ ...



من المتندر علينا إذا أن نعين الزمن الذي وصلت فيه الأوس والخزرج الى جهات يثرب فلنكتف بما قاله القسما، من أنهما من أزد اليمن وأنه قد وجدت هناك بطون من اليهود قبل وصولهما الى يثرب

يقول لنا صاحب الأغانى « فلما توجه الأوس والخزرج ووردوها نزلوا في حرار ثم تفرقوا وكلت منهم من لجأ الى عفاء من ارض لا ساكن فيه فنزلوا به ومنهم من لجأ الى قرية من قراها فكانوا مع أهلها فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ليسوا بأصحاب نخل وزرع وليس للرجل منهم الا الاعداق اليسيرة والمزرعة يستخرجها من أرض موات والأموال لليهود فلبث الأوس بذلك حيناً . . (١)

وأقام اليهود والعرب مدة طويلة يسود بينهم الوثام والوفوق دون أن يحدث ما يكدر أو يفرق بينهم

فكانت السلطة في أيدي اليهود وهوالهم من البطون العربية وكانت الأوس والخزرج تشتغل في الدوائر الزراعية اليهودية ومنهم من كانوا يشتركون مع اليهود في قوافلهم التجارية

ويحدثنا السهوى عن حالة اليهود والازد في دور سيادة الوثام والوفوق بينهم فيقول : . . وقد وجد الأوس والخزرج الأموال والآطام بأيدي اليهود والعدد والقوة معهم فكشوا ما شاء الله ثم سألهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً يأمن به بعضهم من بعض ويمتنعون به من سواهم فتحالفوا وتعاهاوا ولم يزالوا كذلك زماناً طويلاً وأثرت الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد وخافت قريظة والنضير أن يغلبهم على دورهم فتمروا لهم حتى قطعوا الحلف . . . فأقاموا خاتمين أن تجلبهم اليهود حتى نجيم منهم مالك بن العجلان . . . (٢)

(١) الاغانى جزء ١٩ ص ٩٦

(٢) خلاصة الوفاء ص ٨٣

ودار الدهر دورته وظهرت القن والعداوات بين اليهود والأوس والخزرج
غير أن المصادر العربية لم توافقنا بالأسباب الكافية لهذا التغيير واليك ما يقوله
السهودي : وكانت لا تهدي عروس الحيين حتى تدخل على الفيظون ملك اليهود
فيكون هو الذي يفتضها فتزوجت أخت مالك رجلا من قومه فيينا .مالك في
النادي اذ خرجت أخته فضلاء فنظر اليها أهل المجلس فشق على مالك فدخل
وعنفها فقالت ما يصنع بي غداً أعظم أهدي الى غير زوجي فلما أمسى استمل على
السيف ودخل متكرراً مع النساء وقتل الفيظون وانصرف لدار قومه . . . (١)

ويؤخذ من هذه القصة الملققة أن السهودي وأمثاله لم يكن عندهم إلمام
كاف بحياة العرب في الجاهلية بل كانوا يعتبرونهم متوحشين همجيين لا يعرفون
من النظم الاجتماعية شيئاً ولا يفهمون من الآداب قليلاً ولا كثيراً ولا ينقادون
إلا لما يدعو اليه الخرق والسفاهة

ولا شك أن قولاً كهذا ليس إلا طعناً فاحشاً في قبائل العرب في الجاهلية
وانكاراً شنيعاً لما هو معروف عنهم من الانفة والغيرة وإياء الضيم والشجاعة والبسالة
الى حد التضحية بكل شيء في سبيل العرض وحفظ الشرف والكرامة

ومن جهة أخرى فشل هذا القول لا يمكن أن يكون له نصيب من الصحة
لأن يهود الحجاز إنما كانوا أصحاب دين سماوي يأمر بالمعروف وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى وليس من المعقول أن ملكاً يهودياً يرتكب جريمة منكرة كهذه
تناقض روح التوراة وتخالف الايمان بالله موسى دون أن يجد مقاومة عنيفة
وانكاراً شديداً من شعبه وأبناء جلدته

على أن اختلاق هذه القصة يظهر جلياً متى علمنا أنه لم يوجد ملوك من
اليهود في يثرب

ونرجح أن الباعث على اختلاق هذه القصة وتلفيقها إنما هو محاولة إخفاء

الحقيقة في حادثة غدر ابن العجلان بجيرانه وسفكه لدماء الأبرار منهم كما سيأتي
تفصيل ذلك

ومن الغريب أن قصة كهنه تماماً يقصها الطبرى عن طسم وجديس^(١) وذلك
يدل على أنها من الخرافات الشائعة عند أمم الشرق في قصصهم ونواريحهم^(٢)
ولم يأت ابن هشام والواقدي وصاحب الأغانى بقصة الفيظون بل حدثنا
الأخير بنخبير ييمثنا على التأمل والبحث في عوامل التغيير الذى طرأ فجأة على
ما كان بين اليهود والبطون العربية من المودة والوثام فقال « إن مالك بن العجلان
رحل الى أبى جبيلة الغسانى وهو يومئذ ملك غسان فسأله عن قومه وعن منزلتهم
فأخبره بمحالمهم وضيق معاشهم فقال له أبو جبيلة والله ما نزل قوم منا بلدا إلا غلبوا
أهله عليه فما بالكم؟ ثم أمره بالمضى الى قومه وقال له اعلمهم أنى سائر اليهم فرجع
مالك بن العجلان فأخبرهم بأمر أبى جبيلة ثم قال لليهود إن الملك يريد زيارتكم
فأعدوا نزلا فأعدوه وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام فى جمع كثيف حتى قدم
المدينة فنزل بنى حرّض ثم أرسل الى الأوس والخزرج فدكر لهم الذى قدم له
وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤسائهم وأشرفهم وخسى إبن لم يمكر بهم أن
يتحصنوا فى أطامهم فيمتنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم فأمر ببناء حائر واسع
فبنى ثم أرسل الى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد أحب أن تأوّه فلم يبق وجه من
وجوه القوم إلا أتاه وجعل الرجل يأتى معه بخافته وحشمه رجاء أن يجبوهم فلما
اجتمعوا يبابه أمر رجالاته من جنده أن يدخلوا الحائر الذى بنى ثم يقولوا كل من
يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حبابه أن يأذنوا لهم فى الحائر ويدخلوهم رجلاً
رجلاً فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند الذين فى الحائر حتى أتوا
على آخرهم

(١) تاريخ الملوك والرسال للطبرى جزء ٢ ص ٣٧١

(٢) راجع كتاب الف ليلة وليلة (الليلة الاولى)

وقد أخذت اليهود تعترض الأوس والخزرج وتناوشهم فقال مالك بن العجلان والله ما أئمننا اليهود غلبة كما تريد فهل لكم أن أصنع لهم طعاماً ثم أرسل في مائة من أشرف من بقي من اليهود فإذا جاءوني فأقتلهم جميعاً فقالوا نفعل فلما جاءهم رسول مالك قالوا والله لا نأتيهم أبداً وقد قتل أبو جبيلة منا من قتل فقال لهم مالك إن ذلك كان على غير هوى منا وإنما أردنا أن نمحوه وتعلموا ما لكم عندنا فأجابوه فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك بن العجلان قتل حتى قتل منهم بضعة وثمانين رجلاً ثم إن رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك فتسمع فلم يسمع صوتاً فرجع وحذر أصحابه الذين بقوا فلم يأت منهم أحد... وصورت اليهود مالكا في بيعهم وكنائسهم فكانوا يلعنونه كلما دخلوها... فلما قتل مالك من اليهود من قتل ذلوا وقل امتناعهم وخافوا خوفاً شديداً وجعلوا كلما هاجم أحد من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمش بعضهم الى بعض كما كانوا يفعلون قبل ذلك ولكن يذهب اليهودي الى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول إنما نحن جيرانكم ومواليكم فكان كل قوم من اليهود قد لجأوا الى بطن من الأوس والخزرج يتعززون بهم... (١)

وقد يكون من المتعذران يقبل المؤرخ هذه القصة على علامها إذ لا شك في أن اليهود كانوا يحنسون من عمال ملوك الروم كل الاحتراس وكان المعروف فوق ذلك عن يهود الحجاز أنهم على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وانهم ذوو قوة ويطش فلو أن أمراً كهذا وقع فعلاً لا يمكنهم أن يجاروا الأوس والخزرج ويضموا الى جانبهم في هذه الحرب جميع البيطون العربية المجاورة لهم والتي لم تكن تضر لليهود شراً

على أن أبا جبيلة هذا الذي يقول صاحب الأغاني انه كان ملكاً لم يكن من

سلالة ملوك غسان الذين كانوا من بني جفنة ولم يتول عرش غسان من غير بني جفنة الا أبو جبيلة والحارث الأعرج اللذان يذكر ابن خلدون في موضع من كتابه ان الروم ملكوها عرش الشام^(١) وان كان يذكر باسم أبي سعد أن الأعرج لم يكن ملكا وانما كان قائدا ولم يذكر أبو جبيلة البتة^(٢)

وعلى فرض ان أبو جبيلة والحارث بن الأعرج توليا العرش حقا فلسنا نعلم ما هي الاسباب التي حملت قياصرة الروم على تولية ملكين من غير سلالة آل حفنة ثم ارجاع العرش الى هذه الاسرة ثانيا لان آخر ملوك غسان كان من بني جفنة وهو جبلة بن الابهيم الذي أسلم بعد ان فتح المسلمون الشام ثم ندم ورجع الى دين آباءه ودخل الى بلاد الروم^(٣)

من أجل هذا نرجح ان أبو جبيلة لم يكن من ملوك غسان ولكن اذا صححت الرواية عن حادثته مع يهود يثرب فمن المحتمل انه كان قائدا ذهب بايماز من سيده لئلا يهاجم اليهود ويحتل أيضا من ناحية أخرى أن تكون الاوس والخزرج قد أرادت أن تعقد حلفاً مع بعض قبائل الشمال لأن الحلف التي عقدت بينهم وبين اليهود لم تعد حائزة كل رضاهم بعد ان رسمت أقدامهم في البلاد وبعد ان اطأوا اليها وانبعثت في قلوبهم المطامع الكبيرة والآمال الواسعة

نعم ان الحلف كانت في مصلحتهم أول الأمر لأنهم لم يكونوا يطلبون الا أن يعيشوا فلم يكن يسوؤهم أن تبقى الدوائر الزراعية والحركة التجارية في أيدي اليهود وحدهم وأن يكونوا هم معهم كعمال ومساعدين أما الآن فقد امتدت أنظارهم الى أكثر من هذا

ولم يكن أمأههم من سبيل لتحقيق هذه الآمال والمطامع الا أن يتخلصوا

(١) ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨٢

(٢) ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨٥

(٣) ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨١

من حلف اليهود ولم يكن سبيل التخلص من هذه الحلف ممكنا الا اذا اعتمدوا على حلف أخرى يضمون بها لأنفسهم النفوذ اذا ثارت الثائرة بينهم وبين اليهود وقد رأوا الفرصة سانحة لعقد محالفة مع ملوك غسان الذين كانوا يقودون حركة المنافسة الشديدة والنضال العنيف الموجه من النصرانية ضد اليهودية و بطبيعة الحال كان ملوك غسان يرغبون في هذه المحالفة مع الاوس والخزرج بل ويسعون اليها ليتكثروا بها من القضاء على اليهودية في بلاد الحجاز

وعلى كل حال فقد وجدت علاقات حسنة بين الطرفين كما يؤخذ من قصيدة المدح التي قالها حسان بن ثابت في ملوك بني غسان والتي يقول فيها

لله در عصابة نادمتهم	يوما يجلق في الزمان الاول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصعق بالرحيق السلسل
يُعشون حتى ما تهر كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمة احسابهم	شم الانوف من الطراز الاول ^(١)

ولكن هذا كله لا يتبنت صحة ما روى عن أبي جبيلة اذ من الممكن جدا أن تكون العلاقات الحسنة بمثابة التعمد من جانب ملوك غسان بعد التعرض لتجار البطون النيربية الذين كانوا يجولون في أنحاء سورية

ومن الممكن أيضا أن تكون هناك علاقات كهذه بين اليهود وبين بني غسان نظرا للمصالح التجارية العظيمة التي كانت لليهود في بلاد غسان^(٢) وهناك أمر آخر يزيدنا شكاً في صحة قصة أبي جبيلة ذلك اننا لا نجد

(١) الاطاني جزء ١٤ ص ٢ - ابن خلدون جزء ٢ ص ٢٨٠

(٢) تاريخ الخميس جزء ٢ ص ١٣ (ابو الدغاعى الحبيرى يرسل قوامله الى بلاد الشام

بينها وبين يوم بعث الذي جاء بعدها أية صلة أو ارتباط بل على العكس من ذلك نستنتج اعتماداً على الاخبار المفصلة التي وصلتنا عن يوم بعث ان اليهود كانوا متمنعين بجميع حقوقهم السياسية والاجتماعية وكانت زارعهم وآطاهم وأمواهم كاملة غير منقوصة

ويقرر المؤرخ Graetz ان بطون الاوس والخزرج لم تصارع اليهود بالعداوة والمعصية الا بعد النكبة التي حلت باليهود في اليمن اذ لا ينصور أن يضطهد اليهود في الحجاز في العصر الذي كان فيه ملوك متهودون يسيطرون على اليمن ويتعصبون لدينهم ويناهضون كل من يناهضهم أو يعتدى عليهم^(١)

ويؤيد قول هذا العالم ما ذكره بعض مؤرخي العرب من أن الحجاز الشمالية كانت في شبه تبعية لليمن في عصر وجود حمير المتهودة وان واحدا من الاسرة المالكة في اليمن كان يشرف على شؤون الطوائف المختلفة في شمال الحجاز^(٢) وقد بقيت البطون العربية عصوراً طويلة على موالاته ومناصرة اليهود دون أن يظهر عليهم شيء يدل على أنهم يتزبصون لهم الفوائض الى أن أخذت دولة غسان تنصب لليهود المكاييد وتحرض عليهم رعاء الاوس والخزرج ليفتكوا بهم والظاهر ان دولة بني غسان لم تعمل هذا الا بايعار من الدولة الرومانية الشرقية التي أرسلت أسطولها لمساعدة الحبشة في كفاحها ضد اليهود في اليمن

وليس غريباً على هذه الدولة أن يحرص عاملها من ملوك غسان على أن يثيروا الفتن والاسائس ضد يهود الحجاز فسياستها هذه واضحة كل الوضوح في الجزيرة العربية أنساء القرن الحامس والسادس ب . م . وأمامنا قصة في كتاب السهمودي تستحق العناية لفهم السياسة الدينية عند زعماء النصراني في الجزيرة العربية وهي ان مالك بن العجلان قد ذهب بعد قتاله للفيطون الى تبع الاصغر

(١) Graetz ج ٣ ص ٩١ وص ٤١٠

(٢) Perceval ج ٢ ص ٦٥٤ : ٥١

فشكا اليه ما كان من أمر يهود يثرب فعاهدهم تبع ألا يقرب امرأة ولا يمس طيبيا ولا يشرب خمرًا حتى يسير إلى المدينة وينزل باليهود . . . (١)

ويعلق العالم Wüstenfeld الذي طبع كتاب السهمودي على رواية تبع الاصغر بقوله انه كان من اقبال الحبشة المنتصرين في اليمن وانه ذهب لمحاربة يهود الحجاز مساعدا لابي جبيلة الفسائي (٢)

وانى اقول رواية السهمودي عن تبع الاصغر بتخفظ شديد دون أن أميل إلى الاعتقاد بصحتها وانما تقلتها لانها توافق أقوال المستشرقين عن الخطة السياسية التي اتبعتها الدولة الرومانية الشرقية في الاقاليم العربية

ويعتقد العالم Wellhausen ان الكفاح بين النصرانية واليهودية في بلاد الحجاز كان عنيفا جدا وان اغارات الدولة الفارسية على حدود البلاد الرومانية وقفت الملحمة الفاصلة لزمان ما ولولا ظهور الاسلام لاصبحت بلاد الجزيرة من الوجهة الدينية منقسمة تاجعها إلى قسمين يهودية ونصرانية (٣)

لم يصل اليانا من اخبار اليهود في بلاد الحجاز بعد ان نحدث نار الفتنة بينهم وبين بطون الاوس والخزرج الا ما يعرف بيوم بعاث

ويحدثنا صاحب الاغانى عن هذا اليوم العبوس بقوله : كانت الاوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعاث إلى أبي قيس بن الاسلت الوائلى قسام في حربهم وأكثرها على كل أمر حتى شحَب وتغير ولبث أشهرًا لا يقرب امرأة وكانت الاوس قد استعانت ببني قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبلغ ذلك الخزرج فبعثت اليهم ان الاوس فيما بلغنا قد استعانت بكم علينا ولن يعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكثركم من العرب فان ظفروا بكم فذاك

(٣) خلاصة الرواء ص ٨٣

(٢) ويؤيد العالم Wellhausen أقوال Wüstenfeld في مصعبه Skizzen und

4 Vorarbeiten Heft 4 ص ٨ — ١١

(٣) Skizzen 4 ص ١٢

ما تكروهون وان ظفرتم لم تم عن الطلب أبداً فتصيروا الى ما تكروهون ويشغلکم من شأننا ما أتم الآن منه خالون وأسلم لكم من ذلك أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين اخواننا فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق فأرسلوا الى الخزرج انه قد كان الذي بلغكم والتست الاوس نصرنا وما كنا لننصرهم عليكم أبداً فقالت لهم الخزرج فان كان ذلك كذلك فابعثوا الينا برهائن تكون في أيدينا فبعثوا اليهم أربعين غلاماً منهم ففرقهم الخزرج في دورهم فكشوا بذلك مدة ثم ان عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة ان عامراً أنزلکم منزل سوء بين سبخة ومغارة وانه والله لا يس رأسي غسل حتى انزلکم منازل بني قريظة والنضير على عذب الماء وكریم النخل ثم راسلهم إيا ان تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها واما ان تهتل رهنكم فمهما ان يخرجوا من ديارهم فقال لهم كعب بن أسد القرظي يا قوم امنعوا دياركم وخلوه يقتل الرهن والله ما هي الا ليلة يصيب فيها أحد امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن فاجتمع رأيهم على ذلك فأرسلوا الى عمرو بن لا نسلم لكم دورنا وانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا فقوموا لنا به فعدا عمرو بن النعمان على رهنهم هو ومن أطاعه من الخزرج قتلوه وأبى عبد الله بن أبي وكان سيداً حليماً وقال هذا عقوق وهائم وبنى فلست مميئنا عليه ولا أحد من قومي أطاعني وكان عنده في الرهن سليمان بن أسد القرظي وهو جد محمد بن كعب القرظي فغلى عنه وأطلق ناس من الخزرج نفرا فلققوا بأهليهم فناوشت الاوس الخزرج يوم قتل الرهن مناوثة ضئيلة

واجتمعت قريظة والنضير الى كعب بن أسد أخى بني عمرو بن قريظة ثم تأمروا أن يعينوا الاوس على الخروج فبعث الى الاوس بذلك ثم أجمعوا أن ينزل كل أهل بيت من النبيت على بيت من قريظة والنضير فقتلوا معهم في دورهم وأرسلوا الى النبيت يأمرهم بأتيانهم وتعاهدوا ألا يسلموهم أبداً وأن يقاتلوا معهم حتى لا يبقى منهم أحد فجاءتهم النبيت فزولوا مع قريظة والنضير ثم أرسلوا

الى سائر الاوس في الحرب والقيام معهم على الخروج فأجابوهم الى ذلك فاجتمع
 الملا منهم واستنحك أمرهم وجبوا في حربهم ودخلت بينهم قبائل من أهل المدينة
 منهم بنو نعلبة وهم من غسان وبنو زعوراء وهم من غسان فلما سمعت بذلك
 الخزرج اجتمعوا ثم خرجوا وفيهم عمرو بن النعمان البيضاى وعمرو بن الجوح
 السلى حتى جاءوا عبد الله بن أبي وقيلوا له قد كان الذى بلغك من أمر الأوس
 وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا وانا نرى أن تقال لهم فان هزمناهم لم
 يحرز أحد منهم معقله ولا ملجأه حتى لا يبقى منهم أحد

فلما فرغوا من مقاتلتهم قام عبد الله بن أبي خطيبا وقال ان هذا بنى منكم على
 قومك وعقوق والله ما أحب ان رجلا من جراد لقيناهم وقد بلغنى أنهم يقولون
 هؤلاء قومنا منعونا الحياة فيمنعوننا الموت والله انى أرى قوما لا ينتهون أو يهلكوا
 عامتكم وانى لأخاف ان قاتلوكم ان يصرروا عليكم لبغيتكم عليهم فقاتلوا قومكم
 كما كنتم تقاتلونهم فاذا ولوا نخلوا عنهم فاذا هزموكم فدخلتم أذى البيوت خلوا
 عنكم فقال له عمرو بن النعمان انتفخ والله متهرك يا أبا الحارث حين بلغك حلف
 الاوس قريظة والنضير فقال عبد الله والله لا حضرتكم ابدا ولا احد اطاعنى ابدا
 ولكأنى انظر اليك قتيلا نحمك أربعة في عبا وتابع عبد الله بن ابي رجال من
 الخزرج منهم عمرو بن الجوح الحرامى واجتمع كلام الخزرج على ان رأسوا عليهم
 عمرو بن النعمان البيضاى وولوه أمر حربهم

ولبث الأوس والخزرج أربعين ليلة يتصنعون للحرب ويجمع بعضهم
 لبعض ويرسلون الى حلفائهم من قبائل العرب فأرسلت الخزرج الى جهينة
 واشجع فكان الذى ذهب الى اشجع ثابت بن قيس بن شماس فأجابوه وأقبلوا اليهم
 وأقبلت جهينة اليهم أيضاً وأرسلت الأوس الى مزينة وذهب حضير الكنائب
 الاشهل الى ابي قيس فقام حضير فاعتمد قوسه فحرضهم وأمرهم بالجد في حربهم

وذكر ما صنعت بهم الخرزج من اخراج النبيت واذلال من تخلف من سائر الأوس في كلام كثير . . .

فأجابه أوس الله بالذي بحب من النصره والمؤازرة والجهد في الحرب وأما الأوس فاجتمعت يومئذ الى حضير بموضع يقال له الحياة فأجابوا الرأي فقالت الأوس ان ظفرنا بالخرزج لم نبق منهم أحداً ولم قاتلهم كما كنا قاتلهم فقال حضير يا مشر الأوس ما سميت الأوس إلا لأنكم تؤسسون الأمور الواسعة

ولما اجتمعوا بالحياة طرحوا بين أيديهم عمراً وجعلوا يأكلون وحضير الكتائب جالس وعليه برده له قد استعمل بها الصماء ما يأكل معهم ولا يدينوا الى التمر غضباً وحنقاً فقال يا قوم اعتقدوا لأبي قيس بن الاسلت فقال لهم أبو قيس لا أقبل ذلك فاني لم أراس على قوم قط إلا هزموا وتشاءموا برياستي وجعلوا ينظرون الى حضير واعتزله اكلهم واستغاله بما هم فيه من أمر الحرب وقد بدت خصياه من تحت البرد فلذا رأى منهم ما يكره من الغنور والتخادل تقلصنا غيظاً وغضباً واذا رأى منهم ما يجب من الجهد والتشمير في الحرب عادنا لحالمها وأجابت الى ذلك أوس مناه وجدوا في المؤازرة والمظاهرة وقدمت مزينة على الأوس فانطلق حضير وأبو عامر الراهب بن صيفي^(١) الى أبي قيس بن الاسلت فقالوا قد جاءتنا مزينة واجتمع الينا من أهل يثرب ما لا قبل للخرزج به فما رأى ان نحن ظهروا عليهم الانجاز أم البقية فقال أبو قيس بل البقية قال أبو عامر والله لو ددت أن مكاتهم نعلبا ضباحا فقال أبو قيس اقتلوم حتى يقولوا بزنا كلمة كانوا يقولونها اذا غلبوا فتشاجروا في ذلك وأقسم حضير ألا يشرب خمرأ او يظهر ويهدم مزاحا ألم عبد الله بن أبي قيسوا شهرين يعدون ويستعدون ثم التقوا ببعث وتخلف عن الأوس بنو حارثة بن الحارث فبعثوا الى الخرزج إنا والله

(١) وكان قد زعم في المعاهدة ولس السوح وكان يقال له الراهب . ابن هشام جزء

ما تريد قتالكم فبعثوا اليهم أن ابعثوا الينا برهن منكم يكونون في أيدينا فبعثوا اليهم اثني عشر رجلا منهم خديج وبعث من أموال بني قريظة فيها مزرعة يقال لها قورى فلذلك تدعى بعث الحرب وحشد الحيان فلم يتخلف عنهم الا من لا ذكر له ولم يكونوا حشدا وقبل ذلك في يوم التقوا فيه فلما رأت الاوس الخزرج أعظموم وقالوا لحضير يا أبا أسيد لو حاجرت القوم وبعثت الى من تخلف من حلفائك من مزينة فطرح قوما كانت في يده ثم قل انظروا مزينة وقد نظر الى القوم ونظرت اليهم الموت قبل ذلك . ثم حمل وحملوا فاقتلوا قتالا شديدا فانهزم الاوس حين وجدوا مس السلاح فولوا مصعبين في حرة قورى نحو العريض وذلك وجه طريق نجد فزحل حضير وصاحت بهم الخزرج أين الفرار الا أن نجدا سنت أى مجذب يعبرونهم فلما سمع حضير طعن بسنان رجه فغذه ونزل وصاح واعقره والله لا أرى حتى أقتل ظن شتم يامشر الاوس أن تسلموني فافعلوا فتقطعت عليه الاوس وقام على رأسه غلامان من بني عبد الاشهل فقاتلا حتى قتلا وأقبل سهم حتى أصاب عمرو بن النعمان رأس الخزرج فقتله لا يدري من رمى به الا ان بني قريظة تزعم انه سهم رجل يقال له أبو لباية فقتله فينا عبد الله ابن أبي يتردد على بغلة له قريبا من بعث يتحسس أخبار القوم اذ طلع عليه بعمر بن النعمان ميتا في عاءة له يحمله أربعة الى داره فلما رآه عبد الله بن أبي قال من هذا قالوا عمرو بن النعمان قال ذق وبال العقوق وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الاوس السلاح وصاح صائح يامشر الاوس أسجحوا ولا تهلكوا اخوانكم فجوارهم خير من جوار الثعالب فتسأهت الاوس وكفت عن سلبهم بعد إثنان فيهم وسلبتهم قريظة والنضير وجعلت الاوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها فخرج سعد بن معاذ الاشلي حتى وقف على باب بني سلمة وأجارهم وأوالهم جراء لهم بيوم الرعل وكان للخزرج على الاوس يوم يقال له يوم مفلس ومصرس وكان سعد ابن معاذ حمل يومئذ جريحا الى عمرو بن الجموح فمن عليه وأجاره وأخاه يوم رعل

وهو على الاوس من القطع والحرق فكافاه سعد بمثل ذلك في يوم بعاث وأقسم كعب بن أسد القرظي ليلذن عبد الله بن أبي وليحلقن رأسه تحت مزاحم فناداه كعب انزل يا عدو الله أنشدك الله وما خذلت عنكم فسأل عما قال فوجده حقاً فرجع عنه واجتمعت الاوس على أن تهدم مزاحماً أطم عبسده الله بن أبي وحلف حضير ليهدمه فكلم فيه فأمرهم أن يرشوا فيه كوة وأفلت يومئذ الزبير بن ايس بن باطا ثابت بن قيس شماس أخا بني الحرث وهي النعمة التي كافاه بها ثابت في الاسلام يوم بني قريظة (١)

وخرج حضير الكنائب وأبو عامر الراهب حتى أتيا أبا قيس بن الاسلمت بعد الهزيمة فقال له حضير يا أبا قيس ان رأيت ان تأتي الخزرج قصرا قصرا ودارا دارا تقتل ونهدم حتى لا يبقى منهم أحد فقال أبو قيس والله لا فعل ذلك فضرب حضير وقال ما سميت الاوس الا لأنكم تؤسسون الامر أوسا ولو ظفرت منا الخزرج بمنلها ما أقلوناها ثم انصرف الى الاوس فأمرهم بالرجوع الى ديارهم وكان حضير جرح يومئذ جروحا شديدا ثم مات من الجراح التي كانت به

وكان يهودى أعشى من بني قريظة يومئذ في أطم من آطاءهم فقال لابنة له أشرفى على الاطم فانظرى ما فعل القوم فأشرفت وقالت أسمع الصوت قد ارتفع فى أعلى قورى وأسمع قائلا يقول اضربوا يا آل الخزرج فقال الدولة اذا على الاوس لا خير فى البقاء ثم قال ماذا تسمعين قالت أسمع رجلا يقولون يا آل الاوس ورجالا يقولون يا آل الخزرج قال الآن حى القتال ثم لبث ساعة ثم قال أشرفى فاصمى فأشرفت فقالت أسمع قوما يقولون نحن بنو صخرة أصحاب الرعل. قال تلك بنو عبد الاشهل ظفرت . . . ثم وثب فرحا نحو باب الاطم فضرب رأسه بحاق بابه وكان من حجارة فسقط فمات

وقال خفاف بن نديبة يرى حضير الكاتب وكان نديبه وصديقه :
لو ان المنايا حدثن عن ذى مهابة لهبن حضيراً يوم أغلق دأقنا
أطاف به حتى اذا الليل جنه تبوأ منه منزلاً متناعماً . . .

اتانى حديث فكذبته وقيل خيلك فى المرس
فياعين أبكى حضير الندى حضير الكتائب والمجلس
ويوم شديد اوار الحديد تقطع منه عرى الانفس
صليت به وعليك الحديد ما بين سلع الى الاعرس
فأودى بنفسك يوم الوغى وتقى ثيابك لم تدنس . . . (١)

ولما كانت حوادث هذا اليوم قد جرت قبيل ظهور الاسلام بخمس سنوات
قبل الهجرة وكان كثير من زعماء الأوس والخزرج واليهود الذين جالوا فى ميدان
الوغى قد أدركوا الاسلام حتى كان لبعضهم أثر ظاهر فى حوادث المدينة بعد
هجرة النبي محمد اليها فلا شك أنه يوم حقيقى وأن أغلب ما قلنا من أخباره صحيح
وللبخارى حديث يدل على الوقع العظيم الذى كان ليوم بعثات فى نفوس أهل
يثرب « قالت عائشة دخل على رسول الله وعندى جاريتان تغنيان ببناء بعثات
فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانهرنى وقال مرة مارة الشيطان
عند رسول الله (٢)

وقد ظل اليهود بعد هذا اليوم محتفظين بمكاتبتهم بين القبائل العربية حتى

(١) الاغانى جزء ١٥ ص ١٥٤ - ١٥٩

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٢٥

ان الأوس والخزرج كانتا نحسبان لقوتهم حساباً كبيراً وكانت كل منهما تجتهد في أن تميلهم اليها ليساعدها في كفاحها ضد الأخرى

وكذلك تبين لنا من يوم بعث أن اليهود كانوا أهل نضال وكفاح وأنهم كانوا كالأعراب في قسوتهم وغلظتهم المعروفتين عنهم في الجاهلية حتى ان بنى النضير وقرية أنحنوا في بنى قينقاع وبرزقوا شملهم بسبب انضمامهم الى بنى الخزرج ليكونوا عوناً لهم على أبناء جلدتهم

وقد أظهر الربيع بن أبي الحقيق استيلاءه الشديد من تلك المعاملة الغليظة لبني قينقاع فدكر ما يبى بنى النضير وقرية وكان الربيع من شعراء اليهود من بنى قرية وكان أحد الرؤساء في يوم حرب بعث وكان حليفاً للخزرج هو وقومه
قال :

سئت وأسيت رهن الفراء	ش من جرّم قومي ومن عقرم
ومن سقّ الرأى بعد النهى	وعيب الرساد ولم يفهم
فلو أن قومي أطاعوا الحلي	م لم يتعدوا ولم يظلم
ولكن قومي أطاعوا الفواء	ة حتى تمكس أهل الدم
فاودى السفيه رأى الحلي	م وابتسر الأمر لم يبرم... (١)

وكان من نتائج يوم بعث أن ضعف روح العدوان والحقد في نفوس البطون البريئة حتى أخذ الناس ينصرفون لأعمالهم ويتدقون لذة الراحة وهناء العيش وصفاء البال

وكانوا كلما هم أحدم أن يصب زيتاً حامياً على نار العداوة الكامنة في

(١) الاغان جزء ٢١ ص ٦٢ واما ابن سلام الجعفي صاحب طبقات الشعراء فانه يقول ان الربيع بن ابي الحقيق من بنى النضير (ص ١١٠ طبع مصر) ونحن نرجح رأى الجعفي على رأى صاحب الاغان لا انضج لنا ان آراءه... " "

القلوب ليزيد في ضرامها ويعظم من أوارها سعى كثير من الزعماء وذوى النفوذ من الطرفين لكف يده حتى لا تسل السيوف من انمادها وعلى العموم فان يوم بعثت قد أضعف بطون يثرب قاطبة وأدخل فيها الميل الى الانحاد حتى أرادت فيما يقال أن تملك عليها ملكا من بني الخزرج كما يحدثنا ابن هشام « ان قوم عبد الله بن أبي قد نظهوا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم ثم جاء رسول الله الى المدينة وانصرف القوم عن عبد الله ورأى أن الرسول قد استلبه ملكا فلما أن رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق وضمن وكان لا يختلف عليه في شرفه اثنان لم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين . . . (١)

فكان قلوب بني يثرب على اختلاف قبائلها وكثرة نزعاتها قد منمت العداوة وكرهت حالة الجفاء والخشونة وتسمرت بالحاجة الى من يخرجهم منها ويوجه عنايتهم الى ما هو أكثر خيراً وأعظم نفعا

(١) ابن هشام جزء ٢ من ١٧٧

الباب الرابع

أحوال العرب الاجتماعية والريفية والسياسية في بلاد الحجاز قبل ظهور الإسلام

مسيرة النمو الادبي والاجتماعي لتقلبات السياسية — بسط نفوذ الدين اليهودي في الحجاز — الديانة الاسرائيلية لا تميل الى ادغام الامم على اعتناقها — العوامل التي حالت دون انتشار اليهودية في الحجاز — قصص ابن هشام في مبلغ تأثير اليهود في عقلية العرب — طمن بعض المستشرقين في صحة وجود صلة قرابة قديمة بين العرب واليهود — رد هذا الطمن بالادلة التاريخية وإبحاث بعض المستشرقين — عادة المتنل عند العرب واليهود وهل اخدها العرب من اليهود ؟ — التعمير (ملة ابراهيم حنيفا) وعادة المتنان — الحنيفية في بلاد الحجاز — الجدل بين المستشرقين في هذا الموضوع — زيد بن عمرو بن نفيل والحنيفية — النساء عند العرب واليهود — الاصطلاحات الوثنية عند العرب وعلاقتها باللقبة البرية — ضعف تأثير الديانة المسيحية في قلوب أهل الحجاز — حالة اليهود الاجتماعية والدينية بين العرب في الجاهلية — الحالة عند قبائل الحجاز قبل ظهور الاسلام — يوم الفجار وتناحه — النهضة الفكرية في بلاد الحجاز قبل ظهور الاسلام — قس بن ساعدة — امية بن ابي الصلت — استمداد القلوب العربية لقبول ديانة سماوية جديدة

إذا أنعمنا النظر في التاريخ العام نجد النمو الادبي والتفكير الفكري في أمة من الأمم يمتد ويسمو الى الدرجات الرفيعة مع امتداد النمو السيامي وازدياد الرقي الى ذرى المجد بقوة السيف والبطش كما نراه يسقط تيناً فسيناً ويتدهور تدريجياً كلما تدهورت القوة المادية في تلك الأمة وضعف سلطتها

وتكاد تكون هذه الظاهرة عامة وشاملة لكل الامم والشعوب ولكننا لانجدها حين نبحث عنها في يهود الجزيرة العربية اذ بعد ان انتصر الحبشون على ملوك

حمير اليهودية وبعد ان أظهر أبو جيبلة الأوس والخزرج على يهود يثرب — اذا
فرضنا صحة هذه الرواية — يقي سلطانهم الفكري بوجه عام ونفوذهم الديني بوجه
خاص قورين سليمان لم تنل منها قوة أعدائهم الا قليلا

ولا شك أنه كان في مقدرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الديني على
العرب حتى تبلغ منزلة أرق مما كانت عليه لو توافرت عند اليهود النية على نشر
الدعوة الدينية بطريقة مباشرة ولكن الذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأن الأمة
الاسرائيلية لم تمل بوجه عام الى ارغام الامم على اعتناق دينها وان نشر الدعوة
الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود^(١)

ولسنا نعرف في تاريخ اليهود أنهم أرغموا بقوة السيف أمة من الامم على
اعتناق اليهودية اذا استثنينا حادثة واحدة ارغم فيها الملك اليهودي يوحنا
هوركاوس طوائف بني أدوم على اعتناق اليهودية صاغرين بعد ان استولى على
بلادهم عنوة ولكن يجب ألا ينسب عن بالنا أن اليهود كانوا يعتبرون بني أدوم
إخوة لهم في الجنسية اذ لم تكن هناك بينهم فروق ظاهرة في العقلية والتقاليد
فلعلمهم أرادوا بارغاءهم اياهم على اعتناق اليهودية أن يزيلوا العارق الديني أيضاً...^(٢)
وهناك عامل آخر حال دون انتشار اليهودية في الحجاز : فاليهودية كما نفهمها
هي خلاصة القانون التلمودي بعقائده وتقاليده وطقوسه وهذا القانون الذي نشأ في
بيئة معينة وفي مدة قرون معينة والذي استمد مبادئه وتعاليمه من نصوص التوراة
قد أدخلت عليه تغييرات تلائم الأحوال الجديدة التي طرأت على اليهود مع
التغير الاجتماعي والرقى الروحاني الذي طبع العقلية اليهودية بطابع جديد لم
يكن يعرف في العصور الاسرائيلية القديمة وقد نجم عن ذلك ان الذين أرادوا

(١) راجع التلود كتاب קידושין ע' وكتاب יבמות ס"ו

(٢) Klausner ج ٢ ص ٧٢ وكتاب Simhoni ج ٢ ص ١٠٣

أن يقبلوا جوهريات صحف التوراة دون أن يخضعوا للناموس التلمودي وعقائده لم يؤذن لهم باعتناق اليهودية ولا شك ان هذا كان من أهم الاسباب التي أدت إلى ظهور النصرانية فان طوائف اليونان والسريان المجاورة لفلسطين قد تأثرت بالدين الاسرائيلي وارتاحت لتعاليم التوراة فاعتنقت العقائد الجوهرية وآمنت بالمبادئ الأساسية ورفضت ما لا ياسب روحها القومي ولا يتفق مع تقاليدھا القديمة كذلك وجدت هذه النفسية في الجزيرة العربية اذ تأثر كثيرون من العرب بتعاليم اليهودية وأخذوا يخضعون لبعض الاصول الجوهرية من التوراة دون أن ينقادوا للبعض الآخر فلم ترض منهم اليهودية ذلك ولم تترجمهم الى الله بل لم تفرق بينهم وبين بقية عبدة الأصنام لأنهم لم يقبلوا التمسك بالسبب ولم يخضعوا لبقية وصايا التوراة والتلمود

وهكذا صمم اليهود الذين انفردوا عدة قرون بحمل راية التوحيد على أن يبعدوا عن اليهودية كل من أراد أن يعتنقها الا اذا توافرت فيه جميع شروط التوراة والتلمود وخضع لكل نظمها دون أن يفصل بعضها على بعض على أن المسيحيين والمسلمين نحو هذا النحو مع كل من أراد أن يعتنق المسيحية أو الاسلام اذ لم يرص المسيحيون من شخص أن يعتنق بعض ما جاء في الانجيل وينكر ما لم يوافق هواه وكذلك رفض المسلمون أن يدخلوا في حظيرة الاسلام من آمن ببعض الكتاب وكفر بالعض الآخر

وهناك أمر آخر عاق انتشار اليهودية بين العرب ذلك ان التوراة والتلمود كلنا الانسان بتكاليف صعبة وربطاه بتقاليد كثيرة لم يألفها فلم يستطع العربي الذي لم يكن يعرف للنظم المعقدة قيمة أن يدركها بسهولة وعمر على نفسه أن تقبل التقليد باغلال لا تحصى من القوانين الثابتة الثقيمة وهي المطبوعة على حب الاستقلال والحرية

ويقول الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار : وهناك أمر آخر له خطر . وهو

ان اليهود يعتبرون أنفسهم أبناء الله وشعبه المختار من بين شعوب الارض . ولا تسح أنفسهم أن تكون هذه الميزات لشعب آخر ليس منهم . لهذا لا يقرون بأن الله يختار نبيا غير اسرائيلي . (راجع آية — ١ — وما بعدها من الاصحاح ١٤ ثنية) — اه

كنا قد ذكرنا في الفصول الماضية ان بطونا عربية كثيرة سكنت بجوار اليهود في يثرب وخيبر ووادي القرى ولكن الاختلاط والتأثير بين العرب واليهود لم يقف عند هذا الحد بل انه انتشر في أكثر أقاليم العرب عموما والحجاز خصوصا . كانت مستعمرات اليهود واقعة على طريق القوافل الآتية من الحجاز واليمن قاصدة الى سورية والعراق وكان تجار العرب يأتون الى الاسواق اليهودية في شمال الحجاز ليتاعوا من حاصلات اليهود وصناعاتهم وكذلك كان اليهود يعرضون بضاعتهم في الاسواق التي كان العرب يقيمونها في جهات شتى فينتج عن التعاون الاقتصادي والاختلاط الاجتماعي تبادل في الآراء وجدال في الديانات

كان اليهود يفتخرون بدينهم ويقصون على الاعراب ما يعلمون من عظمة الله وجبروته وعن خلق الدنيا والجنة والنار والقيامة والبعث والحساب والميزان وكانوا يدكرون معايب الوثنيين ويمزقون أعراض الأصنام جهرا كما يحدثنا ابن هشام اذ يقول « كان سلمة من أصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود بن عبد الأشهل قال نخرج علينا يوما من بينه حتى وقف على بنى الاشهل وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على بردة لي مضطجع فيها بقاء أهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون ان سنا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى ان هذا كائن ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجوزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم

يدخلونه اياه فيظنونه عليه بأن ينجو من تلك النار غداً فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة والمين.... (١)



يرجد عند بعض الباحثين ميل الى اعتقاد أن اليهود تعمداً نشر قصص التوراة والتلمود بين العرب لأسباب سياسية ودينية وأنها في حقيقة الأمر دسيسة لفقها اليهود للعرب ترفلاً اليهم واحتيالاً على كسب عطفهم وتوثيق عرى المودة والألفة بينهم » ويقول أحد هؤلاء العلماء : « . . . ان هذه الطريقة من سنن اليهود المألوفة اذ لوحظ عليهم كثيراً أنهم متى رأوا المصلحة في التودد الى قوم قالوا لهم أتم اخواننا ونحن وأتم صنوان . . . وظلوا منذ ذلك العهد الى ظهور الاسلام وهم يبذلون جهدهم في اشراب العرب عقيدة أنهم جميعاً ذرية أب واحد حتى نجحت فيهم هذه الأكتوبة التي كان العرب أجمل من أن يتبينوا ما فيها من كذب وتلفيق

ولما ظهر النبي محمد رأى المصلحة في اقرارها فأقرها وقال للعرب انما هو يدعوهم الى ملة ابراهيم . . . (٢)

والمأمل في هذه النظرية التي يتم منها رائحة الطعن في ديانة سهاوية يرى أنها مجردة عن الصحة وليس فيها من الحقيقه التاريخية عين ولا أثر ويؤكد فسادها ما يأتي .

- (١) ان اليهود كانوا يقصون على العرب الاقاصيص المذكورة في التوراة والتلمود كما هي دون أن يزيدوا عليها شيئاً من عند أنفسهم
- (٢) اذا وجد الميل عند بعض المستشرقين الى انكار وجود الآباء الأقدمين لبي اسرائيل من ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب فانهم لا يستطيعون أن

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٣١٣

(٢) مقالة في الإسلام من كتب البشريين ص ١٨

ينكروا وجود قبائل بني اسرائيل وقبائل بني اسماعيل لان التوراة نصت على وجودها في طورسينا والحجاز بما ذكرته من الحوادث التي وقعت بين بطون اسماعيلية وأدومية واسرائيلية ولا شك أن هذا كاف لاثبات العلاقة الدموية المتينة بين اليهود وعرب طورسينا والحجاز

وقد عنرت على نص في التوراة يؤيد نظريتي في هذا الصدد ولكنني مضطر الى أن أترجم هذا النص ترجمة عربية جديدة لان تراجم التوراة العربية والافرنجية قد أخطأت في تفسيرها الحقيقي وهذا هو النص العبري: *וישכנו (בני שמעון) מחוידה עד שזר אשר על פני מצרים כאכה אשרה עד פני כל אחיז נפר (١)* ومعناه: ونزلت (بطون بني اسماعيل) مع نشأتها (٢) بين اخوتها واستوطنت البلاد من الحولة الى طريق القوافل بين مصر والعراق

(٣) قرر علماء الافرنج جميعاً أن علاقة بطون بني اسرائيل الجنوبية بعرب الحجاز وطورسينا أقرب منها الى قبائل بني اسرائيل الشمالية كل هذا يوضح انه لم تكن ليهود الحجاز ضرورة لاختلاق الأباطيل (٣)

وأما الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار فيقول: لو أن اليهود كانوا في تلك الأزمان المنصرمة يستغلون القرابة يخترعونها لتكون رباطاً بينهم وبين قوم يرحون منهم نفعاً أو يخشون منهم صرراً أو حيفاً لكان الأجدد بتلك القرابه الرومان والفرس أى الأمم التي تعاقب حكمها عليهم في الأزمنة المختلفة. ولكننا لم نره منهم شيئاً من ذلك ودعوى أنهم يفعلون ذلك مع الأمم كلما رحوا نفعاً أو خافوا حيفاً دعوى لا نظن ان من يدعيها يقدر أن يقيم أدنى برهان عليها

(١) التكوين فصل ٢٥ / ١٨

(٢) راجع في نهاية هذا الباب عن النساء ص ٨٦

(٣) ص ٢٧ — ٣٤ Israel's settlement in Canaan

وأعجب ما يعجب له السامع لأولئك الطاعنين في اليهود بهذه الفرية أن يكون اليهود يمتدحون تلك الاسطورة ترفلاً تفرشاً أو العدنانين في حين أنه ليس ثمة من صلات بين اليهود وقريش تجعل الأولين يهيمون سطوة الآخرين ويرجون خيرهم لبعده الشقة بين مواطني الفريقين ولم يمهّد أحد ولم يروروا في القديم ولا في الحديث أن اليهود استعانوا قريشاً في حرب من حروبهم أو عزوة من غزواتهم معتمدين على صلة القرابة واتحاد الدم أو على صلة أخرى من الصلات التي تكون بين الشعوب المتقاربة أو المتباعدة

ولو أن اليهود يتجرون بأحمة القرابة النسبية ويستغلونها للمصلحة يجلبونها أو المضرة يدفعونها لكان الأليق بهم والأجدر أن يمتدحوا تلك القرابة بينهم وبين الأوس والخزرج الذين يتأخموهم ويشاركونهم في المواطن والمرافق ويرتبطون معهم بربط المعاملة والجوار . فكيف يتركون هؤلاء المجاورين لهم ويمتدحون أسطورة يلقونها تربطهم بقوم بعيدى الدار لا يملكون لهم ضرراً ولا نفعاً

نقى أمر آخر له أهمية في هذا الموضوع: وهو أن أسفار التوراة ترجمت الى اليونانية في عهد بطليموس فيلادلتوس . وهو ثانی ملك من البطالسة في مصر ويوافق حكمه أوائل القرن الثالث قبل المسيح وفي صلب تلك الترجمة كل النصوص التي تنص على ارتباط العرب الامعايلية بالقرابة النسبية مع اليهود وذلك قبل رحيل يهود يثرب الى الحجاز بما يقرب من أربعة قرون . فهل كان اليهود يعلمون ما مستحدثه الأيام وانهم بعد أربعة قرون أو أكثر سيصيرون الى بلاد العرب ويتخذونها دار مقام لهم . ثم أنهم سوف يحتاجون الى ربط أنفسهم برابطة النسب مع قوم من العرب لا يخالطونهم في الدار وليس بينهم وبينهم حلف أو جوار فأعدوا ذلك قبل ترجمة التوراة الى اليونانية وكذبوا تلك الأكلوبة سلفاً وقيل الاحتياج اليها بقرون متطاولة . اذا قال أولئك الطاعنون على اليهود : نعم ، فليس لدينا ما نجيبهم به سوى قول القائل :

من كانت يخلق ما يقو ل تخيلتي فيه قليلة اه —
ومها يكن من الأمر فان اتصال العرب باليهود قد أدى الى تغيير جوهرى
فى عقلية المضر والبادية بالحجاز وظهرت هناك نظم جديدة طرأت على شؤونهم
الاجتماعية وتسربت الاصطلاحات من العبرية الى العربية
وإنى أشير هنا الى بعض التغييرات التى يعتقد العلماء انها ظهرت فى الحجاز
بعد وصول اليهود اليها فى طورهم الثانى ...

لا شك فى أن عادة الختان لم تسر من اليهود الى العرب لأنها كانت
شائعة عند قبائل مختلفة فى الجزيرة العربية منذ عصور غابرة ويستدل العالم
(Wellhausen) (١) بوجود قبائل متوحشة حتى فى أفريقيا كانت تألف
هذه العادة

ولست أنكر صحة هذا الرأى لأن النوراة توضح لنا أن بنى إسرائيل قد
جاءوا بالختان من موطنهم الاصلى فعلى ذلك يحتمل أن هذه العادة كانت ذاتمة
عند قبائل أخرى بجاورة بنى إسرائيل فى الصحراء

غير أن هناك اعتباراً آخر لم يعن العلماء نظرم فى فحصه ربما يرشدنا الى
اكتشاف تأثير اليهود على العرب فى عادة الختان

كان الاصطلاح « ملّة ابراهيم حنيفاً » (٢) شامماً عند العرب قبل ظهور
الاسلام وقد اشتهر بهذا اللقب أفراد من مفكرى العرب لم تكن عبادة الأوثان
تعجبهم وكانوا يرون أن التقرب الى الله بالحجارة أمر لا قيمة له

لا أريد أن أعود الى اقوال مفسرى القرآن فى هذه العبارة ولكن أجهد
فى أن أصل الى تفسير جديد لهذا الاصطلاح

(١) Skizzen & Vorarbeiten H III ١٤٥ ص

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٧ و ٢١٩ و ٢٢١

يعرف المصو التناسلي بعد ختانه في العبرية باسم *مِلَّة* (מילה) كما أن له اسماً خاصاً قبل ختانه وهو *غرلة*

وبما أن الختان من أصول الدين الاسرائيلي^(١) فقد عبر الناموس الديني عن كل من اختتن انه دخل في ذمة وعهد ابراهيم الخليل *דהבניסו בכריתו של אברהם אבינו* ومن هنا أطلق اليهود على كل من اختتن التعبير « *ملة ابراهيم* » وهذا اللفظ يقوله الماذر للطفل عند ما يعذره والحاضرون يؤمنون (*עונים אמין*)

ولكن من حيث أن الختان وحده لا يؤدي الى الايمان باليهودية لأن هناك شروطاً أخرى لا بد من توفرها كاعلان الدخول في الديانة التوحيدية الاسرائيلية واتباع ما تأمر به التوراة واجتناب ما تنهى عنه فقد أطلق اليهود على كل من يختتن دون أن يعنق اليهودية اسم *حنيف* *חניף*^(٢) غير الصالح أى الختان الغير الوافى بالشروط اليهودية وقد جاء في لسان العرب وكان في الجاهلية يقال من اختتن وحج البيت حنيف.... القراء الحنيف من سائتة الختان... الجوهرى الحنيف المسلم وقد سمي المستقيم بذلك كما سمي الغراب أعور وتحنف الرجل أى عمل عمل الحنيفية ويقال اختتن

وفيه أيضاً : أبو عمرو الحنيف المائل من خير الى شر ومن شر الى خير
ومن ذلك كله يمكننا أن نقول إن الحنيف في الأصل هو المائل الى الشركا هو عند اليهود في لغتهم والعرب قد يطلقون اللفظ على الشيء وضده فأطلقوا الحنيف على المستقيم على *ملة ابراهيم* استعمالاً للفظ في أحد معنييه^(٣) فيحتمل أن اليهود أطلقوا على العرب التي ساءت عندها عادة الختان هذا اللفظ دون أن

(١) راجع التوراة سفر التكوين فصل ١٧ آية ١١ والنظود كتاب *דברים* ص ٣١

(٢) لهذه الكلمة بضم الحاء بالصرية مثل : تخلق أو اقرء أو تذل أو تدامل وتدامل

(٣) لسان العرب جزء ١٠ ص ٤٠٣

توضح لهم معناه ثم شاع استعماله عند العرب حتى في معناه الاصلى (١)
لو اتضحت صحة هذا الرأي لكان فيه برهان قاطع على ان عادة الختان قد
سرت الى العرب من اليهود في الدور الثاني

يجتهد العالم (Wellhausen) في أن يبرهن ان الخنيفة كانت مذهباً
نصرانياً ذائع الصيت (٢) في بلاد العرب ولكن Leszynsky يعارضه (٣) ويقول
ان الخنيفة لم تكن نصرانية البتة كما لم تكن مذهباً مميّناً بل كان هناك أشخاص
من مفكرى العرب استنكروا عبادة الأوثان متأثرين بتعاليم اليهودية والنصرانية
ودخل بعضهم في اليهودية ودخل بعض آخر في النصرانية وبقى جماعة منهم غير
متمسكين بدين من الأديان واستدل على ذلك بقول القرآن ما كان ابراهيم
يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً فانه صريح في أن الخنيفة لم تكن
واحداً منها

وقد جاء لبعض الافراد من الخنيفين ذكر في سيرة ابن هشام أكتفى بنقل
ما يقوله عن واحد منهم « وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف ولم يدخل في يهودية
ولا نصرانية وطارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والذابح التي تدمح على
الادنان ونهى عن قتل الموءودة وقال أعبد رب ابراهيم وباداً قومه بعيب مام
عليه . وكان زيد بن عمرو بن نفيل شبيخاً كبيراً يسد ظهره الى الكعبة
ويقول يا معشر قريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح مسك على دين
ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو انى أعلم أى الوحوه أحب اليك عبدتك ولكنى
لا أعلمه . . . (٤)

(١) دورى ص ١٩٠

(٢) Skizzen H IV ١٩٢

(٣) Die Juden zu Medina ٤٣

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢١٧

كذلك قرر بعض العلماء من الافرنج أن أمر النسيء نشأ من تأثير اليهود على العرب (١)

يحدثنا ابن هشام بأن « النساء هم الذين كانوا ينستون الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الأشهر الحرم ويحرمون مكانه من أشهر الحلال ويؤخرون ذلك الشهر (٢)

والعرب في موضوع النساء ومعناها كلام طويل عريض (٣) وأما الافرنج فينكرون وحود تفسير لكلمة نساء بالعربية ويميلون الى القول بما كان معروفاً عند اليهود من ان النامى (دس١٣١) أى الرئيس الدينى عند اليهود كان يؤخر ويقدم الشهور ويعين مواعيد الأعياد والصيام ويعلم النتيجة بواسطة وفود الى الطوائف اليهودية المختلفة (٤)

وأضيف الى ذلك أن النامى (دس١٣١) هو الاسم الشائع لرئيس القبائل عند بني اسرائيل منذ أزمنة غابرة (٥)

ويحدثنا ابن هشام أن أول من نسا الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم التلمس وهو حذيفة بن عبد بن قيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمه ثم قام بعده على ذلك ابنه (ابن حذيفة) ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ثم قام بعد قلع أمية ابن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية وكان آخرهم وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حضا اجتمعت اليه فحرم الأشهر الحرم الأربعة رجياً وذا القعدة وذا الحجة والحرم فاذا

(١) Die Israeliten zu Mekka ١٦٨ — ١٧٤

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٤٣

(٣) أدبيل العرب تأليف محمد نسان الجارم ص ٤٣ — ٤٦

(٤) ראש השנה פ' ע'

(٥) سفر الخروج فصل ٣٤ آية ٣١ وسفر عدد فصل ٧ آية ٣

أراد أن يخل منها شيئاً أحل المخرم فأحلوه وخرم مكانه صفر فخرموه ليواقوا عدة
الأربعة الأشهر الحرم فإذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال أنى قد أحلت لكم أحد
الصفرين الأول ونسأت الآخر للعام المقبل . . . (١)

هذه أقوال ابن هشام عن النساء وهي توضح قبل كل شيء أن وظيفة النساء
أدخلت على العرب في عصر غير بعيد من ظهور الاسلام ثم ان وجود هذه
الوظيفة في بني كنانة يرشدنا الى سؤال : هل كان لبطن بني كنانة الذي اصدر
النساء علاقة يبطون بني كنانة المتهودة التي سكنت جنوبي مكة ثم لماذا
وجدت المقاومة للنصرانية في اليمن ولنجاشي الذي قضى على ذى نواس من جهة
النساء وحدهم دون الزعماء الوثنيين ؟ ألم يكن من المحتمل أن لهؤلاء النساء علاقة
باليهودية ؟ . . .

ولكني أكتفي بما أشرت اليك من العلاقة بين كنانة والنساء وكنانة واليهود
ومقاومة النساء لنجاشي بسبب عطفهم على القضية اليهودية في الجزيرة دون أن
أجزم فيها برأى

ويؤيد أبو معشر البلخي (٢) وأبو الريحاني البيروني (٣) والمقريري (٤) رأينا
في النساء ويقولون ان العرب تعلموا عمل الكبسية من اليهود قبل الهجرة بقریب
من مائتي سنة وأخذوا يعملون بالكبس ما يشاكل فعل اليهود من الحاق فضل
ما بين سنتهم وسنة الشمس وقد أطلق العرب على عمل الكبسية بالنسيء أى
التأخير غير أنهم خالفوا اليهود في بعض أعمالهم لأن اليهود كانوا يكسون تسع
عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى تصير تسع عشرة شمسية والعرب تكبس

(١) ابن هشام حرمه ١ ص ٤٥

(٢) كتاب الاوف

(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية

(٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

أربعاً وعشرين سنة قرية باثني عشر شهراً قرياً
 كذلك نظن أن لوظيفة الصوفة علاقة باليهود أو بلغتهم العبرية على أقل تقدير
 يحدنا ابن هشام « كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتبجز لهم إذا انفردوا
 من رمي فاذا كان يوم النفر أتوا رمى الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس ما يرون
 حتى يرمي فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك
 فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل يرونه
 بالحجارة ويستعملونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت
 الشمس قام فرمى ورمى الناس معه وكلت آخرهم الذي قام عليه الاسلام
 كرم بن صفوان . . . (١)

وأما صوفة بالعبيرية فان معناها الحارس وهذا التفسير يلائم ما نقلناه من
 كتاب السيرة عن الصوفة (٦٥٤) بصر أو الشخص الذي يبصر في الشؤون
 الدينية لأنه أصدر الأمر حين مسابقة الافاضة وكان أول من رمى الجمار بالحجارة
 أو الحصى في وادي منى

ومنى هذا من الأصنام المشهورة عند بني اسرائيل في عصور جاهليتها لاننا
 نعلم من آيات نبوت أتسعيا أن منى (١٥) كان الهاً للخمر « وأما الذين تركوا
 الرب ونسوا جبل قدسى فرسوا الى جد (٢) وملاؤا منى خمرًا ممزوجاً (٣)
 وكذلك يرى العالم دورى أن استعمال العرب لاسماء الأسبوع تأثيراً يهودياً (٤)
 اذ لا يمكن تصور استعمال لفظ السبت ليوم من أيام الاسبوع دون أن يأتى من

(١) ابن هشام حرء ١ ص ١١٣

(٢) من الاصنام الكسمانية ٦٥ الى الحد والمط وقد أحطت تراجم التوراة العربية و

تفسير هذه الآيات : راجع ترجمة التوراة لجمعية المبشرين البريطانيين ص ١٠٧٠

(٣) أشيا فصل ٦٥ آية ١١

(٤) Die Israeliten zu Mekka ١٨٠ ص

تأثير اليهود كذلك عرف يوم الجمعة عند أهل مكة بلفظ عروبة وهو لفظ شائع عند اليهود يطلقونه على كل يوم يقع قبل السبت وقبل الأعياد :

עֲרֻב סַבָּת, עֲרֻב חַג הַפֶּסַח (١)

ومها يكن من مبلغ تأثير اليهود في العرب فإني أميل الى الاحتراس والتحفظ
لثلا نصل الى المبالغة والمجازفة في الحقائق التاريخية
على أن هناك مقياساً آخر يجب ألا ينسى وهو ما قلته فيما مضى من أن الصلة
الدموية في العنصر والتقارب في اللغة والاخلاق هو أساس التشابه بين العقلية
وأعماج الأفكار والآداب بين العنصرين

ولا يمكننا في كل الأحوال أن نستنتج نتائج تتعلق بالنفوذ كما يحكم بعض
الذين لا يتعمقون في البحث فيقولون مثلاً ان مهنة التجارة وما يتصل بها من
دهاء وذكاء، ونشاط قد جاءت الى أهل مكة من يهود بلاد الحجاز اذ ترجع ملكة
التجارة عند بطون أم القرى قبل كل شيء الى مركزها الجغرافي ووقوعها في وسط
بلاد العرب وعدم وجود رافق أخرى للتكسب والارتزاق

ثم ان التشابه العظيم بين اليهود وأهل مكة من وجهة الأخلاق والتقاليد
والاصطلاحات الدينية كان سبباً في ضلال بعض المستشرقين حتى خيل اليهم أن
أهل مكة واليهود قُدُّوا من أديم واحد ونبتوا من نبتة واحدة فأخذوا يذهبون في
المبالمفات والظنون مدهاب عجيبة ونهم دوزي (٢) الذي يجتهد في أن يبرهن
على أن حرم مكة قد عمر بواسطة بطون بنى شمعون وان تقاليد الحج والطواف
حول الكعبة ليست الا ورائة اسرائيلية قديمة ولكننا نعتقد أنه اذا ظهر التشابه
بين أهل مكة واليهود أكثر منه بين اليهود والبطون الحجازية الأخرى فان ذلك

(١) راجع التلمود كتاب אבות פ' ה' וכתב פסחים קט

(٢) Die Israeliten ١٨٥ — ٤٠ ص

يرجع الى أن مكة كانت أرقى وأرفع من بقية البلاد في شمال الجزيرة ومن أجل هذا كان حرم مكة موضع الاحترام والتبجيل من جميع العرب في الجاهلية .
ومع انى أستنكر استنكاراً شديداً ما استنتجته دوزى في أمر حرم مكة وعلاقته ببطون بني شمعون فان هناك أمراً يستوقف الأ نظار وهو انه كثيراً ما يحدتنا ابن هشام عن حرم مكة وبنائه وانتراك ابراهيم واسماعيل والملائكة في تقديسه الخ^(١) . . . بشكل يشبه ما يقصه التلمود عن بناء الهيكل المقدس بأورشليم وعلاقة الآباء الأقدمين به وتقديس الملائكة له حتى خيل اينأ أننا قراءتنا كتاب السيرة لابن هشام في هذه الموضوعات اننا قرأنا صحف التلمود القصصية . . .

تجهده طائفة من أنصار Wellhausen في أن تبرهن على أن تأثير النصرانية في النفوس العربية الحجازية كان أقوى من تأثير اليهودية مستندين الى أن عدد نصارى العرب كان أكثر من عدد اليهود^(٢) ولكن هذا غير صحيح لان الكثرة النصرانية العربية انما كانت على أطراف الجزيرة من جهة الشمال أما في داخل الحجاز حيث المراكز التجارية والدينية والعسكرية فقد كانت الاكثرية في جانب اليهود بل لم يكن هناك من نصارى العرب الا عدد قليل جداً

وفضلاً عن ذلك فقد كانت الصلة قوية جداً بين مكة ويثرب التي كانت تكاد تعتبر موطناً خالصاً لليهود

(١) ١٠٦ / ١٣٤ / ١٨١ من ابن هشام جزء ١ وللحارثى أحاديث في هذا الموضوع منها « وقال الرسول يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام محرمة الله الى يوم القيامة وأنه لم يحل القتال فيه لاحد قبلى ولم يحل لى الا ساعة من نهار فهو حرام محرمة الله الى يوم القيامة لا يعصد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطه الا من عرفها ولا يحتل خلاه . . . جزء ٢ ص ٣٠١

(٢) من Skizzen Heft III ١٩٧

ويكفيينا في قويض مزاعم هؤلاء المستشرقين اننا نجد أكثر من ثلث
القرآن يتكلم عن اليهود ويناقشهم ويهتهم بأقوالهم والرد عليها فطوراً يمدحهم
وتارة يقرعهم ويؤنبهم تأنيباً شديداً فإن ذلك يدل على ما كان لليهود من المكانة
العظيمة في نفوس العرب وعلى الصلة المتينة التي كانت تربطهم بهم
لا ننكر على النصرانية تأنيدها في العرب بوجه عام وليمكنه على كل حال
تأثير ضئيل بالنسبة للفرز اليهودي الذي كان واضحاً جلياً في كل ناحية من نواحي
الحياة الروحية والمادية . . .

وهناك مسألة أخرى تلفت نظر الباحث في كتب بعض المؤرخين من
الافرنج وهي ما يزعمونه من ان اليهود كانوا محترمين في الجزيرة العربية قبيل ظهور
الاسلام (١) ونحن نميل الى الاعتقاد بأن ذلك غير صحيح لان العربي في
الجاهلية لم يكن يفهم البغض والضعينة الدينية كما فهمها المتأخرون ولقد يؤيد
الاستاذ النجار رأينا بقوله : لو كان اليهود محترمين لما اهتم رسول الله بمخالفتهم
ولما اهتم أمرهم يوم الأحزاب حين االوا عنه ولما قام لحربهم بعد يوم الأحزاب
على ممالأتهم عليه واتيانهم بالأحزاب لحربه . . . اهـ

وكان عرب الجاهلية يلقبون اليهود أثناء القتال والنضال بألقاب قبيحة ذميمة
وكذلك كان اليهود يفعلون ولكن ذلك لم يؤد الى احتقار اليهود أو التعريض بالقومية
اليهودية ودينها وما كان للعربي الذي طبع على حب الحرية والغيرة على الكرامة
أن يسلبها من غيره وكل القرائن تدل على أن العرب على اختلاف بطونهم وأديانهم
كانوا يتبادلون الاحترام دون أن يعرفوا فرقا بينهم من وجهة الحقوق السياسية
والاجتماعية والأدبية فقد نجد كعب بن الأشرف يرثي قتلى قريش كما نجد عباس
ابن مرداس يذكر جلاء بني الضير ويبيكهم في قصيدة
وكذلك يمدح أبو سفیان رجلاً من زعماء اليهود ويقول :

سفاني فرواني كيتاً مدامة على ظناً مني سلام بن مشكم
نخبرته أهل المدينة واحداً سوام فلم أعين ولم أتسم
فلما تفضى الليل قلت ولم أكن لأفرحه أبتر بعرف وغمم
وان أبا غنم يجود وداره يئرب مأوى كل أبيض خضرم^(١)

ولا يمكن أن يعول على ما يؤخذ من القصص والروايات التي جاءت بعد فنور
الأحوال بين اليهود والأنصار أو يستدل به على مكانة اليهود في نفوس العرب
زمن الجاهلية

كان اليهود موضع الاحترام عند الأشراف والنقباء من قريش وكان رسول
الاسلام ينظر اليهم هذه النظرة من التبجيل الى زمن طويل بعد مبعثه كما سنوضح
ذلك فيما بعد

وكان العرب يجهلون الديانة اليهودية ويقولون لليهود « لكم علم ليس لنا »^(٢)
وقد يحدثنا ابن هشام أن رجلاً من يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا
قبيل الاسلام بسين فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلح اللحم
أفضل منه فأقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان
فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول
صاعاً من تمر أو قدين من شعر فمخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستقي لنا
والله ما يبرح من مجلسه حتى تمر السحابة ونسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين
ولا ثلاثاً . . .^(٣)

والذي يمكننا ان نستنتج من هذه القصة الخرافية ان مؤرخي العرب كانوا
يعتقدون ان الديانة اليهودية واقوامها كانوا موضع الاحترام في الجاهلية

(١) الاعلى جزء ٦ ص ٩٧

(٢) ابن هشام جزء ١ ص ٢٠١

(٣) ابن هشام جزء ٠ ص ٢٠٤

وكتف من نساء العرب من تنذر اذا ولدت وعاش ولدها ان تهوده لان اليهود
كانوا في نظرهم أهل علم وكتاب (١)



قبيل ظهور الاسلام حدثت حروب عظيمة بين بطون يثرب عرفت بيوم
بعث دامت سنين طويلة كذلك حدث في جهة مكة حرب ضروس عرفت بايام
الفجار التحمت فيها المعارك بين بطون قريش وكنانة في أربعة أدوار يقال لها
الفجارات الابعة

أما الفجار الاول فكان عمر النبي محمد فيه عشر سنين وسببه ان بدر ابن
معشر النفازي كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس قبسط
يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه اعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه
رجل فضر به بالسيف على ركبته فأسقطها وأزالها فاقتتلوا . وسبب الفجار الثاني ان
امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب من قريش من
بني كنانة فسألها أن تكشف وجهها فضحك الناس فنادت المرأة يا آل عامر
فنادوا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فاقتتلوا . . . وسبب الفجار الثالث
انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل كناني فاطله فجرت بينهما مخاصمة
فاقتتل الحيان (٢)

وكانت آخرها فجار البراض وقد بلغ رسول الله أربع عشرة سنة أو خمس
عشرة سنة حين هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين
قيس عيلان وكان الذي هاجها ان عروة الرحال من بني هوارن اجاز لطيمة (وهي
الجمال التي تحمل المسك) للثمان بن المنذر فقال له البراض بطلب غفلته حتى اذا

(١) ديانات العرب في الجاهلية ص ٢٠١

(٢) من تعليقات الشيخ محمود سيد الطهطاوى على كتاب السيرة لابن هشام جزء ١

كان بئيس ذى طلال بالعالية وثب عليه فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار فاتهم العرب عن عكاظ وهو ازن لا تشمر أن البراض قد قتل ثم بانهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فأقتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هو ازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياماً والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول الله بمض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال الرسول كنت أنبل على أعمامى أى أرد عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها . . . (١)

وأما الذى نقلناه عن أيام الفجار فيحتمل أن يكون من العال المباشرة والتقريبية لظهور الهياج بين قبائل قريش وكنانة وهو ازن

ويلاحظ لى أن النضال الشديد الذى ظهر بين قبائل الحجاز فى شماله وجنوبه يدل على انه وجد فى القرن السادس ب . م حركة سياسية قوية بين زعماء الحجاز كان كل واحد منهم يطمع أن يستأثر بالحكم لينسكن من أن يشيد أركان مملكة جديدة

ولكن التنافس أضعف الجميع وقلم أظافرهم وزاد فى المصاعب والمتاعب التى كانت تحول بين كل واحد منهم وبين ما يريد حتى ظهر هناك شخص توافرت فيه شروط لم تتوافر فى غيره فألف بين القلوب

ومن ذلك الحين أخذت جداول الجزيرة العربية تتجه اتجاهاً واحداً ويقترّب بعضها من بعض الى أن امتزجت فى نهر واحد أخذ يتدفق من قلب الجزيرة ويفيض بقوة حتى غمر وجه الأرض . . .

وقبيل ظهور الاسلام وجدت فى الديار العربية نهضة فكرية عظيمة كان الاضطراب من علاماتها وقبيل الاسلام أيضاً أصبحت القلوب صالحة لقبول

دعوة ذنينة جديدة، وصارت الديانة الوثنية موضع السخرية جراً عند بعض الطبقات من المفكرين

يحدثنا صاحب الأغانى أن قس بن ساعدة الأيادى كان يتكى عند خطبته على سيف أو عصا ويقول « مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا والله ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلم زمانه وأدرككم أو انه فطوبى لمن أدركه فاتبعه وويل لمن خالفه^(١) »

ومع ان النصرانية واليهودية قد أوجدتا الشك فى صحة الديانة الوثنية فانهما لم تغلحا فى ادخال تفسير جوهري فى النظم الدينية وظلت الوثنية واليهودية والنصرانية فى نزاع عنيف دون أن تغلب واحدة على الاخرى

واننا نعتقد أنه لو ظهر هناك يهودى ذو عاطفة ربانية قوية ودعا العرب الى اللجوء فى دين جديد يشبه اليهودية فى جوهره ويبقى عربياً فى تقاليد وروحه لكانت دعوته قد وجدت آذاناً مصغية وقلوباً واعية

كذلك لو كان واحد من المفكرين الحنفيين أو غيرهم دعا لتوحيد الآله مع ابقاء النظم العربية الاجتماعية التليدة لكانت دعوته قد صادفت أرضاً خصبة يقول صاحب الأغانى ان أمية بن أبى الصلت « كان قد نظر فى الكتب وقرأها ولبس المسوح تمعباً وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفة وحرم الحجر وشك فى الأوثان وكان محققاً والنس الدين وطمع فى النبوة لانه قرأ فى الكتب أن نبياً يبعث من العرب فكان يرجو أن يكون ذلك . . .^(٢) »

ولكن أمية وغيره لم يظهروا بمظهر الأنبياء ولم يجتروا على أن يفادوا بحياتهم

(١) الاغانى جزء ١٤ ص ٤٠

(٢) الاغانى جزء ٣ ص ١٧٩

في سبيل الدعوة الدينية وبقيت أفكار أهل الجزيرة العربية مضطربة اضطراباً
عنيفاً بين اليهودية والنصرانية والوثنية إلى أن ظهر رجل رفع علم النبوة وصار غرة
ناصعة في جبين الدهر ومجداً باقياً ما بقي الزمان وأرغم التاريخ على أن ينحونحوا
جديداً . . .

وكان اسمه محمد بن عبد الله من آل قريش من مدينة مكة .

الباب الخامس

مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية

مبعث الرسول — كيف يكون البحث في سيرة الانبياء ؟ طريقة البحث عند رجال العلم ورجال الدين — الظروف التي كانت تحيط بالنبي محمد قبل هجرته الى يثرب — هل سكن اليهود في مدينة مكة قبيل الهجرة — رأى الاب المستشرق لامنس في هذا الموضوع تقسيم العالم Noeldke القرآن الكريم الى أربعة أقسام — الآيات القرآنية الموافقة لمبادئ التوراة الجوهرية — ذكر الآيات القرآنية الاولى لموسى وسردها بعض أبناء بنى اسرائيل في مصر — رواية احتكام رسول الله وبنى قريش الى يهود يثرب — ارتياب بعض المستشرقين في صحة هذه القصة الخطيرة — رأى المؤلف في هذا الموضوع — اضطهاد أهل مكة للمسلمين — زوح ثمة من المسلمين الى الحبشة — لماذا لم يلتجئ المسلمون الى اقليم من أقاليم العرب أو الى يهود يثرب ؟ سياسة الحبشة في بلاد العرب — عرض الرسول نفسه على العرب في المواسم — رحلة الرسول الى الطائف — مماناة الرسول لشذائده والصلاب في سبيل نشر دعوته — التقاء الرسول في العقبة برهط من الخزرج — الفرق بين عقبة القبائل العربية وبطون يثرب — آثار تحاليم اليهودية فيهم — الديانة اليهودية من الاسباب القوية لظهور الاسلام — اعتماد اليهود بظهور مسيح — تأثير هذه العقيدة في نفوس قبائل يثرب — حاجة بطون يثرب الى محالقات سرية — قصة الحيدرانس بن رافع وقدمه الى مكة قبل يوم بعث — بيعة النساء بالعقبة — بيعة العقبة الكبرى — مطامع بنى الخزرج من هذه البيعة — الفاية التي كان النبي يرى اليها — نتائج بيعة العقبة الكبرى في التاريخ الاسلامي — موقف قريش واليهود ازاء البيعة الكبرى بالعقبة

يوجه العلماء أثناء مجتهم عن حياة العظام من الجنس البشري عناية عظيمة الى البيئة التي نشأوا فيها والوسط الذي أحاط بهم ولا يفتأون يبحثون باهتمام شديد عن الظروف الداخلية والخارجية التي وجدوا فيها لوثوقهم بأن لها الفصل الاكبر في تكوين عقليتهم وتنمية عقيرتهم حتى اذا ما استوفوا ابحاثهم الدقيقة

العميقة يأخذون في استنتاج النتائج التي يطمئنون إليها وترتاح لها ضمائرهم غير أن هذه الوجهة في البحث لا يرضيها كثيرا رجال الدين أثناء البحث في تاريخ الانبياء لاسيما من لا يوافقون منهم على فكرة التوفيق بين العلم والدين لانهم يعتبرون للشؤون الدينية مقياسا آخر وينزلون رجال الوحي منزلة أخرى وينظرون اليهم بعين غير التي ينظرون بها الى ابطال التاريخ البشرى على أن هذا الاختلاف بين مقياس محقق العلم والدين لا يوجد الا في تعريف النظرية دون الوجهة العملية في جوهر البحث لان رجال الدين لا يخالفون الرأي العلمي القائل بأن الوحي انما نزل على الانبياء في ظروف داخلية وخارجية دعت اليه الأحوال ويواعث نفسية توافرت في الانبياء دون غيرهم ممن عاشوا في بيئاتهم وعصورهم ونقلبات وعوارض نفسية كانت تعرض لهم في ظروف خاصة من سرور وشجون واضطراب

وقبل أن نشرع في توضيح الظروف التي كانت تحيط بالنبي محمد أثناء نزول الآيات القرآنية الى عهد هجرته الى يثرب فالتنا تود أن نبحت في مسألة وقع فيها نزاع بين المستشرقين وهي هل اتصل رسول الاسلام بافراد وجماعات من اليهود قبل هجرته الى المدينة أم لا ؟

لا شك أن أفرادا من اليهود كانوا يأتون الى مكة لاشغال تجارية وأعمال مختلفة وأن أهل مكة أنفسهم كانوا يقصدون الى خيبر ليجلبوا منها حلى آل أبي الحقيق التي كانت نساؤهم وفتياتهم تتحلى بها حين زفافهن وغير ذلك^(١)

كذلك كان كعب بن الاشرف قد جاء الى مكة ليرثي قتلى بدر كما جاءت وفود من يهود النضير الى مكة لتحزب الاحزاب ليوم الخندق^(٢) وذلك بعد الهجرة

(١) الواقدي ص ٢٧٧

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٦٨

وكان رجال مكة يجلبون العبيد من اليهود ويحصدنا الواقدي أنه وجد في مكة عبد من اليهود كان اسمه عبد الدار بن جبر دخل في ذمة الرسول بعد أن منع منه منورة بوصف فكان لها وقع شديد في نفسه ولما بلغ الخبر مشركي مكة أوسعوه ضرباً فأعطاه الرسول بعد فئحة لمكة مقداراً من المال فتزوج بأرأة شريفة من بنات مكة (١)

وقد أفرغ المستشرق Lamens جهده في أن يبرهن على أن عبداً من اليهود كان يسكن مدينة مكة قبيل ظهور الاسلام (٢) ولكن نظرياته لا يطعن إليها الباحث ولو صح ما ادعاه هذا العالم لكان لليهود حي خاص بهم في مكة ولكان لهم معبد خاص يقيمون فيه صلواتهم ويدرسون كتبهم وليس في جميع المصادر التاريخية القديمة ما يشير أقل إشارة الى وجود شيء من ذلك

غير أنه من الممكن أن يكون بعض الأفراد سكنوا في مدينة مكة كما سكن بعضهم في مدينة الطائف (٣) وفي عدة مدن أخرى من الحجاز ولكنهم كانوا قليلين .

يحتمل أن النبي قد اتصل باليهود منذ حداثة لاسيما بعد ان امتثل بالتجارة عند السيدة خديجة اذ كانت الاعمال التجارية في مدينة مكة مرتبطة ارتباطاً شديداً بيهود يثرب وخيبر

ويرتاب بعض المستشرقين في صحة خروج النبي الى الشام والتقاءه بالراهب بيجرا (٤) ويعتقدون أن الرسول لم يتجاوز حدود الحجاز طول حياته (٥)

(١) الواقدي ص ٣٤٩

(٢) راجع الرسالة Les Juives a la Meque

(٣) فتوح البلدان للادري ص ٦٣ طبع مصر

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ١٦٩

(٥) Die Juden zu Medina ص ٤١

وقد قسم العالم Noeldke القرآن الكريم الى أربعة أقسام يشتمل القسم الاول منه على الآيات التي أنزلت قبل الهجرة الى يثرب ويتضح أن الآيات في هذا السور كانت واقعة لمبادئ التوراة الجوهريّة وكانت ترمي الى التأثير في النفوس العربيّة التي كانت تنظر باحترام عظيم الى تعاليم التوراة ومبادئها « ان هذا في الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى » (١)

وينبئ التنزيل أهل مكة بأن محمداً للعرب إنما هو مثل موسى لبني إسرائيل وينذرهم ان هم لم يؤمنوا بما جاء به النبي محمد ان يصيبهم ما أصاب قوم فرعون فيقول « إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وببلا فكيف تنقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً » (٢)

كما يقول « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن اتبع إلا ما يوحى الى وما أنا إلا نذير مبين » (٣)

نفس هذا التعريف يوجد في كتب العهد القديم عن بعض الأنبياء الاسرائيليين (٤) ويخاطب الوحي العرب بما يقنعهم بأن النبي ذكر في التوراة وأن بي إسرائيل يعلمونه « وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه في زبر الأولين أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بي إسرائيل » (٥)

ويشير التنزيل الى أن هناك وفاقاً تاماً بين القرآن والتوراة « قل أرايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن

(١) سورة الاعلى آية ١٩

(٢) سورة الرمل آية ١٥

(٣) سورة الاحقاف آية ٨

(٤) راجع ميخا فصل ٢ آية ٦ حزقيا فصل ٢١ آية ٧ (٦٢٥٥)

(٥) سورة الشعراء آية ١٩٥

واشتكروهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين . . . ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة
وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين » (١)

من هذا يستنتج المستشرقون أن الافكار في مدينة مكة كانت على علم
بدين اليهود وتعاليمه وأن النبي الجديد قد ظهر بمظهر الأنبياء الاسرائيليين كي
يثبت صحة رسالته ويؤيد دعوته التي يعلم قريش لها نظيراً في اليهودية
ويعجب المستشرقون من أنه لم يأت في هذا الدور أقل ذكر للمسيح أو
لتعاليم الانجيل وأن أول إشارة في القرآن للسيد المسيح لم تكن إلا في السنة العاشرة
بعد مبعث النبي محمد (٢)

وقد يستنتج العالم (Lesynsky) من هذا انه كان هناك بون شاسع بين
قلوب رجال عرب الحجاز في الجاهلية وبين مبادئ النصرانية وتعاليمها بينما كانت
السور القرآنية في الدور الأول لا تخلو واحدة من الاشارة الى ما في التوراة
والتلجيح الى مواضعها وذكر شيء من تاريخ بني إسرائيل (٣)

مع أن من المؤكد الثابت أن أفراداً من أحرار النصارى وعبيدهم قد كانوا
في مكة ساكنين ومختلطين بأهلها ولكن لم يثبت أن أهل مكة قد عرفوا
النصرانية وتعاليمها ومبادئها

كان التأثير بتعاليم اليهودية شديداً جداً الى حد أن قبلة الرسول في صلواته
كانت الى جهة أورشليم كما هي عند اليهود فكان الرسول اذا صلى صلى بين
الركبتين البرأني والاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام (٤)

ورواية احتكام رسول الله وبنو قريش الى يهود يثرب تدل على ما كان

(١) الاحقاف ٩ - ٢١

(٢) سورة مريم

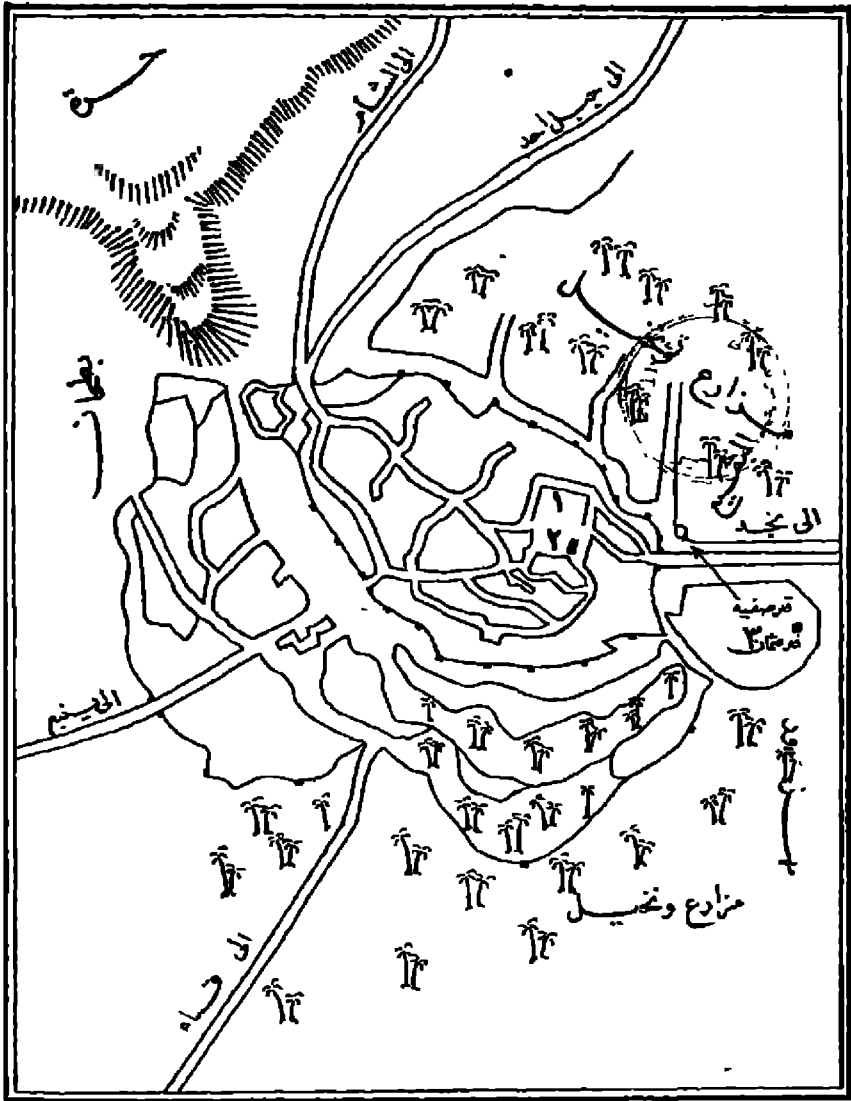
(٣) Die Juden ٤١ ص

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢٢١

المدينة المنورة (يثرب)

مقاس الرسم ١ : ١٢,٥٠٠

ملحوظات : (١) الجامع الكبير (٢) قبة النبي (٣) جدران



وضعت لكاتب تاج اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام . للدكتور اسرائيل ليفنسون .

للإهود في نفوس أهل مكة من المسكاة الكبيرة

ويحدثنا ابن هشام أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث ومعه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لها سلام عن محمد وصفا لهم صفته وأخبرهم بقوله فاتهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ووصفا لهم أمره وأخبرهم ببعض قوله وقالوا لها إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لها أحبار اليهود سلوه عن ثلاث تأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فأروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هي فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في الرجل ما بدا لكم فأقل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط حتى قدما مكة وأخبرا بني قريش ما سمعوا من أحبار اليهود فجاءوا إلى رسول الله فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول وقد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافاً قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ما هي فقال لهم رسول الله أخبركم بما سألتكم عنه غداً ولم يستثن فأنصرفوا عنه فكثرت رسول الله فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألتناه عنه وحتى حزن رسول الله ومكت عنه الوحى وسق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكف فيها معاتبته إياه على حرته وعلى أنه لم يكمل الأمر لمشيئة الله وخبر ما سأله عنه من أمر الفتنة والرجل

الطوائف والروح (١)

وينفى بعض المستشرقين صحة هذه القصة الخطيرة دون أن يأتوا بدليل
نظمتن إليه (٢) والحق أن من العسير إنكار رواية تاريخية كانت سبباً في نزول
سورة الكهف والآيات الخاصة بالروح وذى القرنين

وعندنا دليل يميلنا على الاعتقاد بأن هذه الرواية من المحتمل أن تكون
واقعية وهي أن في التلمود قصة مشهورة تشبه قصة أهل الكهف (٣) ومن هذه
القصة أخذ أحبار اليهود الأسئلة التي وجهوها للرسول بواسطة وفد بني قريش
وتؤيد هذه القصة ما ذهبنا إليه من أنه لم يكن بمكة أحد من اليهود إذ لو
وجد منهم في مكة ما أوفد بنو قريش وفد من المدينة ليسألوا أحبار اليهود عن
شأن النبي وإذا وجد منهم أحد فلا بد أن يكون غير عالم

انتهى بعد ذلك دور المناقشات بين الرسول وأهل مكة وبدأ النفور والاضطهاد
ويحدثنا ابن هشام أن أهل مكة تآمروا على من أسلم وانبع الرسول فونت كل
قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويمدبونهم بالضرب والجوع
والعطش (٤)

ولما رأى الرسول ما يصيب أصحابه وأنه لا يقدر على أن يمنهم مما هم فيه
من البلاء أثار عليهم بالنزوح إلى بلاد الحبشة وكان لهم ملك لا يظلم عنده أحد
وهي أرض صدق نخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسول إلى الحبشة مخافة
الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم (٥)

ولماذا لم يلتجئ هؤلاء المهاجرون إلى إقليم من أقاليم العرب أو إلى يهود

(١) ابن هشام جزء ١ ص ٢٧٤

(٢) Die Juden ص ٣٦

(٣) راجع التلمود كتاب בבא בתרא לא

(٤) ابن هشام جزء ١ ص ٢٨٨

(٥) ابن هشام جزء ١ ص ٢٩٢

يُتْرَبُ؟ بعض المستشرقين من المنعصبين للصرانية يقولون بأن النبي إنما أشار على المسلمين بالتزوح إلى الحبشة لأنه كان يفضل وجود المسلمين في بيئة مؤمنة من النصارى على وجودها بين المشركين ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأن عاملاً سياسياً هو الذي كان السبب في نزوح المهاجرين إلى الحبشة

كانت الأمة الحبشية تطعم منذ أجيال قديمة في فتح الأقاليم العربية وكان ملوك الحبشة يراقبون أحوال الجزيرة مراقبة شديدة ويتحينون الفرص لتنفيذ مطامعهم الاستعمارية، من أجل ذلك بالغ النجاشي في الاحتفاء باللاجئين من مكة أملاً في أن يتمكن بمساعدتهم من التدخل في شؤون مكة الداخلية

ولم يلجأ المهاجرون إلى قوم من العرب في الجزيرة مخافة من هيئة قريش وعدوانها وكانت بلاد العرب مرتبطة برجال قريش ارتباطاً تجارياً ودينياً وكان لبعضها محالفات وعقود سيامية مع رجال قريش

ولهذا السبب نفسه منع النبي الهجرة إلى يثرب إذ كان بين بطون اليهود وآل قريش علاقات تجارية متينة لم تكن تسمح لليهود أو للأوس والخزرج بالاحتفاء بأعداء قريش وفوق ذلك فقد كانت الحرب دائرة بين بطون يثرب في ذلك الحين (يوم بعث)

إذاً قد كانت بلاد الحبشة أقرب إقليم هادئ إلى مكة وكانت هي البلاد التي تمكن الهجرة إليها مع أمن المهاجرين على حياتهم وأموالهم

وبعد هجرة المسلمين إلى الحبشة أخذ الرسول يمرض نفسه على العرب في المواسم ويدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه بي مرسل

وقد رحل إلى الطائف وعرض نفسه على بطونها فلم يقبلوا منه وخذلوه وأنكروه فقال له أحدهم هو يمرطن نياح الكعبة أن كان الله أرسلك وقال الآخر أما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك أبداً لأن كنت

رسولاً من الله كما تقول لأنك أعظم خطراً من أن أرد عليك بالكلام ولئن كنت تكذب على الله ما يندى لي أن أكلمك ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يرمونه بالحجارة ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه إلى حائط فلما أطمأن روعه قال اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلمني إلى عبد يتهجمني أم إلى عدو ملكته أرى (١)

وهذه القصة المؤثرة تدل على الشدة التي كان يعانها الرسول أثناء عرضه دعوته على بطون الطوائف ثم تظهر مقدرته الفائقة التي لا توجد إلا عند كبار الأخيار من رجال التاريخ البشري حين لم يكن يبالي بعدوان البطون عليه ولا بقوارص الكلم التي كان السفهاء يوجهونها إليه بل مضى في سبيله يدعو العرب إلى الله بكل ما أمكنه من حيلة ووسيلة ولكن نجاحه كان بطيئاً جداً في ذلك الحين لأن تعاليمه كانت تقوم على ترك عبادة الأصنام وهدم العقيدة الراسخة في نفوس العرب « وعلى أن تسليخ هبل واللات والعزى من أحنائها » (٢) وكان ذلك فوق ما تهصمه عقولها وتحتمله نفوسها ثم رجع الرسول إلى مكة

وبقى النبي يعانى الشدائد والصماب في سبيل نشر دعوته وأعداؤه يزدادون في إساءتهم إليه حتى التقي بأفراد من عرب يثرب فوحدت دعوته لديهم آذاناً مصغية وقلوباً واعية فبينما الرسول في العمة اذلقت رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال من موالى اليهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون أو كلتم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام أن يهودا كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٦

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٢٦

قد غزوم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم حىء قال لهم اليهود ان نبياً يبعث الآز
قد أظل زمانه فنتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله أولئك النفر
ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه للنبي الذى وعدكم به اليهود
فلا نسبقكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم
من الاسلام وقلوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم
وعسى أن يجتمعهم الله بك فنسقدم عليهم فندعومهم الى أمرك ونعرض عليهم
الذى أجبناك اليه من هذا الدين ثم انصرفوا عن الرسول راجعين الى بلادهم
وقد آمنوا وصدقوا (١)

وينضح من هذا أنه كان هناك يون شاسع بين عقلية القبائل القاطنة
بالطائف وغيرها من سائر القبائل التى عرض عليها الرسول دعوته وبين عقلية هذا
النفر من رجال يثرب اذ كانت الأولى عقليتها جامدة جافة ليس فيها أى استعداد
للتصور الروحى وكانت الثانية عقليتها مرنة قابلة للتطور مستعدة للترقى فلم تك
تسمع دعوة الرسول حتى قلبتها واعتقدتها ووجدت دعوة الرسول فى هذه النفوس
أرضاً خصبة صالحة لنمو الدين الجديد فيها وازدهاره

ولا شك أن هذا أثر من آثار التعاليم اليهودية ونتيجة من نتائج الاختلاط
الشديد بيهود يثرب

وهكذا بعد تلك الشدائد والرزايا التى نزلت بالنبي بسبب عرضه دينه على
العرب فى تمسكهم الشديد بالقديم وهجومهم على كل من يتعرض لدين آبائهم
وجد أمامة بطوناً يثربية دخلت فى دينه بلا مقاومة وأخذ أفرادها ينظرون اليه
نظر التعظيم والتقدیس لما ألقى عليهم الرسول
ومن هنا يمكن أن يقال إن اليهود كانوا من أهم الاسباب التى ساعدت على
ظهور الاسلام وان يكن ذلك بطريقه غير مباشرة

وهناك ملاحظة أخذناها من هذه القصة — قصة النفر من الخرج — ولم نجد من تثبت اليها من المؤرخين وهم ان ما رسخ في نفوس اليهود من اعتقاد بحىء مسيح يتقدم من البؤس والشقاء كان له الأثر الكبير فى انتشار الاسلام كما كان سبباً فى ظهور النصرانية فى فلسطين عند طائفة خاصة من اليهود وكما كان سبباً لظهور عدة أشخاص من اليهود فى القرون القديمة والوسطى بظهور الانبياء والمرسلين حيث عرضوا على اخوانهم تعاليم دينية جديدة وادعوا لانفسهم دعوة المسيح المنتظر

وقد ملأت هذه القصة صحفاً كثيرة من صحف الأدب الاسرائيلى القديم والحديث وكثيراً ما كانت سبباً فى نزول بلايا ورزايا كثيرة باليهود فى أدوار مختلفة ولا تزال هذه العقيدة الى اليوم راسخة فى نفوس الطبقات المتدينة من اليهود واذا قام شخص وادعى أنه المسيح المنتظر الذى يحنون اليه منذ أزمان طويلة أنكروا ادعائه وسفوهوا قوله ورفضوا الاذعان لما يدعوهم اليه . وكانت الأمة الاسرائيلية كانت ترمى لهذه الفكرة الى غاية معنوية لا يريدون تحقيقها بوجه من الوجوه

ولكنها لعبت دورها بين العوامل التى أدت الى انتشار الاسلام اذ كان العرب يسمعون من اليهود أثناء أوقات السدائد والازمات أن المسيح المنتظر سيأتى ليتغلب على اعداء الشعب المختار فلما عرض النبي رسالته على أفراد من الخرج تنبهوا الى أقوال اليهود فاقبلوا يمتنون الاسلام ويؤمنون بدعوة الرسول وهكذا أدت تلك المحادثة بين الرسول وبين النفر من الخرج الى هذه النتيجة العظيمة ذات الأثر البعيد فى التاريخ البشرى

لكن هناك عوامل أخرى ذات أهمية كبيرة وهى تلك المقاصد السياسية التى كانت ترمى اليها بطون العرب ارتباطها بروابط العروة الوثقى مع النبي

والذى ينعم النظر فى تاريخ بطون يثرب يرى أن الطوائف الضعيفة فى المدينة كانت تعمل سرا على ايجاد محالفات مع قبائل عربية قريية وبعيدة فى المحتمل اذن أن تكون الاوس والخزرج قد حالفت بطون بنى غسان لمحاربة اليهود فى عصر أبى جبيلة كذلك يمحتمل أن تكون تلك البطون قد عرضت المحالفة على قريش ولكن لم يصل شىء عنها اليها أو أن قريشاً قد استنكرتها لمصلحتها التجارية

ونحن نعلم أن بطون الاوس قد أرسلت قبل يوم بعث وفد الى مكة وكانت فى ذلك الحين عاجزة عن محاربة بطون الخزرج وكان رائد وفد الاوس يرمى الى تحريض قريش على الخزرج ولكن قريشاً رفضت الدخول فى أمور كان يشتم منها رائحة السماء

ويحدثنا ابن هشام عن هذا الوفد « ان أبا الحيسرانس بن رافع قدم مكة ومعه فتية من بنى عبد الأشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج وقد جمع بهم رسول الله فأناهم فجلس اليهم فقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له فقالوا له وما ذلك قال أنا رسول الله بعثنى الى العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل على الكتاب فقال اياس بن معاذ وهو غلام حدث هذا والله خير مما جئتم له فلطمه أبو الحيسر اياس بن معاذ على وجهه وقال دعنا منك فلعمري لقد حشنا لغير هذا فصمت اياس ثم انصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعث بين الاوس والخزرج (١)

وهذه القصة ذات شأن عظيم فى فهم تاريخ بطون يثرب وانى لأميل الى الاعتقاد بأنه لو لم تكن لها صلة بالرسول لاهملها ابن هشام كما أهمل مؤرخو العرب القدماء ذكر محالفات أخرى مع قريش جاءت الاوس أو الخزرج لتعرضها عليها

أما بعد يوم بعثت قد ظهر عند بطون الخنزرج المغلوبة على أمرها أن تقتفى أثر الأوس في أيام حجزها وكانت بطون الخنزرج تهنى إلى التأسر من الأوس واليهود معاً لانهم قد أئمنوا فيهم إئنا وياغوا في قتلهم فلما ذهب نفر من الخنزرج إلى مكة لتأدية فروض الحج وكان قلبهم يفيض أمى وحزنا فلم يكده يعرض الرسول دعوته عليهم حتى قبلوا منه وآمنوا بدعوته وبايعوه لانهم أرادوا أن يكون لهم منه مسيح يتقدم بما يمانون من بؤس وشقاء

وفي العام المقبل في موسم الحج حدثت بيعة العقبة المشهورة ببيعة النساء (١) وفي الموسم الثالث تمت البيعة الكبرى بالعقبة وقد اشترك فيها اثنا عشر تقياً من قبلاء الأوس والخنزرج وأخبارها مطولة في سيرة ابن هشام (٢) وأما الفرض الذى كان يرمى إليه الرسول فكان غرضاً دينياً قبل كل شىء، ثم إلى إيجاد قوة لمحاربة قريش التى نسيء إليه وإلى كل مؤمن بينا كانت العاية التى يرمى إليها بو الخنزرج سياسية قبل كل شىء، وهى إيجاد قوة لمحاربة عدوم الذى بالغ في قتلهم وإذلالهم وهو بطون اليهود فى يثرب

وقد قال الزعيم الخنزرجى ابو الهيثم للرسول « ان بيننا وبين الرجال جبالا وانا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيت ان نمن فملنا ذلك ثم أظهرك الله أن نرجع الى قومك وتدعنا فتبسم الرسول وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم (٣)

وإذا سلمنا بصحة هذا الحديث فانا نقرر أن الغاية التى كان بو الخنزرج يرمون إليها من مشروعات بيعة العقبة الكبرى ظاهرة جلية اذ هى مقاتلة يهود يثرب وهدم كياناتهم

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٨ - ٤٢

اما النبي فقد وعدهم ما وعده لسكيب ثقتهم التامة واما الغرض الذي كان
يسمو اليه في الواقع فقد كان غير غرضهم تماماً اذ لم يكن بعد قد نشأ بينه وبين
اليهود شيء من العداء ولم يكن يضمر لهم أقل شر بل كان يرمى الى توحيد بطون
يثر ب جميعاً وجملهم أمة واحدة لينسكن من أن يجارب بهم اعداءه . . .

وكذلك يحتمل أنه وعد التفر من الخبزج الذين التقى بهم الرسول في البيعة
الأولى بأن يقاتل اعداءهم من الاوس واليهود جميعاً ولكن في بيعة النساء قد
اشترك بعض النقباء من الاوس ومع أنه لم يشترك أحد من زعماء اليهود في
البيعة الكبرى فان النبي كان يعتقد رغم هذا ان سيدخل اليهود في ذمته حين
يظهر في يثر ب

والذي مهد السبيل وهياً القلوب للبيعة الكبرى هو مصعب بن عمير الذي
ذهب مع النقباء من بطون يثر ب بعد بيعة النساء وقرأ مع الانصار القرآن وألف
بين قلوبهم وكان الاوس والخزرج يكره بعضهم بعضاً فكره بعضهم أن يؤهوه
البعض الآخر (١)

ولكن مصعب بن عمير استطاع أن يحالف بين النقباء الاثنى عشر في يثر ب
وأن يأتي بهم متآلفين متصانين في غاية واحدة الى البيعة الكبرى

وها يمترضنا سؤال وهو لماذا لم يشترك من اليهود في هذه البيعة أحد ألم
يكن مصعب بن عمير بسعى لادخالهم في الحلف أو أن اليهود لم يلبوا دعوته أو
أنه خشى من دخول اليهود في هذه البيعة أن تصحف عزيمة رعاء الخزرج ؟ . . .

هذه أسئلة يجب ألا تغيب عن بالنا في أثناء بحثنا في تاريخ البيعة
الكبرى بالعقبه

وهنا يمن لنا سؤال وهو كيف كان موقف قريش واليهود اراء اتجاه الرسول

الى بطون يثرب العربية التي اتهمت بالبيعة الكبرى بالعقبة ؟
لقد رجعنا الى ما كتبه العرب عن حركات قريش أثناء البيعات في مواسم
الحج من ناحية بطون الاوس والخزرج فوجدناهم اقتصروا على بسط أعمال زعماء
قريش بعد البيعة الكبرى وفي أثناء العمل لها فحل يمكننا أن نصدق أن قريشاً
وقفت موقف الحياد في تلك السنوات الثلاث التي استمرت فيها المحادثات
والمفاوضات بين انصار الرسول وبين بطون يثرب ونحن نعلم أن زعماء قريش قد
أعلنوا عداوتهم للديانة الجديدة منذ نشأت ولم يألوا جهداً في قتلها وهي في المهد
ولم يتركوا وسيلة لا يقاد الفتنة ضد المسلمين الا لجأوا اليها حتى لقد أرسلوا الوفود الى
الحبيشة يستعينون بها على اخراج المؤمنين من ديارهم ، أي يمكن أن نسلم بأن قريشاً
أغضت أو تقاضت عن تلك الحوادث الهامة التي كانت تجري في مكة في حين
كان القوم يؤدون شعائرهم الدينية وكانت تلك الحركات العدائية مصوبة الى
العقائد القديمة من ناحية عنصر عربي له قوة و نفوذ في شمال الحجاز أجمعه ؟

ازاء هذا لا يمكننا أن نسلم بذلك الحياد المظنون بل نرجح أن قريشاً بذلت
كل ما كان في وسعها من القوة والنفوذ لتحيط وشرعات الرسول ولترجع زعماء
الاوس والخزرج الى موقفهم الاول ولكنها حابت في هذا المسعى لأن بطون
يثرب لم تستمع لهم اذ كانت تأثرت بنفوذ النبي ورأت أن مصالحها السياسية
والاقتصادية تقضى بالانضمام اليه

وانه ليعيننا أكثر من هذا أن نعرف موقف يهود يثرب اراء هذه البيعة
الكبرى بالعقبة فإن المراحح العربية لم تنثر الى حركاتهم ونياتهم ازاء هذه البيعة
الكبرى كأن الدعوة الاسلامية لم تصل اليهم وكانهم لم يقفوا على تى من
أعمال الطون اليتريية العربية

ونحن نرجح أن اليهود لم يفضلوا عن تلك الحركة لأنها متصلة بمصالحهم

السياسية والتجارية والاجتماعية خصوصا اذا لاحظنا اتجاه الدعوة الاسلاميه صوب المدينة وميل زعماء الخزرج الى الاتصال بالرسول ونحن نعلم ما كان بينهم وبين اليهود من الحقد مما جعل زعماء بنى النضير وقريفة يرافيون حركاتهم جميعا ثم نعلم أن الاسلام لم ينشر خفية في يثرب وكيف وقد كان مصعب بن عمير يدعو الناس الى الله ورسوله على مرأى من جميع البطون وكان ينتقل من بطن الى بطن ومن حى الى حى مدة طويلة ثم إننا نعلم أن عددا من تجار اليهود كان يشترك في موسم الحج فمن البعيد اذن أن يجعل اليهود تلك الشؤون كما صورتهم كتب الاخبار

نحن لا نشك في أن اليهود لم يكونوا متحدين في ميولهم السياسية والاجتماعية فقد كانوا في شقاق دائم ولم تظهر بينهم الألفة الا في أيام البؤس والشدة كما اتحد بنو النضير وبنو قريظة في يوم بعاث ضد عدوهم من بنى الخزرج وفي يوم بعاث كان بنو قينقاع يحاربون الى جانب صفوف الخزرج ضد أبناء جلدتهم وقد بالغ اليهود في قتلهم وعداوة بنى قينقاع لبقية اليهود قديمة فيما يرى بعض المستشرقين اذ أكرههم اليهود على الخروج من زارعهم والاكتفاء بجحيمهم الذي كان يحميه بنو الخزرج

وأمامنا عنصر ثالث من اليهود هو البطون المتهودة الصغيرة وكان من بطون العرب في يثرب أسرتهم ولم تخرج من ديارها بل بقيت محتطعة بمنزلها بين قومها ونحن لا نجد لهذه البطون المتهودة ذكراً في النضال العنيف ضد الاسلام

فهل نظن انهم لم يتدخلوا قط في شؤون الحرب أو انهم قاتلوا في صفوف أبناء دينهم ولم يذكروهم المؤرخون لقتلهم وقد يصح أن نفترض انهم مع يهودهم آثروا النزعة القومية على العاطفة الدينية فلم يشتركوا في حرب اليهود للمسلمين ؟

كانت العلاقات بين اليهود وبين قريش في غاية الصفاء لذلك نفرض انه اذا لم يفلح زعماء قريش في استمالة زعماء الخزرَج فانهم لا بد ذاهبون للتقرب من بعض زعماء اليهود ليعملوا على احباط أعمال المسلمين في المدينة وكذلك كان فان الذى يتأمل ما جرى بين كعب بن الأشرف زعيم بنى النضير وبين الرسول يرى أن ذلك الرجل كان يقاوم الحركة الاسلامية منذ وصات أرض يثرب والهداء الذى استنفل أمره بين الجهتين يؤيد ما تقول

ولكن اذا افترضنا اتفاق بعض زعماء اليهود مع قريش للتحرش بالاسلام فاننا نعلم من جهة أخرى أن مخيريق اليهودى أحد زعماء وأغنياء بنى النضير كان من أوفى الناس للرسول وأكثرهم ميلا اليه منذ هجرته وكذلك أظهر عبد الله بن سلام ولاء للنبى قبل أن تنشأ الأزمة بين النبي وبين يهود المدينة كل ذلك يؤيد ما تميل اليه من ان النزعات السياسية عند رعماء البطون كانت مختلفة كل الاختلاف وهذا كله فرض قد يساعدنا في البحث عن العلاقات بين المسلمين وبين قريش واليهود

ويقول الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وقد ذكر المؤرخون وأصحاب السير أن أهل يثرب لما بايعوا النبي البيعة الكبرى علمت قريش في تلك الليلة بتلك البيعة مع أنها كانت سرية لم يعلم بها وثنيو أهل يثرب فمن الذى أفضى الى قريش بذلك الأمر ؟

لا جائز أن يكون أحد المبايعين أحدهم بما كان والوثنيون لا علم لهم بتبىء والذى نفترضه أحد أمرين :

الأول أن تكون قريش تبهت الى الأمر وراقت محمداً من حيث لا يدري حتى اذا اجتمع بأنصاره بلغهم عينهم بما كان ففطنوا للأمر
الثانى أن أحد اليهود من تجار الموسم رأى جيرانه في الدار على حال غير

معتادة ففطن للأمر وأسر الى قريش بما رأى .
وقد ذكر المؤرخون أن قريشاً عاتبت أهل يثرب على ما كان من أمر بيعة
الرسول فسكت من كان منهم مؤمناً ودخل في بيعة النبي وتكلم الوثنيون فأنكروا
أن يكون حصل منهم شيء، تكررهم قريش وحلفوا لهم على ذلك فرجع القرشيون
حين سمعوا ذلك . . . اهـ

وهما يكن من شأن هذه البيعة العظيمة فانها من الحوادث ذات النتائج
الخطيرة في التاريخ الاسلامي

وانى أعتقد انه كان من الحق على المسلمين أن ينتدوا تاريخهم من تلك
السنة لأن قيمتها لم تكن أقل شأنًا من قيمة هجرة الرسول الى يثرب . . . ومع
ذلك فلم يفهم شيء كثير فان الهجرة حصلت في السنة التالية لها عن قرب

الباب السادس

لهجرة الرسول الى يثرب

واملاؤه بنى قينقاع والنضير غيرها

آمال اليهود التي كانوا ينتظرون تحقيقها بعد قدوم النبي الى يثرب — معاهدة الرسول مع يهود يثرب — نص الصحيفة — آراء المستشرقين فيها — قيمة هذه الصحيفة — نظام الحكم في منطقة يثرب قبل الهجرة — رغبة الرسول في التآليف بين قلوب المسلمين واليهود — كيف نشأ سوء التفاهم بين الرسول واليهود — بسبب أسباب حوهمية لسوء التفاهم أهلها المؤرخون — المجادلة الدينية ضد مبشر للخصومة — اشتداد الازمة السياسية بين الرسول واليهود — فشل الطائفة المتدلة من اليهود في صميمها لارحاع المياه الى مجاريها — دور المنافقين في هذا النزاع — يوم بدر — لماذا لم يشترك اليهود في القتال يوم بدر ؟ — دعوة الرسول بنى قينقاع الى الاسلام — الاسباب التي أدت الى نشوء العداوة بين المسلمين وبنى قينقاع قبل غيرهم من اليهود — رد بنى قينقاع على دعوة الرسول — جلاؤهم عن المدينة — آيات قرآنية نزلت و حلاء بنى قينقاع عن المدينة — يوم أحد — امتناع بنى النضير عن الاشتراك في هذه الوقعة — تخيير اليهودى صديق الرسول — قتل كعب بن الاشرف — قطة خلاف بين اس هشام واليقوبى — أمر الرسول باجلاء بنى النضير عن المدينة — أصرار بنى النضير على المقاومة بتشجيع زعيم المنافقين — نزول بنى النضير على حكم الرسول — مقام بنى النضير — شهر العرب في يوم بنى النضير .

لا شك أن اليهود كانوا يرصدون الاحوال التي طرأت على يثرب بعد البيعة الكبرى بالعقبة و يراقبون تطور الحوادث باهتمام شديد ولم يكن يدور في خلدكم ان سيحدث ما يوجه الحوادث في تيار مصاد لمصالحهم ومضاد لكيانهم ولو أنهم تبينوا في مظاهر الخرزج ما يدل على شيء من ذلك لأعلنوا الحرب جهراً منضمين الى حلفائهم من الطون الثيربية أو منضمين مع قريش

ويلوح لى أن اليهود كانوا ينظرون بفارغ الصبر قدوم النبي الى يثرب وكانوا يعتقدون أنه فى مصلحتهم فقد نادى فيهم أول رجل منهم رأى النبي فى يثرب بأعلى صوته « هذا جدكم قد جاء » (١)

كان يهود يثرب يتشوقون لرؤية الرجل الذى ينشر دعوة دينية تتفق فى جوهرها مع عقائدهم وكانوا يعتقدون أن ظهور رجل ليس من بنى إسرائيل يدعو الى توحيد الآلهة والى تعاليم التوراة والى تمجيد ابراهيم وهوسى إنما هو ظاهرة غريبة فى التاريخ البشرى

ولا شك انهم سمعوا من مصعب بن عمير بعض الآيات القرآنية وانه كان لهذه الآيات وقع حسن فى نفوسهم جعلهم يؤمنون فى هجرة النبي الى يثرب آمالاً كباراً

ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أو على الأقل يرجون أن يتمكنوا من التأثير فيه حتى يدخل فى دينهم حيث يتعاونون على محو عبادة الاصنام وقد يحتمل أنهم كانوا يرجون أيضاً أن يتمكن الرسول من التأليف بين البطون اليثريه وجعلها كتلة واحدة تتعاون على النهوض بهذه المدينة التى كانت فى حاجة شديدة الى الهدوء والسكينة وكانوا يعتقدون انه لو تم ذلك لأصبحت يثرب أعظم مركز للتجارة فى الجزيرة وتمسكن أهلها من أن يصربوا تجارة مكة وغيرها

من المحتمل أن آمالاً من هذا النوع كانت نجيش فى صدورهم أثناء الفترة التى كانت بين البيعة الكبرى وبين الهجرة

كذلك كان الرسول يرغب فى التقرب الى اليهود نظراً لمسكاتهم الرفيعة من الوجهة الأدبية والمالية والسياسية فى البلاد الحجازية وكان يعتقد أن اليهود يدخلون فى ذمته وملته بلا مقاومة بل يرجون بدعوته التى تشبه فى جوهرها تعاليم

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٨٦

الآباء الأقدمين من بني إسرائيل حيث يكون منهم ومن البطون العربية أما واحدة تبذل النفس والنفس في سبيل تنفيذ مشروعاته

وقد عقد الرسول بعد قدومه الى يثرب معاهدة ودية مع اليهود وقد جاء ابن هشام بنص هذه المعاهدة ويقول:

قال ابن إسحاق وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم عليهم وشروط واشترط لهم بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفتدون عافيتهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو حشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الأولى وكل طائفة منهم تفدى عانيتها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وأن المؤمنين لا يتركون مفرجاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل

ولا يحالف مؤمن مؤمن ولا يؤمن دونه وأن المؤمنين المتقين على من بنى أو

ابننى وسبعة ظلم أو أثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعاً
ولو كان ولد أحدكم

ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن وأن ذمة الله واحدة
يجير عليهم أديانهم وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس

وأنه من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين
عليهم وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسلم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله
إلا على سواء وعدل بينهم وأن كل غاربية عزت منا تعقب بعضها بعضاً وأن
المؤمنين بين بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله وأن المؤمنين المتقين
على أحسن هدى وأقومه وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا فحشاً ولا يحول دونه
على مؤمن وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً عن يئسه فإنه قود به إلى أن يرضى ولى
القتول وأن المؤمنين عليه كلفة ولا يحمل الاقيام عليه وأنه لا يحمل المؤمن أقر
بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محمدنا ولا يؤذيه وأنه من
نصر أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل
وانكم معها اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد صلى الله
عليه وسلم

وأن اليهود ينقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وأن يهود بنى عوف أمة مع
المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وباليهيم وأنفسهم الا من ظلم وأثم فإنه
لا يوتق (أى لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته وأن لليهود بنى الحجار مثل ما لليهود بنى
عوف وأن لليهود بنى الحرث مثل ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى ساعدة مثل
ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى جشم مثل ما لليهود بنى عوف وأن لليهود بنى

(١) وفي القرآن آية صريحة زات على الرسول في هذا الشطر من الرمن تقر هذا النص
من المائدة « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي من يكفر بالطغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (سورة البقرة آية ٢٥٦)

الاولس . مثل ما لليهود بنى عوف إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته وأن جفنة بطن من ثعلبية كأنفسهم وأن لبني الشطننة مثل ما لليهود بنى عوف وأن البردون الاثم وأن . والى ثعلبية كأنفسهم وأن بطانة يهود كأنفسهم وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بأذن محمد صلى الله عليه وسلم وأنه لا ينحجر على نار جرح وأنه من فتك فينفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم وأنه لم يأتهم امرؤ بحليفة وأن النصر للمظلوم وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داوا محاربين وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم وأنه لا تجار حرة إلا بأذن أهلها وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان رده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الله على أتقى . ما في هذه الصحيفة وأبرد وأنه لا تجار قریش ولا من تصرها وان بينهم النصر على من دهم يثرب واذا دعوا الى صالح يصلحونه ويلبسونه فاتهم يصلحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة . . . أه

وقبل أن نتعرض لهذه المعاهدة نقول : ان الصحائف التي عقدها الرسول مع المشركين واليهود تنقسم الى قسمين : القسم الأول يشتمل على عقود وعهود وقعت حقا وشهد بوقوعها القرآن الكريم وأثبتها المؤرخون القدماء . أما القسم الثاني فيشتمل على عهود غير صحيحة نخلت بعد وفاة الرسول لاغراض شتى اذ كان الخلفاء يقرون كل ما وعد به النبي ولو لم يكن مكتوبا

ولا يشك المؤرخون في أن النبي عقد مع اليهود عقوداً مختلفة بعد حضوره

الى المدينة اذ كان يخاف على حياته وحياة انصاره ويود عقد المحالفات مع اليهود الذين لمبوا دوراً هاماً في يثرب . وفي القرآن تأنيب لليهود على تقص اليهود وهو اصدق دليل على أنه عقدت معهم معاهدات (١)

وقد ذكر ابن هشام عقوداً مختلفة عقدت بين اليهود وبين الرسول عدا هذه المعاهدة (٢) وقال أبو عبيد في كتاب الأموال : انما كتب رسول الله هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية واذ كان الاسلام ضعيفا وكان لليهود اذ ذاك نصيب من المغنم اذا قاتلوا مع المسلمين كما شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب . . . (٣)

وكانت هناك صحيفة خاصة بينه وبين بني قريظة وبين الرسول وبين يهود خيبر وتبء وواى القرى وذكر ابن سعد عقودا عقدها الرسول مع يهود بني غدية (٤) وذكر صاحب فتوح البلدان صحيفة عقدت بين الرسول وبين أسرة شريفة من اليهود (٥)

وكل هذا يؤيد وجود معاهدات بين النبي وبين اليهود ولكن من العسير أن نأنس الى جميعها كما يفعل المستشرقون فان ابن اسحق لم يتحدثنا عن معاهدات مخطوطة وصلت اليه وانما يكتبني بالرواية عن السابقين وهذا لا يقدر في قيمة هذه الصحيفة التاريخية التي نرجو أن تزيل بعض الغموض من حياة القبائل العربية واليهودية بالمدينة

(١) وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فقصوا ذلك العهد (جزء ٣ ص ١٥٨ على الهامش من كتاب جامع البيان للطبري والرواية من ابن عباس) ثم في الجزء الاول من جامع البيان ص ١٤٢ — ١٤٣ روايات كثيرة في تفسير الآية الدين يقضون عهد الله

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤ وجزء ٣ ص ١٩٧

(٣) الروض الاف جزء ٢ ص ١٧ طبع مصر

(٤) ابن سعد . بنة رسول الله الرسل يكتبه ص ١٨ طبع Wellhausen برلين

(٥) فتوح البلدان ص ٦٠

أما الغرض الذي كان يرمى اليه الرسول من وراء هذه الصحيفة وما إليها من العمود التي عقدها مع بطون يثرب فهو هدم النظام القديم وإيجاد نظام جديد يمكن به أن تتوحد العناصر اليتيمية وأن تعود يثرب بعد فرقة أحيائها مدينة واحدة فقد كانت يثرب منقسمة الى عدة دوائر وكانت كل دائرة تابعة لبطن من البطون وكانت الدائرة تنقسم الى قسمين يشتمل القسم الاول منها على الاراضي الزراعية بمنارها وسكانها وكان من الزراع والفلاحين فئة تضم هيئة البطن من أصحاب الأرض الزراعية تعمل في الفلاحة ولها ما للبطون التي تملك الآطام من الامتيازات والحقوق وفئة كانت تجب المال المستأجرين من البطون اليتيمية وهم أحرار ولهم حقوق الاحرار ثم وجدت طبقة العبيد التي لم يكن لها من الحقوق الا القليل

أما القسم الثاني من الدائرة فكان يملك الآطام وكان البطن يملك أطما أو أطاما وهذه الآطام كانت ملكا خاصا بالاسر العريقة وكان رئيس الاسرة صاحب السلطان في الاطام كما كان يعتبر زعيما من زعماء البطون وكانت أهمية الآطام عظيمة في يثرب فكان يفزع اليها أفراد البطن عند هجوم العدو ويأوى اليها النساء والاطفال والمعزة حين يذهب الرجال لمقاتلة الاعداء وقد كانت الآطام تستعمل كالمخازن تجمع فيها الغلال والثمار ذلك أنها كانت معرضة في أما كنها المكشوفة للنهب والسلب وكان الاطام مرجعا لكثير الاموال والسلاح وكان للقوافل المنقلة بالبصائع أن تنزل بالقرب منه كما كانت تقام على أبوابه الاسواق

وكانت الآطام تشتمل - كما نظن - على المعابد وبيوت المدراس^(١) اذ كانت فاخرة الالات كثيرة الادوات مملوءة بالاسفار فكان يجتمع فيها الزعماء

(١) دت١ ص٤٤٤

للبحث والمشاورة حيث يقسمون بالكتب المقدسة حين يهيمون بإبرام العقود والاتفاقات

ثم وجدت في يثرب بطون لم تكن تملك الآطام وكانت تقيم في الاحياء حيث تحوى البطون الكبيرة مواليها من إغارات البطون الأخرى وكانت الاحياء متضامة يلاصق بعضها بعضاً وكانت مع هذا مختلفة في نظمها الداخلية حيث يهتم كل حى بشؤونه

وإذ كانت الآطام في نظامها قد وجدت في شمال الحجاز أكثر مما وجدت في أى بقعة أخرى من بلاد العرب فإنا نرجح أنها كانت متأثرة بالنظم الاجتماعية اليهودية التي كان يجرى عليها اليهود في وطنهم الاصلى فلسطين

وهنا يعرض هذا السؤال : مم اشتقت كلمة اطم ؟ فان معناها بالعربية غيره بالعبرية. يقول صاحب الروض الانف الاطم اسم مأخوذ من انطم اذا ارتفع وعلا يقال انطم على فلان اذا غضب وانفخ والاطامات نيران معروفة في الجبال لا تخمد فيها تأخذ بمنان السماء فهي أبداً باقية لانها في .مادن الكبريت (١)

أما العبرية فللفعل اطم (אָטַם) .مان شتى يقال اطم عينيه أغمضهما وأطم اذنيه سدما والاطم في الجدران والحيطان هي النوافذ المظلمة من الخارج والمفتوحة من الداخل ويستعمل الاطم في السور أى الحائط الضخم

وعلى ذلك يمكننا أن نفترض أن اليهود أطلقوا على الحصن اسم اطم لأنه كان في امكانهم أن يغلقوا أبوابه وان كانت له نوافذ تقفل من الخارج وتفتح من الداخل

كانت الوظائف المختلفة من دينية وسياسية تنتقل بالوراثة من السلف الى الحلف في الأسرة الواحدة التي تفرد بعمل من الأعمال وكانت البطون الكبيرة أصحاب الحكم في يثرب وكان كل بطن يجتهد في أن يفرد بالفوذ

وكان كل بطن من البطون الكبيرة يضم اليه طائفة من البطون الصغيرة تعد من مواليه وكان يشرف على مزارعها ومتاجرها وحقوقها واذا وقعت اثمارة عدها واقمة على رعاياه فطالب بالثار أو دفع الدية وكان أفراد البطن الصغير يلجأون الى آطام البطن الكبير اذا هاجمهم العدو وكان البطن الصغير يتابعينه للبطن الكبير مضطراً الى الاشتراك في الحروب التي توجه الى البطن الكبير والارمى بالتمرد والعصيان ومع هذا حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها ولم تسمح للبطون الكبيرة بأن تحدد من حريتها وكان من نتيجة ذلك أن تجنبت البطون الكبيرة كل ما يهيج البطون الصغيرة

وكان هناك شبه توازن في نظام الحكم بين البطون الكبيرة فكانت تنور بقية البطون اذا هم بطن كبير بالاستئثار بالنفوذ

هذا كل ما يمكن أن نقرضه واقماً عن نظام الحكم في يثرب ولا نعلم بالضبط كيف وصلت الى هذا النظام فليس لدينا من المصادر ما نعرف به كيف انتقلت البطون اليتيمية من البداوة الى النظام المعقد الذي وصلت اليه قبيل ظهور الاسلام ولسكنه من المرجح أن يكون هذا النظام نتيجة لحروب وحوادث وقعت في قرون مختلفة قبل هجرة الرسول الى يثرب فان النظم الاجتماعية لا توجد الا متأثرة بالحوادث راقية كانت تلك النظم أو منحطة

كان تضافر تلك البطون وتوافقها نافعاً لها كل الدفع في درء الأخطار الخارجية التي كانت تهددها من سائر البلاد العربية وكان يمكن أن يصل هذا التوافق الى شيء من النظام الجمهوري الراقى ولو استطاعت يثرب أن تتحد انحداداً يقوم على أساس التعاون والتوازن الصحيح لاستطاعت هذه القوة أن تبسط سلطانها على قبائل الجزيرة العربية

وما يذكر في المراجع العربية من أن بطون يثرب أرادت أن تملك عليها

عبد الله بن أبي وأنها نظمت له الخرز لتوجه فذلك مشكوك فيه لأسباب منها أن رهط عبد الله كان قد غلب على أمره يوم يباث فليس من المعقول أن يرتاح الأوس واليهود بعد فوزهم المبين إلى تملك زعيم من الخرز وكانوا لهم من أعد الأعداء.

على أن عبد الله بن أبي لم يكن صالحاً للقبض على ناصية الحكم في يثرب وإنما كان ضعيفاً دسماً، مردداً لا يستقر على حال . . .

يضاف إلى ذلك أن إجماع عرش في يثرب كان يقضى على استئصال البطون وما كان يمكن أن تصل يثرب إلى شيء من هذا بغير الحرب وسوء الدماء

كل هذا كان الرسول يعلمه وكان يعلم أنه يتنافر مع أغراضه العظيمة فلم ير بدأ من هدم نظام يثرب فقد كانت في حاجة شديدة إلى قوم، وتلفين لم تفرق بينهم الأهواء المتعاضدة يستطيع أن يسوسهم بإرادته ونفوذه وهؤلاء كانت سياسة الآطام والاحياء، رفقهم شرمق فكان من الحزم أن يهدم نظام الطوائف وأن يؤسس نظاماً جديداً وكان سبيله إلى غايته أن يعقد العود بين البطون اليتيمية وان ينشر تعاليم القرآن من ناحية أخرى

كل ذلك جرى عليه الرسول قل أن ياجأ إلى السيف لتهور أعدائه في السياسة والدين كما سيحىء بيانه . . .

وأمل للقصة التي نقلها عن ابن اسحاق في الديرة مغرى نعرف به شيئاً في سياسة الرسول بعد هجرته إلى يثرب : قال ابن اسحاق ومرشاس ابن قيس وكان شيخاً قد عسى ، عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم نفر من أصحاب رسول الله من الأوس والخرزج في مجلس قد جمعهم . . . ففاظه ما رأى من ألعنهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال قد اجتمع ملائني قبيلة بهذه البلاد لا والله ، لما

بمهم إذا اجتمع ملائم بها من قرار فأمر فتي شابا من يهود كان معه فقال احمد اليهم فأجلس معهم ثم اذكر يوم بعث وما كان قبله وأنشدم بعض ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار وكان يوم بعث يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان على الأوس يومئذ حضير بن سهاك الاشهلي وابو أسيد بن حضير وعلى الخزرج عمر بن النعمان البياضى فقتلا جميعاً . . . ففعل فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى ثواب رجلا من الحيين على الركب أوس بن قيسلى أحد بنى حارثة بن الحرث من الأوس وجبار ابن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان تتم ردناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعاً وقلوا قد فعلنا . وععدكم الظاهرة والظاهرة الحرة السلاح السلاح فخرجوا اليها فبانغ ذلك رسول الله فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد ان هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بين قلوبكم فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله سائمين عابدين

وقد استغرق ماجاء في هذه المعاهدة عن اليهود أكثر من نصفها مما يدل على أن الرسول كان يحسب حساباً غير قليل لنفوذ اليهود وسلاحهم

ولكن الذى يتأمل في هذه الصحفة يحسب اذ لا يجد للبطون الكبيرة من الأوس والخزرج وبنى قينقاع ذكراً فيها فكيف أمكن أن يعقد النبي دهوداً مع البطون الصغيرة من اليهود دون الكبيرة منها

وللستشرقين في هذه الظاهرة رأيان : الأول : ان هذه المعاهدة كانت خاصة بالعرب والبطون اليهودية الصغيرة لأنها كانت منتشرة بين البطون العربية ومنداخلتها فيها ومعدودة من واليها حتى لا يمكن أن يعتبر لها وجود خاص

والثاني : ان هذه المعاهدة كانت تشتمل على البطون اليهودية الكبيرة أيضاً من بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع ولكن مؤرخي العرب المتأخرين حذفوا أسماءها من المعاهدة فيما بعد لأنه ساءم أن يذكر فيها أن الرسول تعاقد مع بطون خالفته وقاومته مقاومة عنيفة انتهت بسنك الدماء (١)

ويؤيد الرأي الأخير أن المؤرخين لم يذكروا البطون الصغيرة التي تعاقدت مع الرسول ضمن من اعتدوا على الأنصار وحاربوهم ومن المحتمل أن ما جاء في الصحيفة عن يهود الأوس كان شاه لابني النضير أيضاً

وعلى كل حال فليس من شك في أن النبي قد عقد العقود والمعاهد مع العرب واليهود بعد حضوره الى يثرب فعلى ذلك أميل الى الاعتقاد بأنها كانت أكثر من معاهدة واحدة لانتاجد الرسول بغضب من بني النضير لأنهم لم يشتركوا في يوم أحد في حين انه لم يطلب من بني قريظة أن يشتركوا معه في حرب المشركين

ومن جهة أخرى فان عقد معاهدات كثيرة مع بطون كثيرة قد يكون في مصلحة الرسول أكثر من عقد معاهدة واحدة تضم جميع البطون لان المعاهدات الكثيرة تقسم قوة البطون وتصرفها من الوجهة السياسية والحربية بينما يكون الاعتداء على بطن من البطون المجتمعة في معاهدة واحدة كأنه اعتداء على جميعها

وقد نرى الرسول يجارب بطناً من البطون دون أن تتحرك البطون الأخرى وكأن الحرب التي تقع بين المسلمين والبطان من بطون اليهود لم تمس صحيفتها ولم تنقض شروطها . ولنا عودة لهذا الموضوع فيما بعد

وقد عقد الرسول معاهدة كانت خاصة بيني قريظة (١)

أما روح هذه المعاهدات فلام كل الملائمة للحالة التي كان عليها المسلمون واليهود في القمرة لأولى بعد مجيء النبي الى يثرب . . .

لقد قلنا ان الرسول قد أراد أن يؤلف بين القلوب فأحل للمسلمين أكل ما أحل لليهود أكله وأحل لهم التزوج مع بناتهم « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذين أخدان » (٢)

كذلك أمر المسلمين أن يصوموا بهض أيام كان اليهود يصومونها (٣) ولو وقفت تعاليم الرسول عند حد محاربة الديانة الوثنية فحسب ولم يكاف اليهود أن يعترفوا برسائله لما وقع نزاع بين اليهود والمسلمين ولو كان اليهود قد نظروا بعين ملؤها التبجيل والاحترام لتعاليم الرسول ولأيديه وساعده به وأهلهم وأقدسهم حتى يحطم الأصنام ويقضى على العقائد الوثنية لكن بشرط ألا يتعرض لهم ولا لدينهم وبشرط ألا يكلفهم الاعتراف بالرسالة الجديدة لأن العقالية اليهودية لاتأين أمام شيء يزحزحها عن دينها وتأتي أن تعترف بأن يوجد نبي من غير نبي اسرائيل بل يعتقدون عقيدة راسخة أنه بعد ان ختمت صحف التوراة وكتب العهد القديم قد انتهى عهد بعث الرسل وظهور الانبياء سواء كانوا من بني اسرائيل أو من غيرهم (٤) كما يعتقد المسلمون انه لن يبعث نبي بعد الرسول محمد

هذه العقيدة يجب أن لا تقرب عن الاذهان لأنها أساس كل ما حدث بين

(١) ابن هشام جزء ٣٠ ص ٧٤

(٢) سورة المائدة آية ٤٨

(٣) البخاري جزء ١ ص ٤٩٨

(٤) راجع التلويح كتاب سنن الدرر في حكايا كبارنا

اليهود وبين الرسول من خلاف وزاع ولولا وجودها لما حدث شيء من الخلاف أو لكان في الامكان أن يتلافى ما قد ينشأ من ذلك

ونلاحظ هنا على معظم المستشرقين أنهم أهملوا هذه النقطة الجوهرية في بحثهم عن أسباب الخلاف بين الرسول واليهود مع أنه مما لا شك فيه أنه اذا أهملت هذه النقطة فلا سبيل بطلاً للبحث في هذا الموضوع

وبدأ النزاع بين النبي واليهود بالمناقشة الدينية المتبادلة بين الطرفين (١) فكان احبار اليهود يوجهون الاسئلة الى رسول الله ويصلون فيها الى حد التمسك فكان القرآن ينزل فيما يسألون عنه (٢)

وكانوا يطالبون النبي بأن يأتي اليهم بالمعجزات « الذين قالوا ان الله عهدنا لينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقرآن . . . تأكله النار . . . » (٣)

« يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء . . . » (٤)

ثم انتقلت المناقشة الى مخاصمة كلامية تجعل التنزيل يلوم اليهود ويعنفهم « ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم فبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . . . » (٥) ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين (سورة البقرة آية ٨٩)

ثم ظهرت المداوة فأخذ النبي يظعن في يهود يثرب وأخذ اليهود يرمون الانصار بقوارص الكلم فنزلت الآيات الكثيرة مشيرة الى فتور الاحوال بين الرسول واليهود « أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٣٥ — ١٨٢

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ١٠٦

(٣) سورة آل عمران آية ١٨٣

(٤) سورة النساء آية ١٥٣

(٥) سورة البقرة آية ١٠١

ناصرين (١) »

« الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وأن فريقاً منهم ليكتمون

الحق وهم يعلمون (٢)

وهكذا اشتد النفور حتى كانت المحاصات تقع بين اليهود والانصار في الشوارع يترامون فيها بالالفاظ القبيحة ويتتضّلون كما تعلم من حديث للبخارى انه استبّ رجلان رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمداً على العالمين فقال اليهودى والذي اصطفى موسى على العالمين فرجع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودى فذهب اليهودى الى النبي بما كانت من أمره وأمر المسلم فدعا النبي المسلم فأله عن ذلك فأخبره فقال النبي لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصمق منهم فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطن جازب العرش فلا أدرى كان فيمن صعق قبلى أو كان ممن استثنى الله... (٣)

ونزل كثير من الآيات فى ذلك الحين متضمنة الطعن المر فى اليهود منها

« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا (٤) » ومنها : بثما استتروا به أنفسهم بما أنزل الله نبياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب ولكافرين عذاب مهين (سورة البقرة آية ٩٠) « ومنها مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بثس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين »

وأخذ القرآن يذكر بما ارتكبه أجدادهم من الجرائم كصيانهم لموسى وقتلهم

أنبياء بنى إسرائيل وسجودهم للعجل... (٥)

(١) سورة البقرة آية ١٤٦

(٢) سورة آل عمران آية ٢٢

(٣) البخارى جزء ٢ ص ٨٩ و ٣٥٤ و ٣٥٩

(٤) سورة المائدة آية ٨٥

(٥) راجع سورة البقرة آية ٩٠ — ٩١

ولكن كل هذا لم يضعف من عزيمه اليهود فاستمروا على مناقشة الرسول
ومخاصمة الانصار الى أن حذر التنزيل المسلمين من المجادلة الدينية
« قد نزل عليكم ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا
مهم حتى يخوضوا في حديث غيره (١) »

فنجح من ذلك أزمة مباسية جعلت تشتد يوماً بعد يوم وشعر النبي بأنه لم
يوفق الى النجاح في تحقيق الفكرة التي كان يرمى اليها من التأليف بين قلوب
اليهود والعرب وایجاد أمة مؤلفة من جميع عناصر يثرب

وهكذا لم يمض ثمانية عشر شهراً من قدوم النبي الى يثرب حتى تلبد الجو
بالغيوم الكثيفة وجعل كل فريق يتواصى بالخدر والنفور من الفريق الآخر وكذلك
طرأت تغييرات دينية وظهر ما يسمى في عرف القرآن الكريم بالنسخ « ما ننسخ
من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير (٢) »
وتحولت قبلة الصلاة الى الكعبة بعد أن كانت متجهة نحو بيت المقدس
« قد نرى قلبك وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد
الحرام . . . وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون
أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون . . . » (٣) ويحدثنا ابن هشام عن
هذا الموضوع فيقول :

ولما صرفت القبلة من الشام الى الكعبة وصرفت في رجب على رأس سبعة
عشر شهراً (قبيل يوم بدر) من مقدم رسول الله الى المدينة أتى رفاعه بن قيس
وقردم بن عمرو وكعب بن الاشرف من اليهود الى النبي فقالوا يا محمد ما ولاك عن
قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه ارجع الى قبلتك

(١) سورة النساء آية ١٤٠

(٢) سورة البقرة ١٠٦

(٣) سورة البقرة آية ١٣٦ حديث البخارى جزء ١ ص ١٨

التي كنت عليها تتبعك ونصدقك . . . (٤)

وكان هناك طائفة معتدلة من اليهود أرادت أن تصلح بين الفريقين المتخاصمين وتزيل ما بينهما من أسباب النزاع ولكنها أخفقت في مسعاها لأن السبل كان قد بلغ الزبي فأوجست هذه الطائفة خيفة من استمرار العداء وتوقعت شراً مستطيراً مما يضره كل من الفريقين للآخر من الحقد والبغضاء وكان مخبرين اليهودي رفيق الرسول من أنصار هذه الطائفة وقد حار في كيفية معالجة المشكلة التي صارت أعقد من ذنب الضب

وكان هناك عنصر آخر لعب دوراً خطيراً في الحوادث الثيرية وهو العنصر الذي يضم أعداء اليهود السياسيين من بني الخزرج فقد كانوا أتد الأقوام خصومة لليهود ولم يكونوا مخلصين للرسول فكان همهم منحصرأ في أن يصبوا الزيت ليزيدوا في إشعال نار العداء بين الرسول وبين اليهود وقد عرف بعضهم عند المسلمين باسم المناقين وكان عبدالله بن أبي من زعماء هؤلاء المناقين وقد استمرت هذه الأزمة الشديدة الى يوم واقعة بدر الكبرى

ويظهر ان اليهود كانوا يرجون أن يضجر الرسول من عنادهم وحلمهم على قبول دين جديد فيكتفي بنشر دعوته الدينية بين القبائل العربية ونستنتج ذلك من أنهم لم يكونوا يرغبون في محاربة الأنصار مع أن يوم بدر كان فرصة مناسبة لمن كان في مركزهم

وكان النبي لا يريد أن يجارب اليهود في تلك الظروف التي لم تكن ملائمة بل كان يؤجل الدخول معهم في حرب حتى تتحسن الأحوال وتكون أكثر ملاءمة وفي الواقع كان اليهود يفضلون السلام والسكينة على المشاحنات والمخاصمات لأن السلام والسكينة أساس النجاح في الأعمال التجارية والصناعية

وبميل بعض المستشرقين الى الرأى القائل بأن الحالة كادت ترجع بين اليهود والمسلمين الى ما كانت عليه قبل اشتداد النفور والخصومة من الألفة والولاء لولا أن حدثت موقعة بدر الكبرى في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً مبيناً على قريش^(١) فقد أصبح المسلمون بعد هذا الظفر العظيم أصحاب الأمر والنهى في مدينة يثرب وشرعوا يأخذون بالنار من الافراد والجماعات التي أسادت اليهم وطمنت في أعراضهم

ولم يشترك اليهود مع الرسول في محاربة قريش يوم بدر لأنه لم يكن مشروطاً عليهم في المعاهدة أن يشتركوا في الغزوات الخارجية عن دائرة المنطقة اليثرية وكذلك كان عدد الأوس والخزرج في هذه المعركة قليلاً وكان أغلب المحاربين من المهاجرين

كان النبي في أول الأمر يرجو أن يدخل اليهود في الاسلام بطريق المجادلة والمناقشة فلما لم تنجح معهم هذه الطريقة صبر عليهم الى يوم بدر حيث صارت الظروف ملائمة للدخول معهم في حرب دامية

لذلك ظهرت عند الأنصار بعد موقعة بدر الكبرى سياسة جديدة جلية حيث صدموا على أحد أمرين ان يندمج اليهود مع العرب بواسطة اعتناق الاسلام أو بحاربهم حتى يجلوم

وكان المهاجرون ينتظرون بفارغ الصبر نتيجة مقاومة اليهود في يثرب لأن حالتهم كانت سيئة جداً إذ لم يكن لهم مال ولا مزارع ولا منازل بل كانوا يسكنون مع الأنصار من الأوس والخزرج

وكان أعداء اليهود من الخزرج يشجعون النبي على الشروع في محاربة

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ١٩٦ — ٢٣١

(٢) تاريخ الخميس جزء ١ ص ٤٠٦ و ص ٤٠٨ في قتل الصماء بنت مروان وقتل

أبي عمك

اليهود كما وضحنا ذلك من قبل

ويحدثنا ابن هشام عن هذه الأحوال فيقول انه بعد مرور بضعة أيام من موقعة بدر جاء الرسول الى حى بنى قينقاع وجمعهم بسوقهم ثم قال « يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل به ريش من النعمة وأسلموا فانكم قد عرقتم أئى نبي مرسل تجيبون ذلك فى كتابكم وعهد الله اليكم (١) »

وانى لأعتقد أن لأصرار النبي على دخول اليهود فى الاسلام سبباً آخر فوق الأسباب التى ذكرتها وهو أن دخول أهل الكتاب فى الاسلام يزيد فى هيئته ويكبر شأنه فى نظر قريش ذات المجد التليد وتدخل الجماعات الكثيرة فى الاسلام بدون مقاومة

أما الاسباب التى حملت النبي على البدء بمحاربة بنى قينقاع من بين جميع اليهود فترجع الى أن بنى قينقاع كانوا يسكنون داخل المدينة فى حى واحد من أحياء الاقوام العربية فأراد النبي أن يطهر المدينة وأحياء الأنصار من المشركين ومن جميع من يخالفون دينه

وغنى عن البيان أن بنى قينقاع كانوا أغنى طوائف اليهود فى مدينة يثرب فكانت بيوتهم تحتوى على الأموال الطائلة والحلى الكثيرة من الفضة والذهب وكان العرب يطعمون فى كل ذلك

ثم كان عدد بنى قينقاع غير كثير فكان من السهل مقاتلتهم واستئصال مناقبهم .

وفوق كل هذا فقد كانت هناك عداوة بين بنى قينقاع وبقية اليهود سببها أن بنى قينقاع كانوا قد اشتركوا مع بنى الخزرج فى يوم بعاث وقد أئمن بنو النضير وبنو قريظة فى بنى قينقاع ووزقوهم كل ممزق مع أنهم دفعوا الفدية عن كل من

وقع في أيديهم من اليهود وقد استمرت هذه العداوة بين البطون اليهودية بعد يوم بعث حتى وقعت الحرب بين الانصار وبين بني قينقاع فلم ينهض معهم أحد من اليهود في محاربة الانصار

وقد أشار القرآن الى عداوة اليهود فيما بينهم بقوله « واذا أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالائم والعدوان وإن يأتوك أسارى فادوم وهو محرم عليكم إخراجهم ... (١)

فيظهر من هذه الآية مقدار ما كان بين بني قينقاع وبين بني النضير وقريظة من العداوة والبغضاء ويظهر أيضاً أن بني قينقاع كانوا أصحاب مزارع فأخرجهم أبناء جلدتهم منها وأرغمهم على الالتجاء الى حي واحد في داخل المدينة على أن هناك عاملاً آخر ذا قيمة كبيرة في حمل الرسول على البدء بمحاربة بني قينقاع وهو أن بني قينقاع كانوا من موالى بني الخزرج وكانت أغلب بطون بني الخزرج قد دخلت في الاسلام ما عدا بطن عبد الله بن أبي فقد كان يظهر الايمان ويبطن الكفر وكانت بطون بني الخزرج توافق على مشروعات النبي بدون معارضة



نتقل من هذا الى ما رد به بنو قينقاع على أقوال النبي إذ أجابوا بكل جرأة وتبجح « يا محمد لا يفرنك انك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبحت منهم فرصة إنا والله لئن حاربناك لتعلمن اننا نحن القوم (٢)

ويظهر من هذا الرد أن بني قينقاع كانت تعتمد على معاضدة حلفائهم من الخزرج في نزاعهم مع الرسول قبل كل شيء إذ لا يتصور أن بطناً صغيراً كبطن

(١) سورة البقرة آية ٧٣

(٢) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٤

بنى قينقاع يجرؤ على اعلان الحرب ضد أغلب بطون يثرب ولكن بنى الخزرج
خزلوهم ولم يتحركوا لنجدتهم رغم انهم من واليهم
« وحاصرهم رسول الله حتى نزلوا على حكمه فقام اليه عبد الله بن أبي قتال
يا محمد أحسن الى موالى وكأوا حلفاء الخزرج فأبطأ عليه الرسول فقال يا محمد
أحسن الى موالى فأعرض عنه النبي فأدخل عبد الله يده في جيب درع الرسول فقال
له الرسول أرسلنى وغضب حتى رأوا لوجهه ظللا قال ويحك أرسلنى قال لا والله
لا أرسلك حتى تحسن فى . والى أربعمائة حامر وثلاثمائة دارع قد منعوا من الاحمر
والاسود تمصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ اخشى النوائر فقال الرسول هم
لك . . . وكان محاصراً أيام خمس عشرة ليلة . . . ثم أجلاهم الرسول من المدينة
فخرجوا منها الى اذرعات بالشام » (١)

ويحدثنا الواقدى أن الرسول أمر بجمع أموالهم وأسلحتهم ثم قسمها على
الأنصار بعد أن حجز منها الخمس وأبقى لبنى قينقاع ذرارهم ونساءهم وأمهاتهم
ثلاثة أيام ولما رحل بنو قينقاع من يثرب نزلوا بوادى القرى حيث احتفى بهم اخوانهم
من اليهود فأقاموا عندهم على الرحب والسعة الى أن رحلوا نهائياً الى الشام (٢)
وفى ابن هشام قصة يذكرها على أنها تتضمن السبب فى اعلان المسلمين
الحرب على بنى قينقاع الا أن المستشرقين لاحظوا أنه لم يروها عن ابن اسحق
الذى هو المرجع الثقة لابن هشام ثم هى ليست موجودة فى كتاب الواقدى لذلك
هم يعتبرونها قصة متأخرة وغير واقعية « وحوها ان امرأة من العرب جلست الى
صائغ بسوق بنى قينقاع فحمل بعض اليهود يريدونها على كشف وجهها وهى تأبى
فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعمده الى طوقها فلما انكشفت سواتها ضحكوا منها
فوقع الشر بين الأنصار وبين بنى قينقاع » (٣)

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٤

(٢) الواقدى ص ٩٤

(٣) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٣٤

وقد أشار القرآن الى حادثة اجلاء بنى قينقاع عن المدينة بقوله : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فتنتين التقتنا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولى الأبصار (١)



يظهر ان أمر اجلاء بنى قينقاع كان له وقع عظيم في نفوس اليهود فقد امتنعوا بعد ذلك عن المجادلة الدينية وكفوا عن رمى المسلمين بقوارص السكلم ودخلت هيبة المسلمين في قلوب البطون العربية التي لم تسكن دخلت في الاسلام فانفسح المجال أمام النبي لنشر دعوته

ثم جاء يوم أحد في شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة « نخرحت قريش بجدها وجدها وأحايشها ومن تابعها من بنى كنانة وأهل تهامة وخرحوا معهم بالظعن الثماس الحفيظة وأن لا يفروا نخرج أبو سفيان بن حرب وهو قائد الناس ومعه عمرو بن العاص وغيره من الزعماء فأقبلوا حتى نزلوا بجنين جبل بطن السبخة من قاة على سفير الوادي مقابل المدينة « ثم خرج اليهم رسول الله في ألف من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انحدل عنه عبد الله بن أبي بلثث الناس وقال علام نقتل أنفسنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل الريب والنفاق (٢)

ولم يشترك أحد من اليهود في واقعة أحد الا رجل اسمه غخير بن « كان رجلاً غنياً كثير النخيل وكان يعرف رسول الله بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى كان يوم أحد (٣)

(١) آل عمران آية ١٤

(٢) اس هشام ج ٢ ص ٣٤٦ — ٤١٢

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ١١٠

وقد كانت موقعة أحد في يوم سبت فأبى اليهود أن يحملوا السلاح في ذلك اليوم ورفضوا الاشتراك مع الرسول في غزوة أحد معتمدين على أن المعاهدة التي كانت بينهم وبين النبي تسمح لهم بالتخاف عن المارك التي تقع بعيداً عن المدينة كما ذكرنا سابقاً

ولكن مخيريق اليهودي قال : لا سبت لكم فأخذ سيفه وعدهته وقال ان أصبت قتالي لمحمد يصنع فيه ماشاء ثم غدا الى رسول الله فقاتل معه حتى قتل فقال الرسول مخيريق خير اليهود (١)

وفي ابن هشام زعم منسوب لغير ابن اسحاق ملخصه ان الأنصار سألوا النبي يوم أحد : ألا تستعين بملفائنا من اليهود فقال لا حاجة لنا فيهم (٢)

غير ان المستشرقين يرتابون في صحة هذا الحديث كما هوشأنهم في كل ما يرويه ابن هشام عن غير ابن اسحق ويستدلون على عدم صحته بأن الرسول غضب من اليهود بسبب عدم اشترائهم معه في يوم أحد وأنخذ من امتناعهم عن ذلك سبباً لاعلانه الحرب على بي النصير كما سنبين ذلك فيما بعد

ويؤيد صدق نظر المستشرقين في هذا الزعم ما نقلناه عن ابن هشام نفسه من نداء الرسول على مخيريق وقوله مخيريق خير اليهود فانه لم يقل ذلك الا لان مخيريقاً لم يتخلف عن تلك الموقعة كما تخلف بقية اليهود

ولصاحب الطبقات الكدرى رواية تفيد أن النبي بعد ان خرج بجيوش المسلمين الى أحد حتى اذا كان ماشيخين وهما أطمان التفت فنظر الى كنيبة خشناء لها زجل فقال : ما هذه قالوا : حلماة بن أبي من يهود قتال رسول الله : لا تستنصروا بأهل الشرك على أهل الشرك . . (٣)

(١) ابن هشام - ٢ ص ٣٧٣

(٢) ابن هشام - ٢ ص ٣٧٣

(٣) ابن سعد - ٢ ص ٢٧

أما نحن فنغض الطرف عن هذه الرواية لأنها تناقض ما قصصنا عن ابن اسحق . على أن الذي يعمن نظره في الحالة التي كان عليها اليهود بعد اجلاء بني قينقاع عن المدينة يتضح له جلياً أنه لم يبق لعبد الله بن أبي موال من اليهود اذ كان بنو النضير وقريظة من ألد أعدائه كما مر ذلك في عدة مواضع
ودخلت الأشهر الحرم بعد يوم أحد فلم يحصل فيها نضال ولا قتال ثم أتجه النبي لمحاربة بني النضير

وهنا نقطة خلاف هامة بين ابن هشام وبين يعقوبى فابن هشام يقول ان قتل كعب بن الأشرف حدث بعد خروج بني قينقاع من المدينة أى في ربيع الاول من السنة الثالثة للهجرة ويذكر ابن هشام أنه بعد قتل ابن الأشرف قال الرسول « من ظفرتم به من اليهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على بن سنينة رجل من تجار اليهود كان يلبسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود اذ ذلك لم يسلم وكان أسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدو الله أقتلته أما والله لرب شحم في بطنك من ماله اقل محيصة : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك . . . (٢)

ولكن يعقوبى يقول إن النبي أمر بقتل كعب بن الأشرف بعد يوم أحد (١) أى قبيل محاصرته لبني النضير أى في ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة وكان قتله بمثابة اعلان الحرب عليهم لأنه كان زعيماً من زعمائهم وكان قاتله أبو نائلة أخو كعب بن الأشرف من الرضاعة ومعه أربعة من الانصار (٣)

ويقول العالم Leszynsky إن العلاقات بين الرسول وبين بني النضير كانت على ما يرام قبل يوم أحد فلو ان قتل كعب بن الأشرف حدث بعد اجلاء بني

(١) ابن هشام جزء ٢ ص ٣٤٤

(٢) تاريخ يعقوبى جزء ٢ ص ٤٩ وتاريخ الخميس جزء ١ ص ٤٦٤

(٣) ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٧ — ٣٤٤

قبتاع أى قبل واقعة أحد لما أمكن أن تكون هناك علاقةت حسنة بين الرسول
و بين بنى النضير لان كعب بن الاشرف كان من زعماء بنى النضير وفوق ذلك
فقد كان الرسول محتاجا الى معاضدتهم قبل يوم أحد^(١)

وانى أميل الى رأى البعقوبى وأعتبره تصحيحاً هاما لحادثة تاريخية كبيرة
اذ لا يتصور أن الرسول يجرى انصاره على قتل أفراد من اليهود قبل يوم أحد
وليس هناك أى دليل على أن العداوة وجدت بين الانصار و بين بنى النضير الا
قبيل محاصرة الانصار لآطام بنى النضير حيث كان اليهود يوجسون خيفة من
أعمال الارهاب التى كان الانصار يقومون بها

ويرتاب المستشرقون فيما يقوله ابن هشام من أن سبب قتل كعب انما هو
قصيدة الرثاء التى رثى بها قتلى بدر الكبرى وارتباب المستشرقين فى هذا مترتب
على ارتبابهم فيما قاله ابن هشام عن وقت قتل كعب ويقولون انه أعوره المبرر
لاغتتيال كعب فى الوقت الذى ذكره فزعم أنه قصيدة الرثاء لقتلى بدر وانه
التشديد بنساء المسلمين^(٢)

ويحدثنا البخارى أن كعب بن الاشرف قد آذى الله ورسوله فأناه محمد بن
مسلمة فقال أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين قال أترهنونى نساءكم قالوا كيف
ترهنك نساءنا وأنت أجمل العرب قال فارهنونى أبناءكم قالوا كيف ترهنك ابناءنا
فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن ترهنك السلاح
قال سيفان يعنى السلاح فوعده أن يأتيه قتلوه ثم أتوا النبي فأخبروه^(٣)

ولصاحب الاغانى قصيدة ينسبها للربيع بن أبى الحقيق تلائم الحالة التى كان
عليها بنو النضير بعد قتل كعب ابن الاشرف

(١) Die Juden ٦٨ م

(٢) ابن هشام - ٢ م ٣٤٣

(٣) البخارى ج ٢ م ١١٥

ألا يا قَوْمِي لا أرى النجم طالماً ولا الشمس الا حاجبي يميني
 معذبتى خلف القفا بمودها فجل نكيري أن أقول ذريتي
 أمين على أسرارهن وقد أرى أكون على الاسرار غير أمين
 فلموت خير من حراج موطأ مع الطعن لا يأتي المحل حين^(١)
 أنذر النبي بنى النضير بأن يخرجوا من أطامهم وينزحوا من يثرب في مدة
 سرة أيام ولكنهم رفضوا الاذعان لهذا الانذار

وكان انذار الرسول لهم بذلك بمناسبة انتقام منهم على عدم اشتراكهم في
 واقعة أحد وكان الرسول كان يعتبرها كغزوة موجهة الى مدينة يثرب فكان على
 بنى النضير أن يخرجوا للقاء العدو كما تفضى شروط المعاهدة
 ثم يظهر ان بنى قريظة كانوا مرتبطين بعهد آخر غير عهد بنى النضير وأن
 الشروط كانت غير شروط عهد بنى النضير اذ لم يطالبهم الرسول بالاشتراك في
 واقعة أحد كما طالب بنى النضير ولم يثار منهم بحجة مخالفة الشروط كما ثار من
 بنى النضير

وليس معقولاً أن يفضب الرسول من بنى النضير لعدم خروجهم الى الوغى
 في واقعة أحد دون أن تكون هناك معاهدة تلزم الفريقين بتنفيذها
 ويعتقد العالم Leszynsky ان ماجاء في الحديث من ان يوم السبت يوم عبوس
 وغدر يرجع الى اعتذار بنى النضير المقوت وان جميع الأحاديث التي من هذا
 النوع ترجع الى حادثة تاريخية ومن هنا نفهم ان غضب الرسول من اعتذار بنى
 النضير قد ترك في نفسه أثراً سيئاً من نحو يوم السبت بوجه عام^(٢)
 ويقول الامتاذ النحار ان هذا القول ليس حديثاً وانما هو من كلام الناس

(١) الاعاني ج ٢١ ص ٦٢

(٢) Die Juden v. ...

على أن بعضاً يتشأم به كما أن بعض الناس يئمن به ويتشأم بغيره وليس ذلك من الحديث في شيء... اه

ويذكر مؤرخو العرب سبباً آخر لإعلان الحرب على بني النضير غير امتناع اليهود عن الاشتراك في يوم أحد واعتذارهم بيوم السبت فيقول ابن هشام : ان الرسول خرج الى بني النضير يستعينهم في دية ذينك الثقلين من بني عامر الذين قتلها عمرو بن أمية العمرى للجوار الذي كان رسول الله عقده لها فلما أتاهم رسول الله يستعينهم قالوا نعم يا أبا القاسم نعمينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — والرسول الى جنب جدار من بيوتهم قاعداً — فن رجل يملو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيرى منا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة فأتى رسول الله من السماء انخبر بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً الى المدينة فلما استلبث النبي أصحابه قاموا في طلبه حتى اتهموا اليه فأخبرهم انخبر بما كانت اليهود أرادت من القدر به فأمر النبي بالتهيؤ لحرمهم والسير اليهم . . . (١)

لكن المستشرقين ينكرون صحة هذه الرواية ويستدلون على كذبهم بعدم وجود ذكر لها في سورة الحشر التي نزلت بعد احلاء بني النضير

على اننا لو سلطنا بصحة هذه الرواية فاننا لانجدها كافية لاشتهار الحرب على جميع بطون بني النضير اذ نعلم من نص المعاهدة الكبيرة بين الرسول واليهود ان كل جرم من جهة فرد أو عدة أفراد يقع عقابه على فاعليه وأهل بيتهم دون أن يمس غيرهم بشيء من الأذى

والذي يظهر لكل ذى عينين أن بني النضير لم يكونوا ينوون القدر بالنبي

واغتياله على مثل هذه الصورة لانهم كانوا يخشون عاقبة فعلتهم هذه من أنصاره ولو أنهم كانوا ينون اغتياله غدرًا لما كانت هناك ضرورة لالقاء الصخرة عليه من فوق الحائط بل كان في استطاعتهم أن يفاخروه وهو يجادلهم اذ لم يكن معه غير قليل من أصحابه

وقد أراد بنو النضير أن يدعوا لحكم الرسول ويجلوا عن يثرب ولكن « رهطاً من بنى عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي وديعة بن مالك وسويد وداعي قد بعثوا الى بنى النضير أن البشوا وتمتعوا فانال نسلكم ان قتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم قربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا (١) »
وقد طلب بنو النضير من بنى قريظة أن ينجدهم فلم يفعلوا وصرح كعب ابن أسد زعيم بنى قريظة انه لا يريد أن ينقض حلفه مع الأنصار (٢)

ويشير القرآن الى غدر عبد الله وقومه يهود بنى النضير بقوله « ألم تر الى الذين ناقوا يقولون لآخواتهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وان قوتلم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون... (٣) »

وكانت أطام بنى النضير حصينة جداً وكان من المحال فتحها في مدة وجيزة ولا يقاتلونكم جميعاً الا في قرى محصنة أو من وراء جدر... (٤) لذلك أمر الرسول بقطع النخيل والتحريق فيها فتأدوه ان يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيب على من يصنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها... (٥)

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ٥٠

(٢) الواقدي ص ١٦٣

(٣) سورة الحشر آية ١١

(٤) سورة الحشر آية ١٤

(٥) ابن هشام جزء ٣ ص ٥٠ وحديث البخارى جزء ٢ ص ٢٥٢

ويظهر أن قطع النخل ونحره كان سبباً في تسرب اليأس الى قلوب اليهود اذ وجدوا أنفسهم بين أمرين اما الاذعان لحكم الرسول واما الخروج من المدينة لمهاجرة المسلمين ومنهم من حرق النخيل وكانت ثمارها من أهم مرافق الحياة فاختاروا الاذعان لحكم الرسول وكان ذلك رأى سلام بن مشكم « فسأل الرسول أن يجعلهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة فاحتسبوا من أموالهم ما استقلت به الابل فخرجوا الى خيبر ومنهم من سار الى الشام باذرعات فكان أشرفهم من سار منهم الى خيبر سلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع وحجي بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها (١)

وقيل أن ينزح بنو النضير من منازلهم هدموا البيوت عن نجاف بابهم فوضعوها على ظهر البعير وانطلقوا بها (٢) وكانت هذه الرواية المهمة سبباً في أن يقول بعض المستشرقين ان الاخشاب كانت غالية في الاقاليم الصحراوية فأخذها اليهود معهم ليبيعوها ولكننا لا نميل الى تفسير ذلك على هذا المنوال بل أقول ان هدم نجاف البيوت يتعلق بعقيدة تلمودية معروفة وهي أن كل يهودى يعلق على نجاف داره صحيفة تشتمل على وصية موسى لبنى اسرائيل أن يحتفظوا بالايمان بالله واحد ولا يبدلوه ولو عبدوا وقتلوا (٣) فاليهود حين ينزحون من منازلهم يأخذونها معهم وهي عادة متبعة عند اليهود الى يومنا هذا ويظهر أن يهود بلاد العرب كانوا يصنعون تلك الصحيفة (١١١١٥) في داخل النجاف خوفاً من اتلاف الهواء أو مس الأيدي فلما رحلوا عن ديارهم هدموا نجاف البيوت وأخذوها

ويقول القرآن بصدد اجلاء بنى النضير « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما انتهم

(١) جزء ٣ ص ٥١ ابن هشام

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٥٠

(٣) كتاب تثنية فصل ٦ آية ٥

حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون
بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الألباب^(١)
ويصف ابن هشام خروجهم من أطامهم بقوله « انه حدث أنهم انتقلوا
بالنساء والأبناء والأولاد معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم...^(٢)
ويقول الواقدي إن النساء تحلين بحلبين وتزين أحسن زينة حتى بدت
الواحدة منهن غاية في الجمال وكان يبدو عليهن السرور والابتهاج بدرجة أدهشت
المسلمين وأما مناهق المدينة فقد نكسوا رؤسهم بعد ذلك حتى قال عبد الله بن
أبي أنه قد أصبح يشعر بأنه صار رجلاً أجنبياً في وطنه غريباً عن بلاده بعد
اجلاء بني النضير^(٣)

وقد غنم الانصار بقية الامتعة التي لم يستطع بنو النضير حملها معهم وكان
منها ٥٠ درعاً و ٣٤٠ سيفاً^(٤)

وقد كانت هذه المغنم لرسول الله خاصة يصعها حيث يشاء قسماً على
المهاجرين الاولين دون الانصار الا أن سهل بن حنيف وأبا دجاجة ذكرا فأعطاهما
الرسول^(٥) ويذكر القرآن هذه المغنم « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم
وأموالهم ينتفون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم
الصادقون^(٦)

ولم يسلم من بني النضير الا رحلان يا مينا بن عمير وأبو سعد بن وهب أسلما
على أموالهما فأحرزاهما^(٧)

(١) سورة المخر آية ٢

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

(٣) الواقدي ص ١٦٥

(٤) الواقدي ص ١٦٤

(٥) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

(٦) سورة المخر آية ٨

(٧) ابن هشام جزء ٣ ص ٥١

وقد قيل بمناسبة اجلاء بني النضير شعر كثير بمضه مدح وبعضه ذم وأهم ما يلفت نظرنا من ذلك الشعر قصيدة قالها عباس بن مرداس يذكر جلاء بني النضير ويبيحهم

لو ان قطين الدار لم يتحملوا وجدت خلال الدار ملهى وملعبا
فانك عمرى هل رأيت ظمائنا سلكن على ركن الشطا فتيا با
اذا جاء باغى الخير قلن بشاشة له بوجه كاللذنانير مرحبا
فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم سلام ولا مولى حبي بن أخطبا
قال خوات لعباس بن مرداس أنت الذى رثيت اليهود وقد كان منهم فى
عداوة الله ما كان قال عباس انهم كانوا أجلائي فى الجاهلة وكانوا قوماً أنزل
بهم فيكروني ومثلي يشكر ما صنع اليه من الجليل ثم أشد

هجوت صنع الكاهنين وفيكم لهم نعم كانت من الدهر ترتبا
أولئك أخرى إن بكيت عليهم وقومك لو أدوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خير مغبة وأوفق فعلا للذى كان أصوبا
فصرت كن أمسى يقطع رأسه ليبلغ عزا كل فيه مركبا
فبك بنى هارون واذا كرم فاعلمهم وقتلهم للحوع إذ كان مسغبا
أخوات أذرن الدمع بالدمع وابكمهم وأعرض عن المكروه منهم ونكبا
فانك لو لاقيتهم فى ديارهم لالفت عماسد تقول منكبا
سراع الى العليا كرام لدى الوغى يقال لباغى الخير أهلا ومرحبا

الباب السابع

غزوة بني قريظة

تحمريض زعماء بني النضير لبني قريش وخطبان على محاربة المسلمين — اتخييار زعماء بني النضير الى بني قريش الوثنيين — هل تعتبر هذه المحاولة عملاً مخالفاً لاوامر التوراة ؟ — احتجاج القرآن على هذه المحاولة — يوم الاحراب — مطامع قريش وخطبان واليهود من وراء هذه الغزوة — تحمريض حبي بن أخطب لبني قريظة على تقص مهادنتهم مع الرسول — مخالفة سرية بين الرسول وبين خطبان — فشل يوم الاحزاب وأسبابه — حصار الرسول لبني قريظة — نزول بني قريظة على حكم الرسول — اشفاق الاوس على حلفائهم بني قريظة — تنفيذ حكم الاعداء في رجال بني قريظة — نتيجة غزوة بني قريظة — كثرة شر العرب في يوم الاحزاب وبني قريظة

لما نزل أشراف بني النضير في خير أخذوا يفكرون في الثأر من الانصار وجعلوا يفكرون في الوسائل التي توصلهم الى آطامهم وتردهم الى مزارعهم في منطقة يثرب فعزم نفر من اليهود فيهم سلام بن ابى الحقيق وحبي بن أخطب وكنانة بن الربيع أن يجزبوا الاحزاب على المسلمين « فخرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله وقالوا انا مسكون معكم حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الاول والعالم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأتم أولى بالحق فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعواهم اليه من حرب رسول الله فاجتمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك نفر من اليهود حتى جاءوا خطبان من قيس عيلان فدعواهم الى حرب رسول الله وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وأن قريشاً قد

تابعهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه . . . (١)

ومن ينظر الى حالة بنى النضير التمسعة التى صاروا عليها بسد اجلائهم عن بلادسكنوها منذ قرون وكأوا فيها أصحاب السلطان المطلق والثروة الطائلة والمزايا الواسعة لا يوجه اليهم أقل لوم على محاولتهم الرجوع الى أرضهم وبجنهم عن الانصار والحلفاء الذين يعينونهم على تحقيق أملهم والنار من خصومهم فان هذه سحابة من السحايا البشرية وطبيعة من الطبائع الانسانية بل وعمل مشروع مقبول لدى جميع الامم

لكن الذى يلامون عليه بحق والذى يؤلم كل مؤمن بالله واحد من اليهود والمسلمين على السواء انما هو تلك المحادثة التى جرت بين نفر من اليهود وبين بنى قريش الوثنيين حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود اديان قريش على دين صاحب الرسالة الاسلامية

نعم ان ضرورات الحروب اباحت للامم استعمال الخيل والا كاذيب والتوسل بالخدع والاضاليل للتغلب على العدو ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامى ولو أدى بهم الامر الى عدم اجابة مطلبهم لأن بنى اسرائيل الذين كانوا مدة قرون حاملى راية التوحيد فى العالم بين الامم الوثنية باسم الآباء الاقدمين ، والذين نكبوا بنكبات لانهى من تقتيل واضطهاد بسبب ايمانهم بالله واحد فى عصور سقى من الادوار التاريخية كان من واجبهم أن يصحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين

هذا فضلا عن أنهم بالتجاهم الى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الاصنام

والوقوف معهم موقف الخصومة

وقد أشار القرآن الى عمل النفر من اليهود وتحزيبهم مع قريش وغطفان على الاسلام بقوله « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجلبث والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا (١) »

ثم أقبلت جموع قريش في شوال سنة خمس ونزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحاييهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقي إلى جانب أحد وخرج رسول الله والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره الخندق بينه وبين القوم .. (٢)

وقد أخذ المسلمون آلات الحفر من مساح وكرازين ومكاتل من بني قريظة الذين بقوا على الولا ولم يقصوا عهدهم فحفروا بها الخندق حول المدينة (٣)

ويعتقد المستشرقون أن مؤرخي العرب قد بالغوا في اخبار يوم الخندق وأدخلوا فيها الاساطير التي تسد على الباحث سبيل استخلاص الصحيح من الحوادث . وكان للاحزاب في يوم الخندق قوة عظيمة لا تقل عن ١٠٠٠٠ مقاتل وكانوا مسلحين بانحر الاسلحة وكانت لديهم الخيول الكثيرة فان استعدادهم كان كاملا من الوجهة المادية ولكنه كان ناقصاً تقصاً كبيراً من الوجهة المعنوية اذ لم تكن لهم غاية مشتركة تجمع بين قلوبهم وتحملهم على الاخلاص في أعمال الحرب

فقد كان السبب في اشتراك غطفان في هذه الحرب أن اليهود وعدوهم بأن يعطوهم ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع وحدائق خيبر (٤) اذا تم لهم النصر وكانت

(١) سورة النساء ٥١

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

(٣) الواقدي ص ١٩٣

(٤) الواقدي ١٩١

قريش تريد من مواصلة القتال أن تثار لقتلى بدر وأحد
وهناك سبب آخر لم يذكره المؤرخون من العرب والافرنج وهو أن قريشاً
رأت أن وجود قوة معادية لاهل مكة في شمال الحجاز ضار بهم ومؤد الى كساد
تجارة مكة فكأنهم قد اضطروا الى الحرب اضطرارا لئتمكنوا من أن يفتحوا
لتجارهم طريق القوافل الى الشام
وقد دخل أبو سفيان ونفر من زعماء قريش بين استار الكعبة حتى التصقت
أكبادهم بها وأقسموا ليواصلن القتال حتى لا يبقى فيهم رمق من الحياة (١)
وأما اليهود فقد كان رائدهم غير الذي كان لحلفائهم من بنى قريش وغطفان
كما ذكرنا قبلا

وقد كان هناك عامل آخر أضعف من قوة هذا الجيش العظيم ونقص من هيئته
ذلك انه لم يكن موحد القيادة فلم يكن الأمر كله في يد أبي سفيان قائم قريش
لذلك سرعان ما ظهر الخلاف في الرأي والعمل بين قواد الجيوش
وبعد أن مضت بضعة أيام غير كثيرة تبادل فيها الفريقان المناوشات
والمبارزات اتضح لزعماء الاحزاب أن الحرب قد لا تنتهي الا اذا انضم بنو
قريظة اليهم فقد كان بقاءهم على الولاء للمسلمين من جهة وعدم امكان جيوش
الاحزاب أن تتعرض لهم من جهة أخرى مما يزيد في قوة المحصورين الذين
كانوا يأخذون منهم المؤن والسلاح وآلات الحفر وكانت آطامهم بين جيوش
المسلمين والاحزاب بمثابة السور الذي لا يتحرق

لذلك أخذ حبي بن أخطب صاحب مشروع يوم الخندق يؤثر في أبناء جلدته
من بنى قريظة ويحرضهم على نقض المعاهدة التي كانت بين كعب بن أسد
والرسول ويقول له « قد جئتكم بزم الدهر وبيحر طام جئتكم بقريش وسادتها

(١) الواقدى ص ١٩٠

حتى أنزلتهم بمجتمع الاسيال فلم يفلح في أول الامر لان الزعيم القرظي أبي أن ينقض صحيفته مع الأنصار وقال يا حيي بن أخطب جئني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماؤه فهو يرعد ويعرق ليس فيه شيء ويحك فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل له في الدرورة والغارب حتى صحح بما طلب وأعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين الرسول . . . (١)

وقد أربب هذا العمل المسلمين لانهم علموا ما يحتمل أن ينجم من انضمام بني قريظة الى الاعداء واقتراب جيوش الاحزاب الى يثرب وقد عظم البلاء واشتد الخوف حتى ظن المؤمنون كل ظن وبجيم النفاق بين بعض المناقبين حتى قال أحدهم كان محمد يمدنا ككنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط . . . ولما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله بعض رجاله الى قائدي غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه فخرى بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب . . . (٢)

وقد كان هذا الاتفاق بمثابة الهزيمة التامة لجيوش الاحزاب إذ أخذ القواد بعده يتناولون الدسائس وأخذت كل فئة تضر الشر للآخرى ثم فسد الامر بين الاحزاب وبين بني قريظة حيث ضمع بنو قريظة أن تغيرا أخذ يطرأ على الحالة فطلبوا من حلفائهم رهائن من الناس وأحد بنو قريش وغطفان يلوون بني قريظة ويقولون لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والحافر فأعدوا للقتال حتى تناجز محمدا فأرسلوا اليهم أن اليوم يوم سبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين. تقاتل معكم محمدا فاننا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن تنتشروا الى بلادكم

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ٧٤

وتركونا والرجل في يلدنا ولا طاقة لنا بذلك فارسلوا لنا الرهائن حتى نطمئن وأما بنو قريش وغطفان قاتلوا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فاذا كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فإني عليهم بنو قريظة

وبعث الله عليهم الريح في ليالٍ ستانية شديدة البرد فجعلت تكفأ قديورهم وتطرح آيتهم ثم تهبأت قريش وغطفان للرحيل فانشمرت راجعة الى بلادها . . . (١)

وقد وافق المستشرقون على معظم أخبار الخندق التي سردناها الى هنا وأما الذي لا يوافقون عليه فهو ما جاء في المراجع العربية من أنه بعد أن كتبت المعاهدة بين المسلمين وبين قائدى غطفان تناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا عينا . . . (٢)

لان ذلك قد يناقض الواقع اذ دب روح الشقاق بين الاحزاب بعد اثبات هذه الصحيفة بين الرسول وبين غطفان لا قبلها

على أن غطفان لم تشترك في القتال الا طمعا في ثمار خير وقد علم الرسول ذلك حتى العلم فوعد غطفان ما وعد وفصلت غطفان ما وعد بها به الرسول على ما اتفقت مع اليهود عليه وإن كان أقل اذ كان نلث ثمار المدينة لانها رأت أنها ستفوز بهذه المنحة دون أن تسفك قطرة واحدة من دماءها

وبلاحظ العالم Leszynsky أن رواية تناول سعد بن معاذ للصحيفة وتمزيقه اياها تشبه ما يقال عن الرومان أثناء حصار جيوش الغلواة لمدينة روما اذ حدث أنه بعد أن تعهد المحصورون بان يدفعوا غرامة مالية للجيوش المتوحشة تقدم بطل من أبطال روما فتناول المعاهدة ومزقها قائلا : ان روما لا تشتري استعلاها بالدرهم وأنى سأغسل عن وطنى هذا العار ولكن روما دفعت الفراهه وعادت جيوش

(١) ابن هشام - ٣ ص ٨٤

(٢) ابن هشام - ٣ ص ٧٧

الغزاة الى وطنها . . . (١)

وهناك سؤال يتردد في نفس الباحث وهو لماذا لم يطلب بنو قريظة من قريش وغطفان رهن الرجال قبل تلك الصحيفة لكن يظهر أن قريشا لم تدرك أن الشر إنما جاء من ناحية غطفان لان الصحيفة كانت من قبيل المعاهدات السرية التي تعقد بين الدول في الوقت الحاضر (٢)

ومهما يكن من شيء فقد تخلص المسلمون من خطر جسيم كان يهدد كيانهم هضتهم وينذر بسقوط يثرب

وقد نتج من انضمام بنى قريظة الى جيوش الاحزاب وتقصمهم المعاهدة التي كانت بينهم وبين النبي أن الرسول لم يمهل عليهم بعد تخلصه من جيوش الاحزاب بل بدأ يحاصرهم في نفس اليوم الذي أخذت فيه قريش وغطفان تتجلى عن المدينة حتى أنه أمر من كان معه سامعا مطيعا ألا يصلوا العصر الا ببني قريظة

ولم يقدر حبي بن أخطب الذي كان سببا في تقص المعاهدة بين بنى قريظة وبين المسلمين بما كان قد عاهد عليه كعب بن أسد بل وفي بعده وانضم الى أبناء جلدته ودخل معهم الحصن حيث استمروا محصورين خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار

ولسنا نعلم اذا كان قد حدث ماوشات بين الفريقين أثناء هذه المدة أم لم تحدث

لكن يظهر أن بنى قريظة كانوا يميلون الى الهدوء والسلم لاهم كانوا رجال فلاحة وزراعة فلم يكونوا في القوة والبطس والحماس الحربي بالدرجة التي كان عليها بنو قينقاع وبنو النضير ومما يؤيد ذلك أن بنى النضير كانوا يدفعون الدية كاملة

(١) ابن هشام - ٣ ص ٧٤

(٢) ابن هشام - ٣ ص ٨٣

بمخلاف بنى قريظة الذين كانوا يدفعون نصفها فقط (١)

من أجل ذلك كانت العرب ينظرون الى بنى قريظة بعين غير التي كانوا ينظرون بها الى غيرهم من البطون اليهودية الاخرى وليس معنى هذا أن بنى قريظة لم تكن لديهم أية كفاءة حربية بل معناه انهم كانوا أقل من البطون الاخرى في ذلك ومع هذا أبوا بلاء حسنا في يوم بعثت وأبدوا من الشجاعة وقوة العزيمة ما يستحق الاحترام وأيضا فانهم قد منعوا حصنهم خمسا وعشرين ليلة ولم ينزلوا الا حين أيقنوا بالهلاك

على أن الواقدي يصرح بأنه حدث قتال بين اليهود وبين المسلمين أثناء الحصار حيث كان الفريقان يتراميان بالنبل والحجارة (٢) كما يذكر ابن هشام أن بعض الانصار من الخزرج وبني حارثة قتلوا في هذه المقاتلة الضعيفة (٣) ولم يجرؤ بنو قريظة أن يخرجوا من الآطام مرة واحدة طول مدة الحصار لان عدد المسلمين كان يربو على الآلاف بينما كان عدد اليهود لا يتجاوز سبعمائة الا قليلا ولما أيقنوا أن مقاومة جيش الانصار لا تفيدهم فتيلا وأنهم سوف يقعون في قبضتهم معها طال الزمن بعثوا الى الرسول أن ابعث النبيأ أبا لباية لنستشيره في أمرنا فأرسله الرسول اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش اليه النساء والصبيان ليكون في وجهه فرق لهم وقالوا له يا أبا لباية أترى أن تنزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقة انه الذبح وقال أبو لباية فوالله ما زالت قدمي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت رسول الله ثم انطلق أبو لباية على وجهه ولم يأت رسول الله حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا . . . واقام أبو لباية مرتبطا بالجذع ست ليال تأتبه

(١) الواقدي ص ٢١٢

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٠٤

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٠٤

امراته في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يمود فيرتبط ببلجذع الى أن أطلقه
النبي (١)

ويظهر مما جاء في كتاب الواقدي أن بني قريظة قبلت أن تنزل على حكم
الرسول لأنهم اعتقدوا حق الاعتقاد أن الأنصار يعاملونهم كما عاملوا بني قينقاع
والنضير (٢) وربما كان هذا هو سبب خيانة أبي لباية إذ أشار الى العنق تلميحاً
الى الحكم الذي سينفذ في بني قريظة بعد خضوعهم

وكان بنو الأوس يعتقدون كما اعتقد بنو قريظة في نتيجة حكم الرسول قاتهم
« لما أصبحوا نزل اليهود على حكم رسول الله فتوائدت الأوس فقالوا يا رسول الله
انهم كانوا موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالى اخواننا بالأوس ما قد علمت
فقال الرسول ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم قالوا بلى قال
فذاك الى سعد بن معاذ ثم حكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال
وتسبي الذراري والنساء . . . (٣)

ولا شك أن اليهود لم يكتفوا ينظرون الى هذه الخيانة من حلفائهم بني
الأوس ولا الى غدس سعد بن معاذ بهم ولم ينجمهم كما نجى عبد الله ابن أبي حلفائه
من بني قينقاع . . . (٤)

وكان بنو قريظة طول الليل قبل اعدامهم يقرأون في كتاب الزبور
ويتناقشون في شؤون الدين الاسرائيلي حيث اتفقوا على أن ينصروه الى آخر
رمق من الحياة (٥)

أما تنفيذ حكم الاعدام في رجال بني قريظة فقد نعلم أن الرسول خرج الى
سوق المدينة فخذق بها خنادق ثم بعث اليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ٨٦

(٢) الواقدي ٢١٣

(٣) ابن هشام ٣ ص ٩٢ — حديث البخاري ج ٢ ص ٢٥٩

(٤) ابن هشام ٣ ص ٨١

(٥) الواقدي ص ٢١٦

يخرج بهم إليهم إرسالاً وفيهم يحيى بن أخطب وكعب بن أسد رأس القوم وهم ستمائة والمكثر لهم يقول تسعمائة ولما أتى يحيى بن أخطب وعليه حلة قحاحية (ضرب من الوشي) قد شقها من كل ناحية قدر أمثلة لثلاث يسليها أحد فلما نظر إلى رسول الله قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر ولمحة كتبها الله على بي إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه . . . (١)

وقد اقترح كعب بن أسد زعيم بني قريظة على أبناء جلدته قبل خروجه من أطامهم أن يمتنعوا الإسلام « فإمناوا على دماهم وأموالهم وأبنائهم ونسائهم قالوا لا نفارق حكم النوراة أبداً ولا نستبدل به غيره (٢)

هذه الجمل تدل على رسوخ الديانة في نفوس بني قريظة وانهم ما كانوا ليعبأوا بالموت في سبيل التمسك بدينهم والمحافظة على عقائدهم

وقد قلنا إن بني قريظة أظهروا العجز في الشؤون الحربية بالنسبة للبطون الأخرى ويتضح ذلك من حديث لابن هشام إذ قال كعب بن أسد لقومه إذا أيتيم على هذه (الدخول في الإسلام) فملم فلقننا أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف لم تترك وراءنا نقلاً حتى يحكم الله بيننا وبينهم فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا نقلاً نخشى عليه وإن نظر فلعمري لنحدث النساء والأبناء قتل هؤلاء المساكين فما خير العيس بدمهم قال فإن أيتيم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فآثروا لعلنا نصيب منهم غرة قالوا نفسنا علينا ونحدث فيه ما لم يكن ممن كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسح قل ما بات رجل منكم منذ ولدته أمة ليلة واحدة من الدهر حارماً . . . (٣)

(١) ابن هشام - ٣ ص ٩٤

(٢) ابن هشام - ٣ ص ٨٨

(٣) ابن هشام - ٣ ص ٨٨

وقد اشترك الأوس في قتل حلفائهم فإنه لما شرعت « الخزرج تضرب أعناقهم ويسرم ذلك فنظر رسول الله إلى الأوس فلم يرد ذلك فيهم فظن أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وبين بني قريظة وقال ليضرب فلان وليذف فلان . . . (١)

وقد أظهر بعض اليهود في نكبتهم هذه من الشجاعة ما يستوقف النظر فمن ذلك ما حدث للزبير مع أحد الانصار ، ذلك « أن الزبير كان قد من على ثابت ابن قيس في يوم بعث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه ثابت وهو شيخ كبير فقال يا عبد الرحمن هل تعرفني قل وهل يجهل مثلي مثلك قال انى قد أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزى الكريم ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله فقال يا رسول الله انه قد كانت للزبير على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لى دمه فقال رسول الله هو لك فأتاه فقال ان رسول الله قد وهب لى دمك فهو لك قال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال فأتى ثابت رسول الله فقال بأبى أنت وأبى يا رسول الله هب لى امرأته وولده قال هم لك قال فأتاه فقال قد وهب لى رسول الله أهلك وولدك فهم لك قال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله فقال يا رسول الله ماله قال هو لك فأتاه ثابت فقال قد أعطاني رسول الله مالك فهو لك قال أى ثابت ما فعل الذى كان وجهه مرآة صينية يترأى فيها عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الخاضر والبادى حبي بن أخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا ترددنا وحاميتنا اذا فررنا عرال بن مموه قال قتل قال فما فعل المجلسان يعنى بنى كعب بن قريظة وبى عمرو بن قريظة قال ذهبوا وقتلوا قال فأتى أسالك يا ثابت بيدى عندك الا ألقتى بالقوم فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر

فقد قتلوا دلو ناضح حتى ألقى الأجرة قدمه ثابت فضرب عنقه . . . (١)
وكان المسلمون لا يقتلون في غزواتهم النساء والذراري وكل من لا يثبت من
الرجال (٢) لكن في هذه الغزوة قتلت امرأة واحدة وقد انطلقوا بها للقتل وعلى
نفرها علامة الجبور والابتهاج حتى قالت عائشة زوج الرسول: فوالله ما أنسى
عجباً منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل (٣)

وقد نجى في ذلك اليوم أربعة من اليهود لم يقتلوا لأنهم اعتنقوا الاسلام
فأقاموا على نسائهم وذراريهم وأملأهم وقد بقى ثلاثة منهم في المدينة أما رابعهم
فقد خرج على وجهه من يثرب ليلة اسلامه ولم يدر أحد الى أين ذهب (٤)

ولم يكن الثلاثة الذين أسلموا من بنى قريظة أو من بنى النضير بل كانوا من
بنى هديل وهم بطن من البطون العربية التي تهودت ولم يكن عدد افرادها المتهودين
كبيراً في يثرب

ومهما يكن من شيء فقد قضت هذه الغزوة القضاء التام على بطون اليهود
في يثرب وقد كان القضاء على اليهود هو رائد بطون الأوس وانلزوج مند الساعة
الأولى لمجاورتهم لهم في يثرب وقد بدلت في هذا السبيل جهوداً عظيمة في قنرات
مختلفة ولم توفق حتى جاءت الحوادث بعد الهجرة فحققت آمالهم واطمأنهم السياسية
في وقت كانت خامدة فيه تلك الآمال

وقد طرأ تغيير عظيم على يثرب بعد خروج اليهود منها اذ تدهورت شئونها
التجارية والصناعية تدهوراً شديداً ولو لم يكن بهذه المدينة صريح الرسول ولو لم
تكن عاصمة الدولة الاسلامية في عصر الخلفاء الراشدين لما كان ليثرب شأن

(١) ابن هشام ج ٣ ص ٩٥ — الواقدي ص ٢٩٩

(٢) حديث البخاري ج ٢ ص ٢٥١

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ٩٤

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ٩٠

يذكر بعد تلك الحوادث في الجزيرة العربية
وقد اضمحل شأن هذه المدينة بعد عصر الخلفاء الراشدين ولم تعد اليها
مكاتها القديمة من الوجهة التجارية والصناعية

هذا ما يميل اليه المستشرقون وقد يكون من الصعب تنفيذ هذا الرأي
وتجربته من الصحة على أن هناك نقطة جوهرية يجب أن نتنبه لها ونحن نبحث
أسباب الضعف الذي طرأ على يثرب بعد أن محيت منها سلطنة اليهود

قد يظهر لكل باحث في تاريخ المسلمين بعد الخندق وغزوة بني قريظة
ظاهرة جديدة في منطقة يثرب أولاً وفي الحجاز كله بعد زمن قصير : هي أن
مرافق الحياة من زراعة وتجارة وصناعة أهملت اهمالاً شديماً وأخذ أفراد البطون
وزعمائها يتجهون نحو الشؤون الحربية التي شغلت العرب بما جلبت لهم من المنافع
وبما مكنت لهم فيما يملك اعداء الاسلام في الجزيرة العربية

وبعد غزوة تبوك أخذت الجيوش الاسلامية تغمر سورية والعراق ومصر
وأفريقيا الشمالية فلم تنق للاعمال القديمة المعروفة في الجاهلية قيمة كبيرة في كسب
الرزق واحراز المال والسلاح اذ كانت ثمار الأرض من بر أو تمر قليلة جداً
بالنسبة لما تغله الفئوح من مختلف الثمرات

وكذلك أهمل العرب أعمالهم الزراعية وتركوها بأيدي العبيد الذين جلبوهم
من الامم المغلوبة

ولم تكن هذه الظاهرة قاصرة على العصر العربي وحده بل نجدتها شاملة
لكل الامم في طور الانتقال من الفقر والبداوة الى الملك والاستثمار فقد نعلم أن
الامة اليونانية أخذت بعد خروج الاسكندر الاكبر لفتح ممالك الشرق تنحط
في الزراعة والتجارة وتهمل ما في بلادها من مصادر الثروة طمعاً في جلب ما في
الممالك الشرقية من المنافع الكثيرة والى مثل هذه الظاهرة يشير من كتب في

تاريخ روما بعد قهرها لاسم العالم القديم
أما الإهمال الذي وقع في منطقة يثرب فقد ظهر أثره بعد زمن قصير في مكة
اذ تدهورت شؤونها التجارية ولم نعد نسمع في التاريخ الإسلامي شيئاً عن قوافل
مكة الى يثرب والشام واليمن لان عشائر قريش وزعماءها وجدوا أرواقهم فيما
انبسط لهم في الممالك الإسلامية ولولا الكعبة بمكة لظلت كسائر مدن الجزيرة التي
لم ترتق ولم تعظم بظهور الاسلام بل أصبحت خالية من أهلها العرب الذين طوحت
بهم مطامع الفتح

على أن الدكتور طه حسين يرى أن انحطاط يثرب والحجاز عامة من الوجهة
المادية لم يكن ناشئاً عن اضعاف اليهود واجلائهم وانما كان نتيجة لازمة لانتقال
النشاط العربي الى جهة أخرى خارج البلاد العربية وهو يرى أن اليهود لو أنهم
ظلوا مسالمين للنبي والمسلمين حتى تمت الفتح لبغضوا بنشاطهم الطبيعي على هذه
الارض الحجازية التي لم يستعمروها الا مضطرين ولانتمسوا لانفسهم مستعمرات
أخرى أخصب وأحلب للنفع في العراق والشام أو مصر أو غيرها من البلاد التي
فتحت على المسلمين

أما النتيجة المادية لمحو السلطة اليهودية في يثرب فواضحة فقد قسم الرسول
المغانم من الذهب والعصاة ومن المنارل والمزارع على المهاجرين ووضع تحت يد
أنصاره زعامة الآطام التي أخذت من اليهود وما بقي من الأموال بعد هدايا
المهاجرين والا نصارحفظ في بيت المال للدولة العتية التي ظهرت بمظهر القوة بعد
غزوة بني قريظة وكانت في حاجة تسديدة الى الأموال التي تساعد على تنفيذ
المشروعات المهمة في الحجار وأطراف الشام

أما تأخير هذا العور المبين في القنائل العربية الوثنية من قريش وغيرها
فستبينه فيما بعد .

وأما المناقور فقد حمت صوتهم بعد يوم فريظه ولم نعد نسمع لهم أعمالاً أو

أقوالاً تناقض ارادة النبي وأصحابه كما كان يفهم ذلك من قبل
أما النساء والدرارى فقد بحث بهم الرسول الى نجد فابتاع بهم حيولاً وسلاحاً
وقد اصطفى لنفسه من نساء قريظة ربحانة بنت زيد فكانت عنده حتى توفيت
في حياته ويقول صاحب كتاب الطقات إن الرسول ضرب عليها الحجاب وكان
معجباً بها وكانت لا تسأله الا أعطائها ولقد قيل لها لو كنت سألت رسول الله
بنى قريظة لأعتهم . . . وكانت امرأة جميلة وسيمة . . . فغارت عليه غيرة
شديدة فطلقها تطلقاً وهي في موضعها لم تبرح فشق عليها وأكثرت البكاء
فدخل عليها رسول الله وهي على تلك الحال فاجمها فكانت عنده حتى ماتت
عنده . . . (١)

وفي سورة الأحزاب آيات تتعلق بغزوة بنى قريظة «ورد الله الذين كفروا
بغيرتهم لم ينالوا حيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً . وأنزل الذين
ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون
وتأسرون فريقاً وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على
كل شيء قديراً» (٢)

وكذلك قال العرب شعراً كثيراً في غزوة قريظة وغزوة الخندق وهو شعر
لم يوجد له نظير في الغزوات الأخرى عند ابن هشام وهو يدل على ما كان لتلك
الغزوة من وقع شديد في النفوس

ومما قاله جبل بن جوال الثعلبي ييكي بنى قريظة :

ألا يا سعد سعد بنى معاذ لما لقيت قريظة والمضير
لمعرك ان سعد بنى معاذ غداة تحملوا هو الصبور
فأما الخرجي أبو حباب فقال لقينقاع لا تسيروا

(١) طقات ابن سعد جزء ٨ ص ٩٣

(٢) سورة الأحزاب آية ٢٥ - ٢٧

وبدلت الموالى من حضير
وأقفرت البويرة من سلام .
وقد كانوا ببلدتهم تقالا
فان يهلك أبو حكم سلام
وكل الكاهنين وكان فيهم
وجدنا المجد قد نبتوا عليه
أقيسوا ياسرارة الأوس منها
تركتم قدركم لا شيء فيها
أسيد والدوائر قد تدور
وسمية بن أخطب فهي بور
كما تقلت بجيطان الصخور
فلا رث السلاح ولا دنور
مع اللين الخضارمة الصقور
بمجد لا تغيبه البسور
كأنكم من الخزاة عور
وقدر القوم حامية تفور

الباب الثامن

غزوة خيبر

الاسباب التي حلت الرسول على محاربة أهل خيبر — أهمية معاودة الرسول مع قريش قبل هذه الغزوة من الوجهة السياسية والحربية — مراقبة قبائل الحجاز لغزو خيبر — غدر بني غطفان بمخلفاتهم أهل خيبر — النضال حول أطام خيبر — سلام بن مشكم وبقية زعماء خيبر — المناطق الحربية في بلاد خيبر — حصون خيبر المنيعة — المخاح اليهود في طلب الصلح — لماذا لم يجبل الرسول أهل خيبر ؟ — رأى ابن هشام — آراء المستشرقين — منام خيبر — صحف التوراة والرسول — زواج النبي بصفية بنت حيي بن أخطب — محاولة زينب ابنة الحارث الانتقام من الرسول — لماذا تزوج الرسول بصفية بنت حيي ؟ — خضوع يهود وادي القرى ومدك ونهاء الرسول — نتيجة غزوة خيبر

ارتعدت فرائص يهود خيبر لما وصل اليهم ما حل باخوانهم في يثرب من التنكيل والتقتيل وأوجسوا خيفة من تقمة المسلمين عليهم من جراء نحر يضمهم لبني قريش وغطفان مع حيي بن أخطب على محاربة الانصار

وقد صرح سلام بن مشكم لزعماء خيبر بان خطرا يهدد كيان اليهود في الحجاز وأبان لهم أن الواجب عليهم أن يبادروا الى تأليف كتلة منهم ومن يهود وادي القرى وتبءاء ثم يزحفوا على يثرب دون أن يعتمدوا على البطون العربية في هذه الغزوة ولكن بعض الزعماء عارضه في هذا الرأي^(١) وكانوا في هذه الاثناء يرسلون الوفود بالاموال الى المدينة لعداء عدد عظيم من النساء والفراري . . .^(٢)

(١) الواقدي ص ٢٢٤

(٢) الواقدي ص ٢٢٩

وقد علم الرسول بما يدور في خلد يهود خيبر فأخذ ينبأ لقتالهم ولكنه أجله الى أجل قصير لأسباب سياسية وأخذ الانصار يرسلون الوفود لقتل زعماء خيبر كقدمات للغزوة

وكان من تلك الضحايا زعيان كبيرا النفوذ والسيطرة في خيبر وهما سلام بن أبي الحقيق واليسير بن رزام

أما الاول فقد قتل غيلة على فراشه في خيبر بواسطة خمسة من رجال بني الخزرج قصدوا خيبر فاحتالوا على امرأة سلام وقلوا لها إنهم يلتمسون الميرة فنشحت لهم الأبواب فهجموا على سلام وطمنوه بسيرفهم وهو على فراشه لا يدري (١)

٣٣

ونلاحظ أن هذا القتل لم يكن بعد غزوة قريظة مباشرة بل جرى قبيل غزوة خيبر وكان أبو الحقيق من أصحاب العقول الراجحة فاراد المسلمون أن يتخلصوا منه قبل أن تدور المعارك بينهم وبين اليهود في ناحية خيبر

وأما الزعيم الثاني وهو اليسير بن رزام فقد كان يجتمع بيني غطفان ليعقد معهم العقود والاتفاقات ليكونوا مع اليهود في حالة دخول أهل خيبر في حرب مع المسلمين « فبعث اليه الرسول عبد الله بن رواحة في نفر من أصحابه فقدموا الى اليسير بن رزام بمخبر وكلوه وقالوا له انك إن قدمت على الرسول استعملك وألزمك فلم يرالوا به حتى اذا كان بالقرقرة من حبير على ستة أميال ندم اليسير على مسيره ففطن له عبد الله بن أنس فاتحتم به ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضره اليسير بمخراش في يده من شوحط فأثمه ووال كل رجل من الانصار على صاحبه من اليهود قتلته الا رجلا واحدا أقلت على رجله . . (٢)

وقد يدل هذا على صحة ما رواه الواقدي من أن بعض زعماء خيبر لم يوافقوا

(١) ابن هشام جزء ٣ ص ١٢٢

(٢) ابن هشام جزء ٣ ص ١٤٠ — تاريخ الخميس جزء ٢ ص ١٦

على رأى سلام بن مشكم من محاربة المسلمين وأن اليسير بن رزام قد خرج فعلا مع عبد الله بن رواحة يقصد المدينة ليدخل في حلف مع الرسول ليحمو من قلوب الانصار الاستيلاء من اشتراك بعض زعماء خيبر والنصير في يوم الخندق وأما عبد الله بن رواحة فإنه لم يأت الى خيبر لمقعد معاهدات بل لتنفيذ خطة سياسية خطيرة كان من شأنها اضعاف اليهود بقتل بعض زعمائهم

وقد اعترف مؤرخو العرب قتل اليسير بن رزام من الاعمال السياسية الجليلية وقد وضعوا له بابا خاصا كأنه غزوة من الغزوات

أما ابن هشام فقد وضعها في أخبار الانصار قبيل غزوة خيبر ولكي يتمكن الرسول من محاربة أهل خيبر دون أن يكون عرضة لخطر من جهة أخرى فقد توجه الى مكة في ذى القعدة من السنة السادسة وتصلح مع قريش

وقد جاء ابن هشام بنص المعاهدة : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليه ومن جاء قريشا بمن مع محمد لم يرد عليه وأن بيننا عيبة مكفوفة وأنه لا سلاسل ولا أغلال وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . . . (١)

أما بعد عقد الرسول هذه الهدنة فقد أصبح آمناً شر قريش وصارت له الحرية في أن يسير حيث شاء فأمر جموع المسلمين أن يتحوزوا لغزو خيبر وخرج بهم في المحرم من السنة السابعة قاصداً خيبر وهي على ثلاثة أيام من المدينة

وأما الاسباب التي حملت قريشاً على عقد الهدنة فهي أن قريشاً كانت في حاجة شديدة الى هدنة مع الرسول لما ظهر في مكة من الصائقة الاقتصادية بعد يوم قريظة ولما كانت تخشى على قوافلها من غارات المسلمين ولما كانت تتوقعه

من انتقام الرسول بعد أن خار به وكادت له في بدر وأحد والخنديق
ولما سمع القرشيون بمسير النبي إلى مكة خرجوا معهم العوذ المطافيل وقد لبسوا
جلود النمر^(١) ونزلوا بندي طوى يعاهدون الله أن لا يدخلها المسلمون عنوة أما
الرسول فلم يأت للقتال ولكنه جاء لزيارة البيت الحرام
ولا شك في أنه قد ظهرت للنبي بعد يوم قريظة سياسة جديدة أزاء قريش
فقد أراد أن يأخذهم بالرفق ولكن أي رفق ؟ انه رفق القوي الذي يريد أن
يصل إلى غرضه بدون أن يحكم السيف وليس رفقته هنا كرقته بمكة يوم كانت
قليل الانصار

ويحدثنا ابن اسحق أن الرسول قال : لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة
يسألونني فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها^(٢)

فلما وثقت قريش أن الرسول يميل إلى مهادتها لم تتردد في القبول
أما نص عقد الهدنة فانا نعتقد أنه كان أطول مما وصل إلينا في كتاب
السيرة فقد جرت مفاوضات كثيرة قبل الهدنة ولم تكتف قريش بأقوال مبهمه
واتما طلبت شروطاً واضحة تضمن لمناحرها وقوافلها الأمان
والذي يرجع إلى آيات سورة الفتح التي يشرحها ابن إسحق يرى أن الاخبار
القليلة التي وصلت إليه عن يوم الحديبية يرجع الفضل فيها إلى الآيات أكثر من
الروايات التي لم يبق منها لهدمه الا القليل

أما أنصار الرسول فقد غضبوا وثاروا اذ اعتقدوا أن شروط الهدنة في صالح
قريش وكانوا يودون أن تدعن لحكم الرسول بلا شرط ولا قيد وفي هذه الهدنة

(١) قيل العوذ جمع طائد وهي الناقة التي معها ولدها يريد أنهم خرجوا بدوات الالان
من الابل ليتودوا ألبانها ولا يرجوا حق يتلحزوا محمداً وأصحابه و زعمهم . . . (الروض
الائق جزء ٣ ص ٢٦٦)

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٥٢

قال عمر بن الخطاب كُتِبَ المأثورة « علام نعطي الدنيا في ديننا » (١)
وبالرغم من ثورة المسلمين على شروط الهدنة فقد كان في قبولها من الرسول
دلالة كبيرة على بصره بالمواقب وعلمه بالسياسة الدقيقة ويؤيد ذلك ما قاله الزهري
فما فتح في الاسلام فتح قبل يوم الحديبية كان أعظم منه انما كان القتال حيث
التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس كلهم بعضهم
بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد في الاسلام يعقل شيئاً
الا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنين مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك أو
أكثر... (٢)

أما الآيات التي تتعلق بيوم الحديبية فهي تحتوي على سورة الفتح بأجمعها
« إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته
عليك ويهديك صراطاً مستقيماً . . إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله
فوق أيديهم فمن نكث فإنا ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتية
أجرأ عظيماً . . وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بيطن مكة من بعد
أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد
الحرام والهدى معكوا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموا
أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا
لهدبنا الذين كفروا منهم عداً أبلياً اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية
الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألهم كلمة التقوى وكانوا
أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم
تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً . . »

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٥٨

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٦٤

وتتلخص الأسباب التي حملت النبي على غزوة خيبر فيما يأتي :
 (١) تأثره من يهود خيبر لما فعلوه من تحريض قريش وخطافان على محاربة المسلمين .

(٢) كانت جموع اليهود في خيبر من أقوى الطوائف بأساً وأوفرها مالا وسلاحاً ولم يكن هناك أى أمل في أن يمتنعوا الدين الاسلامي بعد ما اثبتت التجارب السابقة مع يهود يثرب أن اليهود لن يدخلوا في الاسلام ، ولما كان الغرض الذي يرمى اليه الرسول انما هو جمع العرب على دين واحد وتأليف كلمة متحدة منهم فقد كان حتماً عليه في هذه الحال أن يقضى على يهود خيبر حتى لا يكونوا حجرة عثرة في سبيل تحقيق ذلك الغرض

(٣) لم يجد النبي قوة تقف في سبيل نشر دينه إلا قوتين اثنتين قوة قريش وقوة اليهود لذلك وضع نصب عينيه القضاء على هاتين القوتين ليخلو له الجو ويتمكن من نشر دعوته . أما بقية القبائل الحجازية فلم تكن من القوة والخطورة بمثل ما كانت قريش واليهود

ويظهر أن صاحب السيرة لم تصله أخبار كثيرة عن غزوة خيبر لذلك لجأ مؤرخو العرب—وقد كانت لهم سيرة ابن هشام الينبوع الذي يستقون منه جميعاً— الى الأخبار والروايات المصطربة فجاءت بمض رواياتهم مختلطة بكثير من العجائب والغرائب كما سنوضح ذلك فيما بعد

ومما لا شك فيه أن غزوة خيبر كانت ذات شأن عظيم في تاريخ الفتح الاسلامية اذ كانت كل قبائل الحجاز تراقب نتيجتها باهتمام وتنظم شؤونها على حسب ما كان يتراءى لها من نتيجة صليل السيوف بين الانصار واليهود وقد كان أعداء الرسول الكثيرون في بادية العرب وحاضرتها يعلقون آمالاً كبيرة على تلك الغزوة

وقد اتقسم أهل مكة قسمين : طائفة منهم ترجح أن النصر سيكون حليف

اليهود وطائفة ترى أنه سيكون من نصيب المسلمين وكثيراً ما تراهن بعض الأفراد من كلتا الطائفتين بسبب ذلك (١)

وقد كان الاهتمام بهذه الغزوة متديناً جداً في مكة أثناء القتال حول أطام خيبر حتى أن الحجاج بن علاط لما ذهب الى مكة بعد ان انتهى الحرب بفوز المسلمين خدع أهلها وقال لهم « عندى من الخبر ما يسركم: هزم محمد هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وأمر محمد أسراً وقال أهل خيبر لا تقتله حتى نبعث به الى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بن كان أصاب من رجالهم فابتهج أهل مكة لهذا الخبر ودخلوا الى الكعبة ليقدموا الضحايا الى اللات والعزى . . (٢)

وأما يهود خيبر فقد أرسلوا الى غطفان يستمدونهم لانهم كانوا من حلفائهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين قبلوا (٣)

ولكن بطون غطفان التي اشتهرت بغدورها يوم الخندق أخلت يهود خيبر أيضاً اذ بعد أن تهيأت غطفان للقتال وظهرت طلائع الجيش الاسلامى دب الخوف فى قلوبهم واستولى عليهم الفزع فرجعوا على أعقابهم وأقموا فى أهلهم وخلقوا بين الرسول وبين خيبر (٤)

ولكن يظهر أن غطفان لم ترجع على اعقابها من جراء الخوف من طلائع الجيش الاسلامى كما يقول ابن هشام لأن لدينا رواية أخرى تقول إن الرسول قد بعث الى بنى فزارة من بنى غطفان وكانوا قد قدموا لمحاربة المسلمين مع يهود خيبر يطلب منهم أن « لا يعينوهم وأن يخرجوا عنهم على أن يعطيهم من خيبر شيئاً ساء لهم فابوا عليه وقالوا حلفاؤنا وجيراننا فلما افتتح الله خيبر أتاه من كان هناك

(١) الواقدي ص ٢٨٩

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٨٦

(٣) تاريخ الخميس ص ٢ ص ٤٨

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ١٧١

من بني فزارة فقالوا الذى وعدتنا فقال لكم ذو الرقيبة لجبل من جبال خيبر^(١)
وقد جاءت هذه الرواية فى كتاب المغازى للواقدى حيث يقول : إن عينة
زعيم بني فزارة قد غضب ولم يقبل ذا الرقيبة لان أرضها لم تكن خصبة^(٢)
أما اليهود فاتهم بعد أن شاوروا زعيمهم سلام بن مشكم « أدخلوا أموالهم
وعيالهم فى حصن الوطيح والسلام وأدخلوا ذخائرهم فى حصن ناعم وجمع المقاتلة
وأهل الحرب فى حصن نطاة وسلام بن مشكم مع أنه كان مريضاً جاء ودخل نطاة
معهم وحرض الناس على الحرب »^(٣)

وكانت حصون خيبر منيعة على رؤوس الجبال وكان رجالها مدرين قد
مارسوا القتال والضال وكانوا أصحاب سلاح كثير واستعملوا آلات الهدم فى رد
عادية المفيرين عن أطاهم . . .^(٤)

وكان الرسول قد جاء بخيبر الانصار مسلحين بكل ما غنموه فى الغزوات
السابقة وكذلك انصم اليهم كثيرون من قبائل العرب البادية طمعاً فى أموال
اليهود

وكان من نتائج أول معركة بعد أن التقى الجمعان حول حصن نطاة أن وصل
عدد جرعى المسلمين الى ٥٠٠^(٥)

وعلى العموم فانه من المتعذر معرفة عدد القتلى فى هذه المعارك لان مؤرخى
العرب - كما قلنا - لم تصلهم أخبار كثيرة عن غزوة خيبر وفصلاً عن ذلك
فانه من المعروف أن المؤرخين فى التاريخ العام لا يذكرون عدد القتلى والجرعى
من جهاتهم بينما يبالغون فى عدد القتلى والجرعى من العدو

(١) تاريخ الخميس - ٣ ص ٦٠

(٢) الواقدى ص ٢٧٩

(٣) تاريخ الخميس - ٢ ص ٥٠

(٤) تاريخ الخميس - ٢ ص ٥٠

(٥) الواقدى ص ٢٨٦

وقد نكب اليهود في أول عهد الغزوة بنكبة شديدة بسبب وفاة زعيمهم سلام بن مشكم في حصن نطاة وكان المسلمون يحاصرونه أثناء ذلك (١)
وقد وجد في هذا الحصن أولاد بني قفة وكانوا أصحاب ثروة طائلة في خيبر حتى قالت عائشة زوج الرسول عن هذه الاسرة : ما شيع رسول الله من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بني قفة (٢)

وانتقلت القيادة بعد وفاة سلام بن مشكم الى الحارث أبي زينب الذي خرج بعد ذلك من حصن ناعم لمنازلة الجيش الاسلامي فانهزم أمام بني الخزرج الذين بادروا لقتاله واضطروه الى أن يرجع الى الحصن ثم تجمع جماعة من اليهود رايطي الجأش وهجموا على الانصار حتى وصلوا الى حامل الراية بالقرب من الرسول فبعث الرسول أبا بكر الصديق براية الى الحصن مقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث في الغد عمر بن الخطاب ورجع ولم يكن فتح وقد جهد فدعا الرسول عليا وهو أرمد ففعل في عينه ثم قال خذ هذه الراية فاض بها حتى يفتح الله عليك فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله مقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ فلقد كان في فرمانية اجتهدوا على أن يقلبوا الباب فلم يقلبوه (٣)

أما صاحب تاريخ الخميس فيسرد هذه الاخبار ويلاحظ أن الذين أرادوا خلع باب الحصن كانوا سبعين ولم يحرکوه الا بعد جهد . . . وقد حمله على بن أبي طالب على ظهره وجعله قنطرة دخل عليها المسلمون الحصن ثم ألقى ذلك الباب وراء ظهره ثمانين سبرا (٤)

(١) تاريخ الخميس - ٢ ص ٥٠

(٢) تاريخ الخميس - ٢ ص ٥٢

(٣) ابن هشام - ٣ ص ١٧٦

(٤) تاريخ الخميس - ٢ ص ٥٦

وفي أثناء هجوم الانصار على حصن ناعم قتل البطل الخيبرى مرحب بعد
مبارزة عنيفة مع محمد بن مسلمة (١)
وتذكرنا هذه المبارزة بحسب رواية صاحب الخيس بالروايات الخرافية
عند قدماء الافريق

والذى يمكننا أن نستنتج من هذه الروايات أن معارك عنيفة دارت حول
حصن ناعم دون أن يتغلب المسلمون على اليهود فأمر الرسول أنصاره أن يقطعوا
أربعمائة من نخيل اليهود ليدخل الرعب في نفوسهم (٢)

وقد نصح أبو بكر الصديق الرسول بأن يمتنع عن قطع باقى الاشجار ففعل (٣)
وسقط حصن ناعم بعد أن قتل قائده الحارث أبو زينب (٤)

وكان حصن ناعم من الحصون المنيعه فى منطقة نطاة التى كانت بها أطام
تعرف بهذا الاسم

وكانت بلاد خيبر منقسمة الى ثلاث مناطق حربية الاولى نطاة والثانية
الشق والثالثة الكتيبة

وبعد أن سقط حصن ناعم توجه المسلمون الى حصن الصعب بن معاذ
ورحفوا عليه ففرق اليهود شملهم فاضطر الرسول أن يزجر رجاله ويحمسهم فتقدموا
واقترحوا السور ولكنهم وجدوا بعده سورا آخر داخليا فأزروه بعد جهد شديد
وارتد اليهود الى حصن آخر هو حصن الزبير فى نفس منطقة نطاة (٥)

وكان مقاتلة المسلمين قبل فتح حصن الصعب بن معاذ فى حالة صنيك شديد
لقلة المؤن عندهم وكثرة الجيوش فتوجهت جماعة منها الى الرسول تشكو اليه

(١) ابن ميثم ج ٣ ص ١٧٥

(٢) تاريخ الخيس ج ٢ ص ٥١

(٣) الواقدي ص ٢٦٨

(٤) تاريخ الخيس ج ٢ ص ٥٥ — الواقدي ص ٢٧١

(٥) الواقدي ص ٢٧٤

وتطلب منه ما تسد به رمقها . فلم يجده الرسول شيئاً يعطيهم اياه فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم اياه (١)

وقد أذن الرسول للانصار في أكل لحوم الخيل (٢)

وحدث أثناء ذلك أن أحد المسلمين اغتم شاتين اغتمهما بعد أن دخلت أولاهما الحصن فحضنها تحت يديه وأقبل بهما الى الرسول فذبجوها وأكلوها وكان هذا الرجل اذا حدث هذا الحديث بكى (٣)

لكن بعد فتح حصن الصعب بن معاذ وجد المسلمون طعاماً وودكا كثيرا (٤) ويظهر لي أن معاذاً هذا لم يكن علماً لشخص كما تشعر بذلك تسمية الحصن به بل تعرف الصخرة العالية في اللغة العبرية باسم معاذ

وقد كان هذا الحصن على صخرة عالية كما ذكر ذلك صاحب تاريخ الخميس (٥) أما حصن الزبير فقد كان منيعاً جداً حتى ان المسلمين لم يستطيعوا فتحه على عظم ما بذلوا من جهود الا بعد أن جاءهم يهودى فقدر باخوانه فصيح لهم بقطع الماء عن المحصورين وكان هذا الماء يجرى الى القلعة من تحت الأرض فاضطر اليهود الى أن يخرجوا منه . وبعد مبارزة عنيفة انهزموا وفروا الى أناء جلدتهم في منطقة أطام الشق (٦)

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٣

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٢

(٣) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٧

(٤) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٤

(٥) على أن تسمية الصخرة عماد و العبرية لا يجمع من أن يكون أما لرحل مسمى عماد أيضاً لأن عماد في اللغة العبرية الملحأ وهو يطلق على المصدر والمان والمكان كما ن التاج ص ٥٧٠ ج ٢ وقد سمي العرب مهاد تشبيها للشخص بالملحأ الذى يلحأ اليه الخائف قال صاحب القاموس (وسوا طائداً وطائفة ومعاداً) ص ٣٦٩ ح ١

(٦) الواقدي ص ٢٧٦

ولما أصبحت أطام منطقة النطاة في أيدي الغزاة اتجهوا الى اقليم الشق
وشرعوا بمحاصرون قلعة أبي وهي على جبل شمرا
ولسنا نعرف مما جرى أثناء حصار هذا الحصن أكثر من انه حدثت
مبارزات بين أفراد من اليهود والمسلمين انتهت بفتح القلعة
ترك الرسول بعد ذلك بقية حصون منطقة الشق في أيدي اليهود لقلّة أهميتها
من الوجهة العسكرية وقصد أرض الكتيبة حيث احتشد اليهود في حصن القموص
الذي تجمعت فيه جموع المهزبين والفارين من الحصون الخيرية الأخرى
وكانت القموصى تحت قيادة بعض الأشراف من بني الحقيق وكان في هذا
الحصن نساء هذه الأسرة وقد كان لهذا الحصن اسم آخر وهو نزار ومعناه باللغة
العبرية التاج (٦٥)

وقد اختلف بعض مؤرخي العرب في أخبار حصى ناعم والقموص فابن
هشام والواقدي يقصان بعض الأخبار عن ناعم في حين يأتي صاحب تاريخ
المجيس بنفس هذه الأخبار على أنها حدثت أثناء الحصار حول القموص^(١)
على أننا لا نعلق أهمية كبيرة على أخبار كده لا تجدى المجادلة فيها فتيلا
لأنها روايات خيالية أكثر منها حوادث حقيقية

استمر الحصار حول حصن القموص عشرين يوماً حيث انتهى بتمكين
المسلمين من فتحه عنوة ووقع في قبضتهم سبايا من النساء والفرارى قسمها الرسول
بين أنصاره واصطفى لنفسه منها صبية ابنة حي بن أخطب
وبينا كانت الجيوش الاسلامية تحاصر الوطيح والسلام في اقليم الكتيبة
طلب اليهود الصلح وسألوا الرسول أن يحقن دماءهم فأجابهم الى طلبهم وحقن
دماءهم^(٢)

(١) تاريخ المجيس - ٢ ص ٥٥

(٢) ابن هشام ج ٣ ص ١٧٩

وهنا تتساءل لماذا عامل الرسول يهود خيبر بغير المعاملة التي عامل بها يهود
يثرِب؟

ويتلخص الجواب على هذا السؤال في أن خيبر كانت واسعة الاطراف وفيها
من الحدائق والمزارع والنخيل ما يحتاج للأيدي الكثيرة التي مارست أشغال
الزراعة والفلاحة ولم يكن من العرب من مارس ذلك الا التذر القليل وفوق ذلك
لم يرض الرسول أن يترك من أنصاره من يستوطن هذه الارض ويعمل بها
لاحتياجه اليهم في الاعمال الحربية ولم يكن في الامكان ترك هذه الارض الخصبه
بوراً لا تنتج زرعاً ولا ثمراً الا أن الدولة الاسلامية الناشئة كانت في أشد الحاجة
الى الاموال الكثيرة فلم يكن بد من الابقاء على اليهود ليعملوا في هذه الارض
وينتجوا منها الزرع والتمر ولذلك كانت شروط الصلح التي عقدت بين الطرفين
في مصلحة المسلمين أكثر منها في جانب المغلوبين

هذا الى أن يهود خيبر لم يفعلوا ما بوغض صدر الرسول ويثير حقه عليهم
كما فعل غيرهم وكل ما كان منهم لا يعدو اشتراك بعض رعاء بني النضير
اللاجئين الى يهود خيبر في تخريض قريش وغطفان على المسلمين في يوم الخندق
وما دامت شوكة اليهود في المحاز قد انكسرت فليس ما يخشى من وجود يهود
خيبر في أراضيهم بل كان في وجودهم مصلحة كبيرة حيث يستثمر مجهوداتهم في
الاعمال التجارية والزراعية للاكثار من واردات الحكومة الجديدة كما ذكرت آنفاً
ويرتاب بعض المستشرقين في قول الواقدي (إن المسلمين لم يتركوا ليهود
خيبر سوى ثوب واحد لكل منهم وسوى نسائهم وذراريهم)^(١)

ويؤيد المستشرقين في ارضائهم هذا أن الواقدي نفسه يقول في نفس
الصحيفة التي ذكر فيها ذلك إن اليهود قد جاءوا من منطقة السكيبه لتراء غنيمه
القموصر وفداء النساء والذراري من أيدي الظافرين فن ابن جاءوا بما يشترون

به الإنتقام ويقتلون النساء والذراري إذا لم يكن المسلمون تركوا لهم الا ثوباً واحداً
لكل واحد منهم

والواقع أن الرسول خمس بلاد خيبر وقسمها على الأنصار وعلى أصحابه
ونسائه بطريقة الأسمم وأقام اليهود على أراضيها على أن يعطوا نصف ثمارها
للمسلمين وكان رسول الله يبعث عبد الله بن رواحة فيقسم ثمرها ويعدل عليهم
في الخرص (١)

وهناك أمر يستوقف النظر وهو أنه كان من بين المعانم التي غنمها المسلمون
في غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة فلما جاء اليهود يطلبونها أمر النبي
بتسليمها لهم . . . (٢)

ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية
مما جعل اليهود يشيرون الى النبي بالبنان ويحفظون له هذه اليد حيث لم يتعرض
بسوء لصفحهم المقدسة ويندكرون بازاء ذلك ما فعله الرومان حين تغلبوا على
أوروسليم وفتحوها سنة ٧٠ ب . م اذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم
وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اضطهاد اليهود في الاندلس حيث
أحرقوا أيضاً صحف التوراة . هذا هو السون التاسع بين الفاتحين ممن ذكرناهم وبين
رسول الاسلام

وقد قلنا إن الرسول قد اصطفى لنفسه صفيه بت حبي بن أخطب بعد أن
قتل زوجها كنانة بن الربيع ويظهر أن بعض الانصار خافوا على النبي من هذا
الرواج اد « لما أعرس رسول الله بصفية بختيار أو ببعض الطريق وكانت التي
جلبتها لرسول الله ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم ابنة ماحان فبى بها
رسول الله في قمة له ويات أبو أيوب خالد متوتحاً سيفه يحرس رسول الله ويطوف

(١) ابن هشام - ٣ ص ١٩٠ - ١٩٧

(٢) تاريخ الخميس - ٢ ص ٦٠

بالقبة حتى أصبح رسول الله فلما رأى مكانه قال مالك يا أبا أيوب قال يا رسول الله خضت عليك من هذه المرأة وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر فحقتها عليك.... (١)

وقد كان المسلمون محقين في خوفهم على الرسول وقيامهم على حراسته لأن يهود خيبر كانت نفوسهم قد امتلأت بالحق على الانصار الذين فتحوا أمصارهم واقتسموا أموالهم وأخضعوهم لسلطانهم وهي غريزة بشرية لا يخلو منها أحد اذ ليس في الناس من يقبل على نفسه الضيم والمهوان فقد قتل يهود خيبر رجلا من المسلمين بعد أن رجعت جيوش الانصار الى المدينة (٢)

ويدل على مبلغ ما كان في نفوس اليهود من الاستياء ما أقدمت عليه امرأة يهودية من عمل بالغ غاية القسوة اذ ارادت أن تنتقم لقومها « فاهبت زينب ابنة الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية كانت مسمومة ووضعتها بين يدي الرسول فتناول الذراع فلاك منها فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله وأما بشر فاساغها وأما رسول الله لفظها ثم قال ان هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت لفتت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبياً فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله ومات بشر من أكلته التي أكل . . (٣)

ولقد أثار هذا العمل سخطاً شديداً في نفوس مؤرخي العرب على هذه الفتاة التي حاولت أن تقتل حياة الرسول بمثل هذه المكيدة

ولكن يجب ألا يغيب عن البال صعوبة اطمئنان فتاة الى الحياة بعد ان قتل أبوها وكان زعيماً شريفاً ومات زوجها وكان قائداً ذا مجد تليد وفتاة في

(١) ابن هشام - ٣ ص ١٨٢

(٢) ابن هشام - ٣ ص ١٩٥

(٣) ابن هشام - ٣ ص ١٨٩

مثل موقفها لإبد أن تسقط تحت سلطان الفضب وتصفي لوجي الانتقام لا سبيا وهي مالكة له قادرة عليه

والمؤرخ الذي يلتفت الى هذه الاعتبارات كلها يلتمس لهذه المرأة بعض العذر فيما أقدمت عليه من عمل منكر

أما صفية بنت حيي بن أخطب فقد أقامت على الولاء والوفاء لزوجها الجديد وبقيت معه قرينة مخلصه الى أن انتقل الى جوار ربه

وقد اتقى النبي بعمله هذا أثر الفأحين العظاء حيث كانوا يتزوجون من بنات عطاء المالك التي كانوا يفتحونها ليخففوا من مصائبهم ويحفظوا من كراهتهم^(١) ولقد كان بعض نساء الرسول ياملن صفية بكبرياء وعظمة فكان ذلك يؤلمها ويكبتها فقال لها النبي : قولى لمن إنك ابنة هارون وكان عمك موسى رسول الله^(٢)

ويحدثنا ابن سعد « أن نبي الله في الوجد الذي توفى فيه اجتمع اليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي أما والله يا نبي الله لوددت أن الذى بك بي فتمزها أزواج النبي وأبصرهن رسول الله فقال مضمن^(٣) فيقلن من أى تى يا نبي الله قال من تغامزكن بصاحبكن والله امها لصاديقة . . .^(٤)

وقد توفيت صفية ستة اثنتين وخسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان ودفنت بالقيع^(٥)

وفى أثناء محاصرة المسلمين للوطيح والسلام من أطام خير أرسل الرسول

(١) راجع حديث البخارى ١٠٦ ص ١٠٦ [صفية بنت حيي سيدة قريظة والصبر لا تصلح الا لك . . . فأعتقها رسول الله]

(٢) الواقدى ص ٢٧٩ — ابن سعد ج ٨ ص ٩١

(٣) أى أمسكن أمواهن فقد تحست

(٤) ابن سعد جزء ٨ ص ٩١

(٥) ابن سعد ج ٨ ص ٩٢

بعض جنوده الى فدك الواقعة شمال بلاد خيبر وكان قائم هذه البعثة محيصة بن مسعود « فدعا أهلها الى الاسلام ولما رأى أن لا ميل لهم في الصلح وأرادوا أن يجاربه جاءت اليهم أخبار خيبر فوقع في قلوبهم خوف عظيم فأرسلوا جماعة من اليهود الى النبي حتى يصلحوه فبعد القيل والقال الكثير استقر الأمر على أن يعطوا النبي نصف أرض فدك وهم نصفها فرضى النبي فضالهم على ذلك (١)

فكانت فدك خالصة للرسول لأنه لم يوجد عليها نخيل ولا ركاب (٢) ولما فرغ الرسول من أمر خيبر تمجيزاً للرحيل الى المدينة عن طريق وادى القرى فلما سمع أهلها جنود المسلمين تهبأوا للقتال وعرض عليهم الرسول الاسلام فأبوا عليه ذلك وقتلوا ذلك اليوم الى الليل ثم تصالحوا وأقامهم النبي على أراضيهم وذراريهم وأموالهم

ولما وصل أمر خيبر وفدك ووادى القرى الى يهود تهابوا وخافوا وقبلوا الجزية (٣)

وقد سرد الواقدي حوادث مبارزات وقعت بين جماعات من يهود وادى القرى وجمهور من المسلمين (٤) رأيت ألا أتقلها لعدم أهميتها

وعلى كل حال فقد قضت غزوة خيبر على استقلال اليهود السياسى فى البلاد الحجازية قضاء نهائياً. بعد أن قضوا عصوراً طويلة وهم يتمتعون به ويتفياون خلاله فأخذت حالهم الاقتصادية تتدهور شيئاً فشيئاً حتى وصلوا الى الدرء الاسفل من الفقر والفاقة وقد قدوا ما كان لهم من تأثير وفوذ عند العرب فى الجزيرة العربية

(١) تاريخ الخميس - ٢ ص ٦٤

(٢) ابن هشام - ٣ ص ١٩٣

(٣) تاريخ الخميس - ٢ ص ٦٤

(٤) فتوح البلدان للبلاذرى ص ٣٣

وقد جاء الواقدي بقصة تدل على ما وصل اليه اليهود. بعد غزوة خيبر من سوء حال وغضاضة عيش فقال عن انتهت اليه روايته : كانت عادتنا أن نخرج في الجاهلية أثناء القحط من يثرب الى جهات خيبر وفدك حيث كنا نجد عند اليهود التمار الوافرة والاموال الكثيرة وحيث كنا تقابل منهم بالحفاوة والاكرام فلما أدركنا الضغط الشديد بعد غزوة خيبر خرجنا اليها كما دتنا فوجدنا الدهر قد انقلب عليها ووجدنا الجذب قد ضرب أطنا به فيها حتى لم نجد أحداً من الاغنياء والاشراف بل كان معظم أهلها في فقر مدقع يجهدون أنفسهم في أعمال الفلاحة وكذلك لم نجد من بينهم من يقابلنا بتلك الحفاوة التي اعتدناها منهم في الجاهلية بل كانوا ينظرون الينا بين البغض والانتقام وكان يهود نطاة والشق في سوء شديد أما في أطام الكنيبة فقد شعرنا بأن حالة السكان أحسن فأقمنا بينهم مسرورين^(١)

وهذه الوثيقة التاريخية أكبر برهان على سوء حال اليهود في خيبر بعد الغزوة فضلاً عن أنها تؤكد ما جاء في سيرة ابن هشام عن الدمار والخراب الذي أصاب خيبر أثناء الغزوة

أما وجود منطقة الكنيبة في حالة أحسن مما كانت عليه منطلقنا نطاة والشق فيرجع الى أن أغلب أطامها صالح الرسول فأقامهم على أراضهم ولم يمس الانصار من حدائقهم وذراريهم شيئاً

(١) الواقدي ص ٢٦٢

الباب التاسع

اجراء اليهود عن اليهود الحجازية

وقوف الحصومة بين اليهود والمسلمين سد غزوة خيبر — عهد الله من أبى واليهود — وجود عناصر يهودية فى المدينة طول حياة الرسول — كتب الرسول الى بطون العرب واليهود — الصحيفة الى آل بنى حنية — رأى صاحب متوح البلدان فى هذه الصحيفة — اكتشاف نص الكتاب فى المقبرة اليهودية ؟ — رأى المؤلف فى هذه الصحيفة — حالة اليهود فى البلاد الحجازية بعد وفاة الرسول — لماذا طرد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أغلب يهود خيبر ؟ — أحاديث نبوية فى هذا الموضوع — قصة ابن هشام فى اجلاء عمر من الخطاب طوائف اليهود — رأى ابن سعد صاحب الطبقات فى هذا الموضوع — صحيح البخارى وأحاديثه فى هذا الموضوع — وجود اليهود فى بلاد الحجاز الى نهاية القرن الحادى عشر للميلاد — قايا طوائف اليهود فى بلاد العرب الى الآن

قلنا إنه كان من نتائج غزوة خيبر ان قضى قضاء تاما على القوة السياسية والاقتصادية والدينية التى كانت لليهود فى اقاليم الحجاز وقد ترتب على هذا أنه انقطعت الخصومة بين المسلمين واليهود ووقف تيار المطاعن والمثالب التى كانت متبادلة بين الطرفين ويدل على ذلك أن الرسول لم ينزل عليه شيء كثير من الآيات القرآنية التى تتضمن ذم اليهود والظعن فيهم بعد هذه الغزوة على خلاف ما كان من ذلك فى الفترة التى كانت بين يوم بدر وغزوة خيبر وقد عاش اليهود الذين لم ينزحوا من الحجاز مطمئنين لا يمسهم أحد بسوء وعاد عدد منهم الى المدينة بدليل ما جاء لبعضهم من ذكر فى سيرة ابن هشام وفى

كتاب المغازي للواقدي. وقد استنجت مما قرأت في هذين الصكنايين عن البقية الباقية من اليهود في المدينة بعد غزوة خيبر أنهم كانوا جميعاً من بني قينقاع وقد كان هؤلاء قد جلوا عنها فما هو السر في غودتهم إليها وما هي الأسباب التي دعت إلى ذلك؟ لم يكن من سبب لاجلاء بني قينقاع عن المدينة إلا امتناعهم عن اعتناق الدين الاسلامي فهم لم يرتكبوا شيئاً من الجرائم التي توغر صدور المسلمين وعلوها بالمقد والضحينة عليهم بعد توطيد سلطانهم وثبيت قواعدهم واذن فليس ما يمنع من عودة بعض الامر من بني قينقاع الى المدينة واستيطانهم فيها لا سيما وان وجودهم في المدينة كان ضرورياً للانتفاع بهم في استثمار الاموال الكثيرة التي جلبت الى يثرب من غنائم البطون العربية واليهودية المغلوبة على أمرها وكان بنو قينقاع يحسنون كثيراً من الصناعات لا سيما صناعة الصباغة

أما العرب فلم تكن لهم خبرة بهذه الصناعات من أجل ذلك تفاضى الانصار عن رجوع بعض اليهود الى يثرب فأقبل عدد منهم عليها وعكفوا يعملون في أعمالهم القديمة

ولما توفي عبد الله بن أبي بكى عليه اليهود ووقف النبي على قبره وعزى ابنه وألبسه قيصه^(١)

وقد خرجت نساء الاوس والخزرج جميعاً الى جميلة ابنة عبد الله وشاركنها في البكاء عليه وضربن بأيديهن على وجوههن وكثر القوم من بني قينقاع والمناقون حول سريره حين لفظ نفسه الاخير أثناء مرضه فأغضب ذلك ابنه الخفيف حتى هم في ذات يوم أن يفتق الباب في وجههم فنعمه والده وقبح فعله وأمحي عليه باللائمة وقال له دعهم فان قربهم مني يشق صدري العليل ويخفف من آلامي فقد شاركوني فيما نزل بي من النوائب وقد كان عبد الله بن أبي مبحلاً

(١) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٥٦

فيهم حتى قالوا له يا عبد الله نود أن نغديك بدمائنا وأموالنا . . . ولما مات أرادوا أن يستأثروا بدفنه دون الأنصار ولكن عبادة بن الصامت أمر بضربهم وقام المسلمون بأعمال الدفن وظل الرسول أتناء ذلك واقفاً لا يتحرك من مكانه حتى امتلأ الضريح بالتراب وتوارت الجنة عن العيون وأخذ بنو قينقاع والمناقون ينشرون التراب على رؤوسهم من شدة الحزن والالام . . . (١)

وقد أثرت هذه النصوص التي نقلتها آنفاً في العلماء المستشرقين وحملتهم على أن يشكروا في صحة بعض الأحاديث التي تقول إن البقية الباقية من اليهود في المدينة قد تم جلاؤها عنها في حياة الرسول (٢)

ويؤيد شكهم ما وجدنا من روايات ونصوص تاريخية تدل على أن الرسول كان يعامل اليهود بعد غزوة خيبر بروح التسامح حتى انه أوصى عامله معاذ بن جبل (بأن لا يقن اليهود عن يهوديتهم) (٣)

وعلى هذا النحو عمل يهود البحرين اذ لم يكلفوا الا دفع الجزية وبقوا متمسكين بدين آباؤهم . . . (٤)

وقد دخل يهود نبي غادية وعريض في حلف الرسول كما يحدثنا ابن سعد في مصنفه عن (بعثة رسول الله الرسل بكتبه) : وكتب رسول الله : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبي غادية أن لهم النعمة وعليهم الجزية ولا عدى ولا جلاء الليل . . . والنهار شد وكتب خالد بن سعد وهم قوم من يهود . . . وكتب رسول الله بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبي

(١) الواقدي ص ٤١٥

(٢) ولصاحب كز المال حديث يقول ان عمر أحلى اليهود من المدينة فقالوا أقرأنا الرسول وأنت محرجا قال أفرمك النبي وأنا أرى أن أحرركم فأخرجهم من المدينة (ج ٢ ص ٣٠٣) :
(حديث ٦٣٥١)

(٣) البلاذري ص ٧١

(٤) البلاذري ص ٧٨

عريض طحمة من رسول الله عشرة أوسق قح وعشرة أوسق شعير في كل حصاد وخمسين وسقا تمرًا يوفون في كل عام لحينه لا يظلمون شيئاً وكتب خالد بن سعيد زبوعريض قوم من يهود . . . (١)

وأهم من كل هذا تلك الحقوق والامتيازات التي منحها الرسول لآل بني حنينة وأهل مقنا فقد وصلت إلينا وثيقة تاريخية في هذا الصدد من مرجعين مختلفين ونحن نقل النصين لتقارن بينهما ونستخلص منها بعض النتائج المرتبطة بموضوعنا

يقول صاحب المرجع الأول وهو البلاذري : إن الرسول صالح أهل مقنا وبني حنينة (الصواب حنينة) على ربيع عروكهم وغزولهم (العروك خشب يصطاد عليه) وربع كراعهم وحلقتهم وعلى ربيع ثمارهم وكتب إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بني حنينة (حنينة) وأهل مقنا سلم أتم فإنه أنزل على أنكم راجعون إلى قرينكم فإذا جاءكم كتابي هذا فانكم آمنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله وأن رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكل دم اتبعتم به لا شريك لكم في قرينكم إلا رسول الله يجيركم كما (٢) يجير منه نفسه فإن لرسول الله برزتكم ورفيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول الله أو رسول رسول الله وأن لكم بعد ذلك ربيع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عروككم وربع ما اعتزلت نساؤكم وانكم قد تريتتم بعد ذلك ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسحرة أو سمتم وأطعمتم أن يكرمكم ويغفو عن سيئكم ومن اتتم في بني حنينة (حنينة) وأهل مقنا من المسلمين فهو خير له ومن أظلمهم بشر فهو شر له وليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله . . .

(١) بعثة رسول الله الرسل يكتبه : ابن سعد ص ١٨ طبع العالم Wellhausen . رلين

(٢) لعلها . مما

وكتب على بن أبي طالب في سنة ٩ . . . (١)

ويضيف المؤلف الى هذه الوثيقة التاريخية أنها وصلت اليه من بعض أهل مصر الذين رأوا الصحيفة بعينها وهي من جلد أحمر دارس الخط وأما النص الآخر لهذه المعاهدة فقد وصل اليها بعد اكتشاف آثار قديمة في المقبرة اليهودية بمدينة الفسطاط حيث عثر عليه تحت أنقاض وهذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لحنينة ولأهل خيبر وآل مقنا وذراريهم ما دامت السموات والارض

(سلام) أنتم إني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو . . .

أما بعد فانه أنزل الوحي انكم راجعون الى قرآنكم وسكني داركم فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله ولكم ذمة الله وذمة رسوله ولكم ذمة الله على أنفسكم ودونكم وأموالكم ورفيقكم وكل ما ملكت أيما نكم وليس عليكم أداء جزية ولا تجز لكم ناصية ولا توطأ أرضكم ولا تحسدون (ولا تحرتون ١٢) ولا تصلحون ولا يجعل أحد عليكم ولا تمنعون من لباس المشقات والملونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح ومن قاتلكم قاتلوه ومن قتل في حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية ومن قتل منكم أحد المسلمين تعمداً فحكه حكم المسلمين ولا يمتدى عليكم بالفحشاء (ولا تجزلون ١٢) أهل الدمة وان استغتم تعاون وان استرفدتم ترفدون ولا تطالبون ببيصاء ولا بصفراء ولا بسمراء ولا كراع ولا حلقة ولا يقطع لكم شمع نعل ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون من ولاية المسلمين ولا يولى عليكم الا منكم أو من أهل بيت رسول الله (واسع ؟) لجنائزكم الى أن تصير الى موضع الحق واليقين وتكروا لكرامتكم

والتكريمة صفة ابنة عمك وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن يكرموا
كريمكم ويمفوا عن مسيئكم ومن سافر منكم فهو في أمان الله وأمان رسوله ولا
أكره في الدين ومن منكم أتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربح ما أمر به رسول
الله لاهل بيته تعطون عطاء قريش وهو خمسون ديناراً ذلك بفضل مني عليكم
وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما في هذا الكتاب فمن
اطلع الى حنينه وأهل خيبر ومقنا بخير فهو خير له ومن اطلع له بشر فهو شر له
ومن قرأ كتابي هذا أو قرئ عليه وغيره أو خالف شيئاً مما به فليبه لعنة الله ولعنة
اللاعنين من الملائكة والناس أجمعين وهو يرى من ذمتي وتفاعتي يوم القيامة
وأنا كاطمه ومن كاطمني فقد كاطم الله فهو في النار وكفى بالله شهيداً وبلائكته
وبمن حضر من المسلمين وكب علي بن أبي طالب بخطه ورسول الله أملي عليه
حرماً حرماً يوم الجمعة للثلاث الاول خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة
تهجد عمار بن ياسر ومسلمان الفارسي وولي رسول الله وأبو ذر الغفاري (١)

ويظهر أن هذه الماهدة التي استخلص صاحب فتوح البلدان خلاصتها
ووصفها في كتابه إنما كانت معروفة لدى العلماء والمؤرخين من العرب في مصر
وقد حافظ عليها اليهود في مدة قرون طويلة الى أن اندثرت مدينة القسطنطينية في
عهد الفاطميين وأصبحت قاعاً صفصفاً فدفنت هذه الصحيفة تحت أقواس منازل
يهودية الى أن اكتشفت حديثاً

لكن لا شك أن هذه الصحيفة الملقاة كما لفتت صحائف ومعهادات كثيرة
جداً بعد أن انتقل الرسول الى دار ربه لان الذين كانت بأيديهم معاهدات
صحيفة قد أقرم عليها الخلفاء الراسدون ولم يفتقروا من ترويضها نسج نعل (كما
تقول هذه الماهدة)

وانا لنعلم أن بطولاً عربية كثيرة اندفعت الى تزوير الكتب باسم الرسول
وقد حافظت عليها

ولا غرو أن تظهر رسائل ملققة في عصر الاضطرابات التي حلت في الاقاليم
الاسلامية من جراء الخصومة التي ظهرت بين الامام علي بن أبي طالب وبين
عصبة معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل عثمان بن عفان فعلى ذلك قد يكون لنا
الحق كل الحق أن نشك في صحة هذه المعاهدة التي نحن بصدها

لكن ما لانتك فيه أن الرسول قد منح أسراً غير قليلة من أهل خيبر
حقوقاً لم يمنحها لبقية اليهود ما عدا الاقرار على الاراضى وايقائه لهم نصف الثمار
فان هذا كان من حق كل يهود خيبر وقد نص على ذلك ابن هشام والبخارى
كما نص على أنه كانت هناك عقود وعهود بين الرسول وبين أسر يهودية في
خيبر كما سيتضح ذلك فيما بعد

أما أسلوب هذه الصحيفة ولغتها ففيها شبه كبير بنصوص المعاهدة الكبيرة
التي عقدها الرسول مع اليهود بعد هجرته الى يثرب وهذا حمل بعض المستشرقين
على الاعتقاد بان معاهدة من هذا النوع لم تكن ملققة لانها كانت موجهة الى آل
صفية زوج الرسول أى الى حنينة في مقنا وخيبر

وأما الاسباب التي حملتنا على أن نشك في صحة هذه الصحيفة فهي :

- (١) لم يكن المسلمون أثناء حياة الرسول يؤرخون بالمجرة لان هذا لم
ينقرر الا في زمن خلافة عمر بن الخطاب على أن سنة خمس التي وجدت في ديل
هذه المعاهدة انما تدل على أن كاتبها كان يجمل جهلاً تماماً تاريخ غزوات الرسول
- (٢) لان مسير المسلمين الى خيبر كان في سنة سبع من الهجرة ولا يحتمل
أن يعقد الرسول عقداً مع آل زوجه صفية قبل التحاقها به وقد كانت هي السبب
الوحيد في منح الرسول آل بي حنينة تلك الحقوق الكثيرة اذا فرضنا صحة هذه
الصحيفة .

(٣) ان السنة الخامسة للهجرة كان النزاع فيها بين الرسول واليهود على أشد ما يكون من الحدة والقوة وقد نزل في تلك السنة بعض آيات قرآنية تكاد تكون من نار تظعن في اليهود وتؤنبهم تأنيبا شديداً فليس معقولا أن يعقد الرسول في تلك السنة مثل هذا المقدم مع أسرة حنينة الخيرية دون أن يكون هناك عامل خاص يدفعه الى ذلك لاسيما أن آل صفيية كانوا من زعماء القوم ومن أشدهم معارضة في تنفيذ مشروعات الرسول الدينية والسياسية

(٤) المفهوم أن المعاهدة لم تكن تشمل أهل خيبر ومقنا جميعاً كما جاء في المعاهدة حيث يقول فيها « الى حنينة وأهل خيبر ومقنا » بل كانت موجهة الى حنينة وأهله في خيبر ومقنا لان هذه الحقوق والامتيازات لم تمنح الا لآل صفيية دون غيرهم من اليهود وقد غير هذا التلفيق اليسير معنى المعاهدة جميعها

(٥) تنص المعاهدة على أن الرسول يسمح لكل يهود خيبر بان يحملوا السلاح والا يماقبوا على قتل المشركين فهي حقوق لم تمنح لقوم ملأوا بين لانها بمثابة تمكينهم من وسائل الاخذ بالثار والانتقام ممن غلبوهم وأذلوهم

(٦) وتنص المعاهدة على أن كل أهل خيبر يمنحون من العطاء مثل ما يمنح لبطون قريش على أن هذا العطاء بهذا المعنى لم يصرف أيام النبي فضلا عن تحديده بخمسين دينارا

وغير ذلك مما جاء في الصحيفة من الحقوق والامتيازات التي لم تكن الا لآل الرسول دون سواهم من الناس وغير معقول أن الرسول يمنح اليهود حقوقا لم يمنحها لعامة المسلمين وأن يسوى بينهم وبين آل بيته

(٧) على أن حوادث عمر بن الخطاب مع يهود خيبر دليل كاف على عدم وجود حقوق من هذا النوع لكل يهود خيبر كما سنوضح ذلك فيما بعد

على أن هذه العقود التي كانت لبعض الاسر لم تغير بوجه عام الحال التي آل اليها اليهود في البلاد الحجرية لانهم لم يرجعوا الى ما كانوا عليه في الجاهلية

من ثروة طائفة وسلطان كبير بل أخذوا في التدهور شيئاً فشيئاً ولم تند كل الظروف
الحسنة التي صادفتهم بعد ذلك في إيقاف حركة هذا التدهور

والسبب في ذلك يرجع الى المراقبة الشديدة التي وضعت على حاصلاتهم
الزراعية وثمار أشجارهم التي كانوا يدفعون نصفها لاصحاب الامهات من المسلمين
أما النصف الباقي فلم يكن كافياً لتكوين سكان خيبر ولم يكن ذلك كفيلاً بأن
يوجدهم كحالتهم الاولى . . .

ثم جاء عمر أمير المؤمنين فأمر باجلاء أغلب بطون اليهود من خيبر وفدك
كما يذكر ذلك ابن هشام فيقول : كان الرسول يبعث عبد الله ابن رواحة الى
خيبر فيقسم ثمارها ويعمل عليهم في الخرص فلما توفي الله نبيه أقرها أبو بكر
بأيديهم على المعاملة التي عاملهم عليها الرسول حتى توفي ثم أقرها عمر صدرا من
امارته ثم بلغ عمر أن رسول الله قال في وجهه الذي قبضه الله فيه لا يجتمعن بجزيرة
العرب دينان فحصر عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت فأرسل الى اليهود فقال ان
الله عز وجل قد أذن في جلائكم قد بلغني أن رسول الله قل لا يجتمعن بجزيرة
العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله من اليهود فليأتني به أفنقه له ومن
لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتحجز للحلاء فأجلى عمر من لم يكن
عنده عهد من رسول الله منهم . . . (١)

ومن هنا نستنتج أنه كانت هناك عقود لبعض الاسر اليهودية وأن عمر الذي
أمر باجلاء أغلب طوائف اليهود من خيبر وفدك لم يتعرض لليهود وادى القرى
وتبء بسوء

ويؤخذ من هذا أن أهل وادى القرى وتبء كان لهم عقد خاص لم يسمح
للخليفة باخراجهم من بلادهم لا كما يعتقد بعض مؤرخي العرب أن تبء وادى

القرى لم تكن من أرض الحجاز لأن الحدود في تلك الأزمنة لم تكن معينة بدقة إلى درجة أن يقال إن وادي القرى ليس داخلًا في الحدود الحجازية بل بالعكس كان هذا الوادي منطقة تابعة لخيف الحجازية وكل اليهود الذين يسكنونه يعتبرون من يهود خيبر

ويلفت العالم Leszynsky نظر الباحثين إلى بعض أحاديث تتضمن الأمر بإخراج اليهود من بلاد الحجاز كحديث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب...» وحديث «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب...» وحديث «أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب...»^(١) ويشك العالم المذكور في صحة هذه الأحاديث ويقول إنها قيلت بعد وفاة الرسول لأغراض خاصة...^(٢) ثم أن المسلمين لا يعملون على الأحاديث إلا إذا كانت صحيحة ولهم في قبولها ترتيب خاص فأهمها أحاديث البخاري ثم أحاديث مسلم وفي الدرجة الثالثة باقي الكتب الستة

ولابن اسحاق قصة أخرى عن سبب إخراج عمر بن الخطاب طوائف اليهود من خيبر ويقول: حدثني نافع عن ابن عمر قال خرجت أنا والبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها فلما قدمنا تفرقنا في أموالنا قل فعدي على تحت الليل وأنا نائم على فراشي فقدعت يداي من مرفقي فلما أصبحت استصرخ على صاحبي فأتاني فسالني من صنع هذا بك فقلت لا أدري قال فأصلحنا من يدي ثم قدما بي على عمر فقال هذا عمل يهود ثم قام في الناس خطيباً فقال أيها الناس إن رسول الله كان عامل يهود خيبر على أن يخرجهم إذا شئنا وقد عدوا على علي عبد الله بن عمر فقدعوا يديه كما قد بلغكم مع عدوهم علي الانصاري قبله لا نشك أنهم أصحابه ليس لنا هناك عدو غيرهم فمن كان له مال بخيبر فليلحق بي

(١) كثر المال = ٢ من ٢٧٤ طبع حيدر آباد — حديث ٥٨٧٣ و ٧٤ و ٧٥

(٢) Die Juden zu Medina ص ١١٣

فأني مخرج اليهود فأخرجهم . . . ولما أخرج عمر اليهود من خيبر ركب في المهاجرين
والانصار وخرج معه جبار بن صخر وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم قسم
خيبر على أهل جماعة الاسهم . . . (١)

أما ابن سعد فلم يأت بهذه القصص ويقول: ان رسول الله لما أفاء الله عليه
خيبر قسمها على ستة وثلاثين سهماً جمع كل سهم مائة سهم وجعل نصفها لنوابه
وما ينزل به وعزل النصف الآخر قسمه بين المسلمين وسهم النبي فيما قسم بين
المسلمين الشق ونطاة وما حيز معها وكان فيها وقف الوطيحة والكتيبة وسلام وما
حيز معهم فلما صارت الأموال في يد النبي وأصحابه لم يكن لهم من العمال ما يكفون
عمل الأرض فدفعها النبي الى اليهود يعملونها على نصف ما يخرج منها فلم يرالوا
على ذلك حتى كان عمر بن الخطاب وكثرت في يد المسلمين العمال وقروا على عمل
الأرض فأجلى عمر اليهود الى الشام وقسم الأموال بين المسلمين (٢)

فعلى ذلك يتضح جلياً أن السبب الذي حمل عمر على اجلاء أغلب طوائف
اليهود من خيبر يرجع الى كثرة الأيدي العاملة من الأسرى الذين كثروا عند
العرب بعد فتوح بلاد الشام والعراق وفارس وكان هؤلاء الأسرى ذوى خبرة
بالأعمال الزراعية كيهود خيبر

ولما كان يهود خيبر يدعون نصف حاصلات الأرض آثر المسلمون أصحاب
الأسهم أن يكون لهم كل هذه الحاصلات ليتمكنوا من تامين أسراهم الكثرين
من جهة وليوجدوا لهؤلاء الأسرى عملاً يقومون به من جهة أخرى فأشاروا على
أمير المؤمنين باجلاء البطون التي لم تكن لها عقود خاصة مع الرسول
ويحدثنا البخارى أن عمر أجلى يهود خيبر الى تباه وأريحاء (٣)

(١) ابن هشام ج ٣ ص ١٩٧

(٢) ابن سعد ج ٢ ص ٨٢

(٣) البخارى ج ٢ ص ٧٢ — وص ٢٩٠

وللواقدي رواية تؤيد صحة ما رواه البخارى يقول فيها : ان عمر أجلى آل الحارث أبى زينب المشهورين الى اريحاء بأرض فلسطين وكان أحد أبناء الحارث قد التقى فى يوم من الأيام بقافلة من الاعراب فى جهات أريحاء وهى راجعة من الشام الى خيبر فترع ابن الحارث الى وطنه وحن اليه واشتد به الشوق حتى آماه الامر بغاطب الاعراب بقوله انه كان يود يوم أجلى عمر أمرته من خيبر أن يدخل فى الاسلام حتى لا يبعد عن أرض أجداده ولكنه خشى أن يخنقره الخلف ويقولون لقد ضحى الحارث بحياته وأمرته ووطنه لاجل دينه ودين آبه فجاه ابنه ففدر به . . . (١)

أما الاسر التى كانت لها معاهدات خاصة مع الرسول فقد أقرها عمر وأقامت على أملاكها وأموالها

وقد بقيت الاغلبية لليهود فى وادى القرى الى القرن الحادى عشر وكذلك وجدت طوائف منهم فى جهات تيماء فى القرن الثانى عشر للميلاد ثم اعدم وجودهم فى الحجاز وأطرافها شيئاً فشيئاً حتى اختلطوا فى بقية الاعراب واندمجوا فيهم وكان ذلك بسبب الضغط الشديد الذى حل بهم فى عمود الاضطرابات التى حدثت بعد ان تسرب الوهن والاضمحلال الى الدولة العباسية

أما فى بلاد اليمن فقد بقى فيها اليهود طول العصور القديمة ولم يزل لهم وجود فى جهات مختلفة من أطراف الجزيرة العربية الى أيامنا هذه رغم الرزايا التى لحقت بهم فى ظروف ستى ، والله يحكم لا معقب لحكمه

(١) الواقدي ص ٢٧١



المراجع

تنقسم مصادر هذا الكتاب الى عبرية وعربية وأجنبية

مصادر عبرية

تורה נביאים וכתובים (תנ"ך)

תלמוד בבלי

דברי ימי ישראל ד"ר שמחוני

היסתוריה ישראלית ד"ר קלוזנר

דברי ימי ישראל גרץ

בפורי העתים

مصادر عربية

القرآن الكريم

سيرة ابن هشام

فتوح البلدان للبلاذري

تاريخ الخيس للديار بكرى

صحيح البخارى

كتاب المغازى للواقدي

أمثال الميداني

تاج العروس

طبع مصر

طبع ليدن

طبع أوروبا

طبع ليدن

طبع برلين (ترجمة المانية)

طبع مصر

» »

طبع مصر	مجاهد التنصيص
» بيروت	نوادر أبي زيد الانصاري
» »	ديوان السمونل لفظويه
» مصر	طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي
طبع أوربا	تاريخ يعقوبي
» بولاق	خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي
» مصر	تاريخ الامم والملوك للطبري
» »	تاريخ ابن خلدون
	تاريخ الامم الاسلامية للخضري بك
طبع برلين	طبقات ابن سعد
طبع حيدر آباد بالهند	كذالعمال (مجموعة من الاحاديث النبوية)
	أديان العرب تأليف الشيخ محمد نعمان الجارم
طبع برلين	بعثة رسول الله بكتبه لابن سعد
طبع مصر	كتاب الاغانى للإمام أبي الفرج الاصبهاني
طبع مصر	ديوان الحماسة لابي تمام
	مقالة في الاسلام من كتب المبشرين
طبع مصر	الروض الانف شرح لسيرة ابن هشام
	معجم البلدان لياقوت
	مجلة الجامعة المصرية

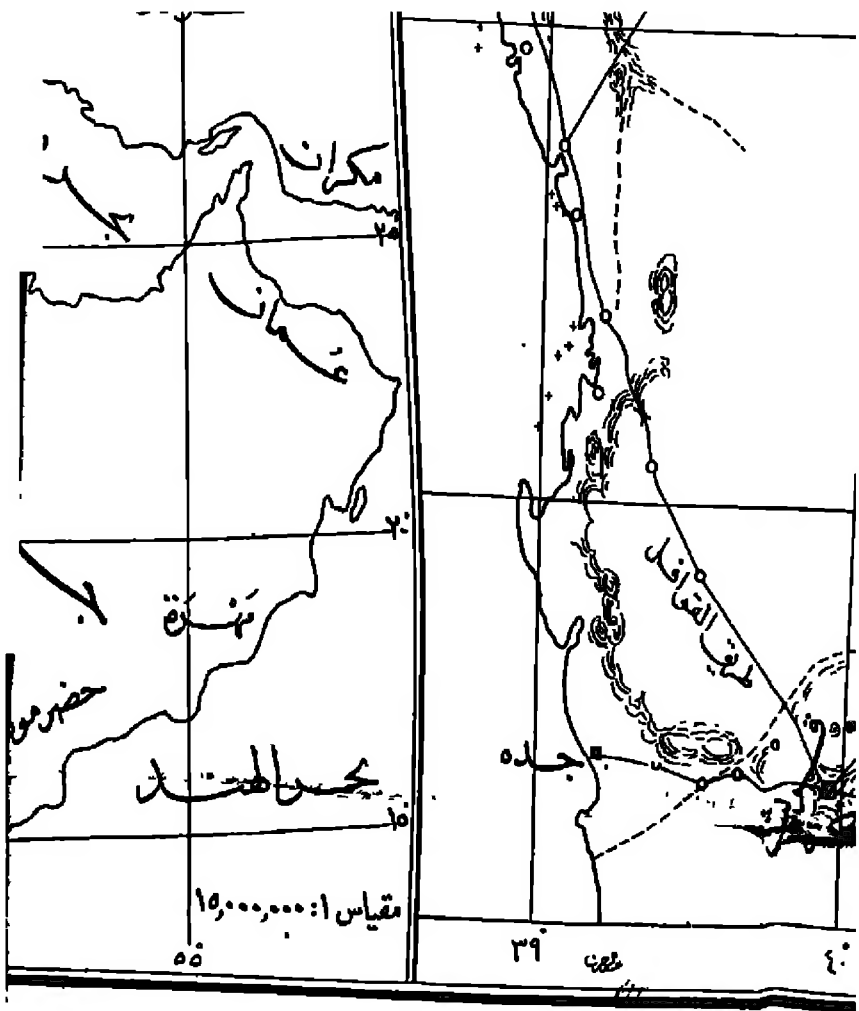
مصادر أجنبية
(المانية وأجنبية وفرنسية)

- R. Dozy : Die Israeliten zu Mekka.
Manglioth : The relation between Arabs and Israelites prior
to the rise of Islam.
Burney : Israel's settlement in Canaan.
Gaussin de Perceval L'histoire des Arabes avant L'Islamisme.
Welhausen Y : Skizzen & Vorarbeiten.
Glaser : Sammlung.
Glaser : Skizzen der Geschichte und Geographie Arabiens bis
Mohamed.
Wuestenfeld : Geschichte der Stadt Medina
Calveter de Saey : Memoires sur divers evenement de l'histoire
des arabes avant Mahomet.
Lamencz : Les Juives a la Meque,
Nicholson : A literary history of the Arabs.
Leszynsky . Die Juden zu Medina,
Mitteilungen der Vorderasiatischen Gesellschaft.
Jewish Quarterly Review
Journal Asiatique.

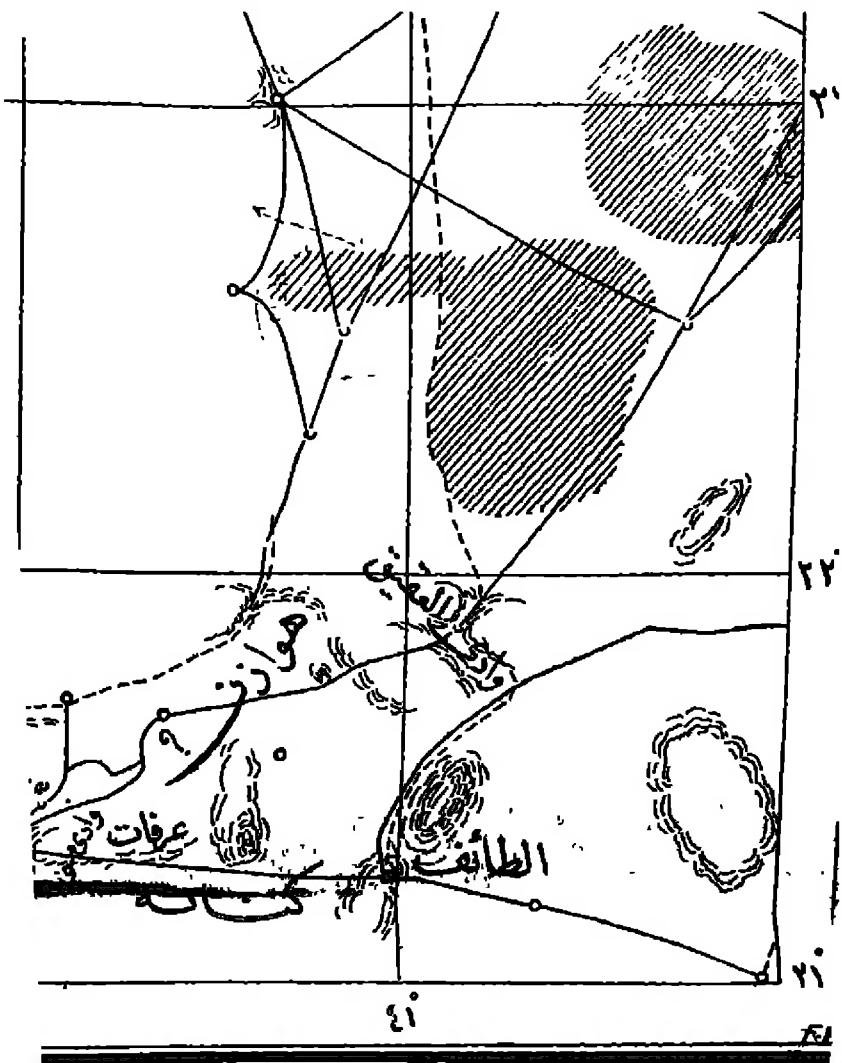
فهرس

الموضوع	صفحة
مقدمة لخصرة الدكتور طه حسين أستاذ آداب اللغة العربية بالجامعة المصرية	٥ - ٥
تصدير المؤلف	٦ - ٦
الباب الاول : اليهود في بلاد الحجاز	١ - ٣٤
الباب الثاني : ظهور اليهودية في بلاد اليمن	٣٥ - ٤٩
الباب الثالث : بطون يثرب وحوادثها وعلاقتها باليهود	٥٠ - ٨٠
الباب الرابع : أحوال العرب الاجتماعية والدينية والسياسية في بلاد الحجاز قبيل ظهور الإسلام	٨١ - ٩١
الباب الخامس : مكة ويثرب ازاء الحركة الاسلامية	٩٢ - ١٠٩
الباب السادس : هجرة الرسول الى يثرب واجلاؤه بنى قينقاع والنضير عنها	١١٠ - ١٣٢
الباب السابع : غزوة بنى قريظة	١٣٣ - ١٥٦
الباب الثامن : غزوة خيبر	١٥٧ - ١٧٤
الباب التاسع : اجلاء اليهود عن البلاد الحجازية	١٧٥ - ١٨٦
المراجع	١٨٩





اعتمدنا في رسم هذه الخريطة وتعيين اغلب مواقع البلاد والقبائل وطرق القوافل على خريطة (ب) موريتس (ب) طبع برلين سنة ١٨٧٨م وخريطة (ج) من مئة Th Menke طبع جوتة سنة ١٨٧٨م . مواطن اليهود بحاطة بسياج من الخوم . استنتاجا لهذا وضحنا بجانبها علامة استفهام ؟



وصفت هذه الخريطة لكاتب تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصعدنا الاسلام
 للدكتور اسرائيل ليفتشون